Republique Tunisienne
Ministère des affaires Culturelles
Institut de Traduction de Tunis

معهد تونس للترجمة
Institut de Traduction de Tunis

الجمهوريّة التونسيّة
وزارة الشؤون الثقافيّة
معهد تونس للترجمة

تونس في 2022/02/02

شهادة في ترجمة كتاب من الإنجليزية

تشهد الأستاذة الدكتورة نزيهة جويرو، مديرة معهد تونس للترجمة، بأنّ الأستاذ الدّكتور الأزهر الزنّاد (جامعة منّوبة، الجمهورية التونسية) ينجز ترجمة لكتاب **ليونارد بلومفيلد "اللغة"** (1933)، من اللّغة الإنجليزية:

Bloomfield : Language (1933)

University of Chicago Press

وذلك بالاشتراك مع الأستاذ الدّكتور محمّد الشّاوش.

والكتاب مبرمج للنّشر قريبا ضمن إصدارات معهد تونس للتّرجمة، حالما يتمّ الفراغ منه وإقراره من قبل اللّجان المختصّة.

سلّمت هذه الشهادة للإدلاء بها لدى من يهمّه الأمر.

والسّلام

المديرة العامة لمعهد تونس للترجمة
زهية جويرو

معهد تونس للترجمة Institut de Traduction de Tunis

■ العنوان: مدينة الثقافة، Bloc y - شارع محمد V - تونس ■ الهاتف: 361 028 70(216+)/360 028 70(216+) ■ الفاكس: 365 028 70(216+)
■ البريد الإلكتروني: tarjamah@itrat.nat.tn ■ الواب: Web: www.itrat.nat.tn ■ الفايسبوك: institut de traduction de tunis
■ Adr.: Cité de la culture, Bloc y - Av. Mohamed V - Tunis ■ Tél: (216+)70 028 360/(216+)70 028 361 ■ Fax: (216+)70 028 365
■ E-mail: tarjamah@itrat.nat.tn ■ Web: www.itrat.nat.tn ■ facebook: institut de traduction de tunis

بلومفيلد

اللــغة

(1933)

الفصول العشرة الأولى: (1–10)

ترجمها من الإنجليزية

الأزهر الزناد

(2021)

والعمل جار على ترجمة الفصول المتبقية

محتويات هذه الوثيقة

	المقدّمة	**3**
1	دراسة اللّغة	**8**
2	استعمال اللّغة	**28**
3	المجموعات اللّغويّة	**51**
4	لغات العالم	**68**
5	الصّوتم	**92**
6	أنواع الصّواتم	**111**
7	التّحويرات	**129**
8	البنية الصّوتيّة	**149**
9	المعنى	**163**
10	الأشكال النّحويّة	**185**

والعمل جار على ترجمة الفصول المتبقية

المقدّمة

هذا الكتاب نسخة منقّحة من كتاب المؤلّف "مدخل في دراسة اللّغة"1 الّذي صدر سنة 1914 (نيويورك، هنري هولت وشركائه). وهذه الصّياغة الجديدة أوسع بكثير من تلك الأولى لأنّ علم اللّغة قد تطوّر في هذه الأثناء ولأنّ كلاّ من رجال العلم والجمهور المثقّف يولون، في أيّامنا، قيمة كبرى لفهم الكلام البشريّ.

ويتوجّه هذا الكتاب، مثل سابقه، إلى القارئ العامّ وإلى الطّالب الّذي يهمّ بولوج الدّراسة اللّغويّة. فدون مقدّمة من هذا القبيل، تكون المصنّفات المختصّة ملغزة. فقد يكون استعراض عامّ مرتّب أكثر إفادة للقارئ العامّ من تحليل لمواضيع مختارة لأنّ هذا المواضيع، في نهاية المطاف، لا يمكن فهمها دون الإحاطة بإطارها. فما من شخص يطلب أن تروى عليه حادثة طريفة انفتحت بها في ما مضى عيناه على غرابة الكلام البشريّ وعلى جماله وعلى أهمّيته.

فعادة ما تكون الأشياء المغروسة عميقا في اللّغة والّتي تعني كلّ شيء عندنا جميعا، مهمَلة في جميع الدّراسات ما عدا تلك المتقدّمة منها. وهذا الكتاب محاولة في الحديث عنها في كلمات بسيطة وفي إظهار أثرها في الشّؤون البشريّة. وفي سنة 1914، أسّست هذا الطّور من العرض على النّظام النّفسيّ الّذي بلوره فايلهالم ووندت2 الّذي كان وقتها منتشرا على نطاق واسع. وقد شهد علم النّفس، منذ ذلك الزّمن، غليانا كبيرا. فقد تعلّمنا، على أيّ حال، ما كان واحد من أساتذتنا قد توقّعه منذ ثلاثين سنة، أي أنّنا نستطيع أن نواصل دراسة اللّغة دون الرّجوع إلى أيّ مذهب نفسيّ وأنّ فِعلَنا ذاك يحصّن نتائجنا ويجعلها مهمّة أكثر عند العاملين في الحقول المجاورة. وقد حاولت، في هذا الكتاب، أن أجتنب تبعيّة من هذا القبيل؛ وما كان ذلك إلاّ بتوضيح ذكَرتُه، في بعض المواطن، هو ما به يختلف الاتّجاهان الرّئيسيّان في علم النّفس الغالبان في أيّامنا، في تأويلهما. فالذّهنيّون3 يسعون إلى تكملة الوقائع اللّغويّة بصياغةٍ أساسُها الذّهن4، وهي صياغة تختلف باختلاف المدارس المتنوّعة في علم النّفس الذّهنيّ5. ويطلب الميكانستيّون6 أن تُعرَض الوقائع دون افتراض7 لأيّ من تلك العوامل المساعدة. وحاولت تلبية هذا الطّلب لا لمجرّد أنّني أعتقد أنّ الميكانستيّة هي الشّكل الضّروريّ للخطاب العلميّ، ولكن لأنّ عرضا قائما بذاته يكون، أيضا، أمتنَ وأيسرَ في الإحاطة به من ذاك الّذي يدعمه في مواطن كثيرة مذهب آخر يقبل التّغيير.

1 Introduction to the Study of Language (New York, Henry Holt and Company)
2 Wilhelm Wundt
3 mentalists
4 mind
5 mentalistic psychology
6 mechanists
7 assumption

وقد حاولت في كلّ موضع أن أعرض الرّؤى المقبولة، دون أن أجتنب الأمثلة النّموذجيّة ذات الاستعمال الواسع، في المسائل المشكلة الّتي حاولت أن أبيّن القضيّة الجارية في شأنها. وفي الحالتين كلتيهما، أوردت في الهوامش وفي الببليوغرافيا، المراجع الّتي تمكّن القارئ من تعميق النّظر في المسائل ومن تكوين رأي شخصيّ له فيها، إن اختار ذلك.

وإنّني لمدين بالشّكر للكثير من الباحثين الّذين قدّموا لي العون والمعلومات وللنّاشر وللرّاقن ولمنضّد الحروف المطبعيّةِ القديرُ وقد كانت منهم جميعا العناية الكبيرة لإخراج هذا الكتاب.

ل. ب.

شيكاغو، جانفي 1933

تصدير

المقدّمة

1. دراسة اللّغة

2. استعمال اللّغة

3. المجموعات اللّغويّة

4. لغات العالم

5. الصّوتم

6. أنواع الصّواتم

7. التّحويرات

8. البنية الصّوتيّة

9. المعنى

10. الأشكال النّحويّة

11. أنواع الجمل

12. الإعراب

13. الصّرف

14. الأنواع الصّرفيّة

15. الاستبدال (substitution)

16. أقسام الشّكل والمعجم

17. الوثائق المكتوبة

18. المنهج المقارنيّ

19. الجغرافية اللّهجيّة

20. التّغيّر الصّوتيّ

21. أنواع التّغيّر الصّوتيّ

22. التّقلّب في تواتر الأشكال

23. التّغيّر القياسيّ (analogic change)

24. التّغيّر الدّلاليّ

25. الاقتراض الثّقافيّ

26. الاقتراض الحميميّ/ الدّاخليّ (intimate borrowing)

27. الاقتراض اللّهجيّ

28. التّطبيقات والتّوقّعات

الهوامش

الببليوغرافيا

جدول في الرّموز الصّوتيّة

اللّغة

الفصل الأوّل

دراسة اللّغة

1 .1

تلعب اللّغة دورا كبيرا في حياتنا. ولعلّنا بسبب اعتيادنا عليها، نادرا ما نلاحظها، معتبرين إيّاها، بالأحرى، من تحصيل الحاصل تماما مثل التّنفّس أو المشي. وآثار اللّغة بادية للعيان وهي تتضمّن الكثير ممّا يميّز الإنسان من الحيوانات، ولكن ما من موقع للّغة في برنامجنا التّربويّ ولا في مطارحات فلاسفتنا.

ولكن توجد بعض الظّروف يخوض فيها الشّخص المثقّف العاديّ في المسائل اللّغويّة. فيطرح في بعض الأحيان مسائل تتعلّق بـ"الاستقامة8" من قبيل أيّهما "أحسن"، على سبيل المثال، أن نقول (*it's I*) ("هذا أنا") أو (*it's me*) ("هذا إيّاي"). وتخضع مناقشته لمثل هذه الأشياء لقالب ثابت إلى حدّ ما. فإن أمكن، بحَث عن جواب في مواضعات الكتابة، كما في الجواب عن السّؤال إن كان حرف (*t*) ممّا ينبغي نطقه في كلمات من قبيل (*often*) ("غالبا") أو (*soften*) ("لَيَّنَ، جعل ناعما")، مثلا. أو يعود إلى السّلطة، في ما عدا ذلك: يعتقد أنّ وجها في النّطق صحيح بطبعه والآخر خاطئ بطبعه وأنّ بعض النّاس العارفين، وخاصّة كتّاب الأنحاء والقواميس منهم، يمكنهم أن يخبرونا عن الصّواب وعن الخطإ. ولكنّه في الأغلب لا يكلّف نفسه عناء العود إلى هذه المراجع ويحاول، عوضا عن ذلك، أن يحلّ المسألة بنوع من التّفكير الفلسفيّ الّذي يشتغل بمصطلحات من قبيل (subject) ("مبتدأ، فاعل") و(object) ("مفعول (به)") و(predicate) ("محمول، خبر")، وما إلى ذلك. وهذه هي الطّريقة البديهيّة في التّعامل مع المسائل اللّغويّة. وبالفعل، هي طريقة، مثل الكثير من الأشياء المتقنّعة بالبداهة، على غاية من التّعقيد، وهي مستمدّة، دون مسافة كبيرة، من مضاربات الفلاسفة القدامى وفلاسفة القرون الوسطى.

ولم تُدرَس اللّغة بطريقة علميّة باعتماد الملاحظة الدّقيقة الشّاملة إلاّ في غضون القرن الماضي أو ما زاد عن ذلك بقليل، ولنا عودة بعد هذا إلى العناية بالاستثناءات القليلة في ذلك. فليست *اللّسانيّات*، أي دراسة اللّغة، إلاّ في بداياتها. ولم تستو بعدُ المعرفة الّتي حصّلتها قسما من التّربية التّقليديّة عندنا. فـ"النّحو" وسائر التّعليم اللّغويّ في مدارسنا مقتصر على تقديم المفاهيم التّقليديّة. ولا يجد الكثير من النّاس صعوبة في بداية الدّراسة اللّغويّة في تمثّل المناهج أو النّتائج (الّتي هي على قدر كبير من البساطة) وإنّما يجدونها في تجريد التّصوّرات الماقبليّة9 الّتي يفرضها علينا مذهبنا الشّعبيّ السّكولاستيّ10.

2 .1

لقد كان لليونانيّين القدامى موهبة في التّساؤل في الأشياء الّتي يسلّم بها سائر النّاس. فقد فكّروا

8 correctness
9 preconceptions
10 scholastic

تفكيرا جريئا مستمرّا في أصل اللّغة وفي تاريخها وفي بنيتها. وإليهم يعود الفضل في قسم كبير من معارفنا التّقليديّة عن اللّغة.

يخبرنا هيرودوت11، وهو يكتب في القرن الخامس قبل الميلاد، أنّ ملك مصر بسميطيقس12، وقد أراد أن يعرف أيّ الأمم هي الأقدم في النّوع البشريّ (بصرف النّظر عن معنى ذلك)، عزل طفلين حديثي الولادة الواحد منهما عن الآخر، في حديقة، وعندما بلغا مرحلة الكلام، نطقا بكلمة (*bekos*)، الّتي تبيّن أنّها الكلمة الفريجيّة13 الّتي تطلَق على "الخبز".

ويناقش أفلاطون14 (427–347 ق. م.) في محاورة "كراتيل"15 أصل الكلمات وخاصّة مسألة العلاقة بين الأشياء والكلمات الّتي تسمّيها من حيث هي طبيعيّة وحتميّة أو مجرّد نتيجة لمواضعة بشريّة. وتقدِّم لنا هذه المحاورة لمحة أولى عن جدال دار على امتداد قرن من الزّمن بين *القياسيّين*16 الّذين كانوا يعتقدون أنّ اللّغة طبيعيّة ولذلك كانت منتظمة ومنطقيّة في أساسها، *والسّماعيّين*17 الّذين كانوا ينكرون تلك الأمور وكانوا يشيرون إلى ظواهر عدم الانتظام في البنية اللّغويّة.

وكان القياسيّون يعتقدون أنّ أصل الكلمات ومعناها الحقيقيّ يمكن تتبّعهما من خلال أشكالها؛ وقد سمّوا البحث في ذلك علمَ التّأثيل18. ويمكننا أن نفسّر نظريّتهم بأمثلة إنجليزيّة. فكلمة (*blackbird*) ("شحرور، طائر أسود") تتكوّن بوضوح من (*black*) ("أسود") و(*bird*) ("طائر"): فقد سمّي هذا النّوع من الطّيور للونه، والشّحارير، بالفعل، طيور وذات لون أسود. وبنفس الطّريقة قد يكون الإغريقيّون استنتجوا قيام ترابط ما عميقٍ جدّا بين (*gooseberry*) ("عنب الثّعلب، الكِشمِش") و(*goose*) ("إوزّة"): وتتمثّل مهمّة عالم التّأثيل في العثور على هذا الرّابط. وقد تطرح كلمة (*mushroom*) ("فِطَر") مشكلا أكثر صعوبة. وغالبا ما تتبدّل المكوّنات؛ فكلمة (*break-fast*) ("فطور الصّباح")، حينئذ، رغم الاختلاف في الصّوت، هي بكل بداهة، الأكلة الّتي بها نقطع (*break*) صومنا (*fast*)؛ وكذا كلمة (*manly*) ("رجالي") وهي شكل مقصّر من (*man-like*) ("شبيه بالرّجل").

ولكنّ أغلب الكلمات، في اللّغة اليونانيّة كما هو الأمر في الإنجليزيّة، تشذّ عن تحليل من هذا القبيل. فكلمة (*early*) ("باكرا")، حينئذ، منتهية بما تنتهي به كلمة (*manly*) ولكنّ بقيّة الكلمة غامضة، وكلمة (*woman*) ("امرأة") تشبه كلمة (*man*) ("رجُل")، ولكن ما هو المقطع الأوّل؟ إذن، هناك بقيّة من الكلمات القصيرة البسيطة الّتي لا تشبه كلمات أخرى– كلمات من قبيل (*man*) ("رجُل")، (*boy*)

11 Herodotus
12 Psammetichus
13 Phrygian
14 Plato
15 Cratylus
16 Analogists
17 Anomalists
18 Etymology

("صبيّ")، (*good*) ("حسَن")، (*bad*) ("سيّء")، (*eat*) ("أكَل")، (*run*) ("جرى"). وفي حالات من هذا القبيل، لجأ الإغريقيّون وتلامذتهم، والرّومان إلى التّخمين. فقد فسّروا، على سبيل المثال، الكلمة اليونانيّة (*lithos*) (('stone') ("حجارة"))، على أنّها مشتقّة من العبارة (*lian theein*) ((to run too much) ("جرى كثيرا جدّا"))، لأنّ ذاك ما لا تفعله الحجارة. وقد صار مثال من هذا النّوع في اللاّتينيّة عبارة مَثليّة: (*lucus a non lucendo*) (('a grove (*lucus*) is so named on account of it not being light (*lucendo*)'.) ("تسمَّى الأجمة السّوداء (*lucus*) كذلك باعتبار أنّها ليست مضيئة (*lucendo*)")).

وتظهر لنا هذه الأثول، على أيّ حال، أنّ اليونانيّين انتبهوا إلى أنّ أشكال الكلام تتغيّر خلال الزّمن. ولقد وجد الطّلبة المحدَثون في الدّراسة النّظاميّة لهذا التّغيّر، المفتاح لجميع المسائل اللّغويّة تقريبا. ولم ينكبّ القدماء قطّ على أيّ دراسة مدقّقة للتّغيّر اللّغويّ.

فلم يدرس اليونانيّون القدامى إلاّ لغتَهم؛ فقد كانوا يسلّمون بأنّ بنية لغتهم تجسّد الأشكال الكلّيّة19 للفكر البشريّ أو ربّما جسّدت أشكال النّظام الكونيّ20. ووفقا لذلك بلوروا الملاحظات النّحويّة، ولكنّهم حصروا هذه الملاحظات في لغة واحدة وصاغوها في شكل فلسفيّ. فقد اكتشفوا أقسام الكلام في لغتهم وأبنيتها الإعرابيّة من قبيل بنية المبتدإ وبنية الخبر خاصّة، ومقولاتها التّصريفيّة21 الرّئيسيّة: الأجناس22 والأعداد23والحالات الإعرابيّة24 والأشخاص25 والأزمنة26 والجهات27. ولم يعرّفوا هذه المقولات على أساس الأشكال اللّغويّة الّتي تقبل التّمييز، بل حدّدوها على أساس وحدات تجريديّة كانت الغاية منها الإخبار عن معنى القسم اللّغويّ. وتتجلّى هذه التّعاليم على أكمل صورة في المصنّفين النّحويّين اللّذين كتب أحدهما ديونيزيوس ثراكس28 (القرن الثّاني ق. م.) والأخرَ أبولّونيوس ديسكولوس29 (القرن الثّاني بعد المسيح).

وكان لليونانيّين، كذلك، ملاحظات للتّفاصيل الدّقيقة، ولكن للأسف كان لهذا الطّور من عملهم أثر أقلّ في الخلَف. فأشعارهم الملحميّة العظيمة، الإلياذة30 والأوديسّا31، الّتي اعتبروها بوجه من الوجوه كتبا مقدّسة، كانت منظومة في نوع من اليونانيّة القديمة والمجهولة في ما عدا ذلك. وحتّى يتسنّى فهم تلك النّصوص وصناعة نسخ صحيحة منها، كان على المرء أن يدرس لغتها. وكان أريسطارخوس (تقريبا

19 universal
20 cosmic
21 inflectional categories
22 gender(s)
23 number(s)
24 case(s)
25 person(s)
26 tense(s)
27 mode(s)
28 Dionysius Thrax
29 Apollonious Dyscolus
30 Iliad
31 Odyssey

216–144 ق. م.) من أشهر الأعلام في ذلك العمل. وكانت أعمال أخرى من الأدب اليونانيّ منظومةً في أشكال متداولة من اللّهجات المحلّية المتنوّعة: فكان بذلك لليونانيّين فرصة المقارنة بين أشكال كثيرة متباينة من لغتهم. ولمّا صارت لغة الكتّاب الأثينيّين العظماء في القرن الرّابع عتيقة، اتُّخِذت موضوعا للدّراسة إذ كانت تمثّل الشّكل المثاليّ للخطاب المكتوب. ولقد تطلّب هذا العمل جميعُه الملاحظةَ المدقّقة للتّفاصيل. ولقد جمَّع بعض النّحاة المتأخّرين، لا سيما هيروديان32، ابن أبولّونيوس ديسكولوس، معلومات قيّمة عن موضوعات من قبيل التّصريف33 والنّبرة34 في اليونانيّة القديمة.

.3 .1

ولم ينضف أيّ تحسين على التّعميمات35 اليونانيّة في شأن اللّغة حتّى القرن الثّامن عشر، عندما كفّ العلماء عن اعتبار اللّغة هديّة مباشرة من الله وقدّموا نظريّات متنوّعة في ما يتعلّق بأصلها. فقد كانت اللّغة اختراعا من أبطال قدامى، أو بوجه آخر نتاجا لروح صوفيّة36 تكون للشّعب. فقد بدأت بمحاولات الإنسان أن يحاكي الأصوات (نظريّة "باو–واو"37)، أو باستجاباته الطّبيعيّة في إنشاء الأصوات (نظريّة "دينغ–دونغ"38)، أو بالصّرخات الشّديدة وخوالف التّعجّب39 (نظريّة "بوه بوه"40).

ولم يطرأ أيّ تحسين في تفسير أشكال الكلام تفسيرا تأثيليّا. فقد أُثِر عن فولتير41 أنّه قال إنّ التّأثيل علم لا قيمة فيه للحركات42 وللحروف43 شأن يسير.

وأقام الرّومان الأنحاء اللاّتينيّة على المنوال اليونانيّ. وأشهر هذه الأنحاء، مصنَّف دوناتوس44 (القرن الرّابع بعد المسيح)، ظلّ معتمدا في التّدريس خلال العصور الوسيطة. ولمّا كانت اللاّتينيّة، في العصور الوسيطة، تتغيّر من شكلها القديم إلى الأشكال الّتي نعرفها اليوم في اللّغات الرَّوْمَنيّة (الفرنسيّة، الإيطاليّة، الإسبانيّة، وهلمّ جرّا)، استمرّت المواضعة في الكتابة، لمن استطاع إلى ذلك سبيلا، بالشّكل اللاّتينيّ الكلاسيكيّ القديم. فلم يدرس العالِم القروسطيّ، تبعا لذلك، في كلّ من البلدان اللاّتينيّة وسائرها، إلاّ اللاّتينيّة الكلاسيكيّة. فاكتشف الفلاسفة السّكولاستيّون بعض السّمات في النّحو اللاّتينيّ، من قبيل التّمييز بين الأسماء45 والصّفات46 والفروق بين الانسجام47 والعمل48 والبدليّة49. وقد كانت

32 Herodian
33 inflection
34 stress
35 generalization(s)
36 mystical Spirit
37 « bow-wow » theory
38 « ding-dong » theory
39 exclamation(s)
40 « pooh-pooh » theory
41 Voltaire
42 vowel(s)
43 consonant(s)
44 Donatus
45 noun(s)
46 adjective(s)

مساهمتهم أقلّ بكثير من مساهمة أسلافهم الّذين كانوا، على أيّ حال، ذوي معرفة مباشرة باللّغات الّتي درسوها. فقد وجد العالِم القروسطيّ في اللاّتينيّة الكلاسيكيّة الشّكل العاديّ للكلام البشريّ، من زاوية منطقيّة. وقد أدّى هذا المذهب في العصور الحديثة إلى كتابة الأنحاء العامّة50 الّتي كان يراد منها البرهنة على أنّ بنية اللّغات المتنوّعة، وخاصّة بنية اللاّتينيّة منها، إنّما تجسّد نواميس المنطق الصّحيحة كونيّا. وأشهر هذه المصنّفات هو (*Grammaire générale et raisonnée*)51 لجماعة دَيْر بور روايال52 الّذي ظهر سنة 1660.

واستمرّ هذا المذهب حتّى القرن التّاسع عشر؛ حيث يتجلّى، على سبيل المثال، في مصنّف العالم الكلاسيكيّ غوتّفريد هرمانّ، (*De emendanda ratione Graecae grammaticae*) (1801). وما زال ذلك ماثلا في برامجنا التّعليميّة التي تسعى إلى تطبيق المعايير المنطقية على اللّغة. ويبحث الفلاسفة، إلى حدود هذا اليوم، أحيانا عن الحقائق المتعلّقة بالكون في ما ليس، في الواقع، إلاّ سمات شكليّة تكون في واحدة من اللّغات.

وتَمثَّل النّموّ البائس لفكرة النّحو العامّ في الاعتقاد بأنّ النّحويّ أو المعجميّ، متسلّحا بقدراته الاستدلاليّة، يستطيع أن يثبّت الأساس المنطقيّ للّغة وأن يملي الوجه الّذي يجب أن يتكلّم به النّاس. وقد قاد انتشار التّعليم في القرن الثّامن عشر الكثير من المتكلّمين باللّهجات إلى تعلّم أشكال الكلام الجارية في الطّبقة الاجتماعيّة العليا. ووفّر ذلك للسّلطويّين فرصتهم: فكتبوا *أنحاء معياريّة*53 غالبا ما تجاهلوا فيها الاستعمال الفعليّ مقابل العناية بالمفاهيم التّخمينيّة. ويسود إلى حدّ الآن، في مدارسنا، كلّ من الاعتقاد في "السّلطة"54 وبعض القواعد الغريبة (كما هو الأمر في استعمال (*shall*) و(*will*)، على سبيل المثال).

فعند العالم القروسطيّ، كانت اللّغة تعني اللاّتينيّة الكلاسيكيّة55، كما يتجلّى في الكتب ونجد آثارا قليلة من العناية بأيّ شكل آخر من أشكال الكلام. واتّسع الأفق في عصر النّهضة. وفي نهاية العهود الوسيطة عادت دراسة اللّغة اليونانيّة إلى مركز العناية والشّرف وأضيفت العبريّة والعربيّة بُعَيد ذلك مباشرة. والأهمّ من ذلك أن أخذ بعض العلماء في مختلف البلدان يهتمّون بلغة عصرهم.

وحمل عصر الاستكشاف معرفة سطحيّة بلغات كثيرة. فقد عاد المسافرون بمسارد في المفردات

---

47 concord
48 government
49 apposition
50 general grammar(s)
51 النّحو العامّ المعقلن
52 Convent of Port Royal
53 normative grammar(s)
54 authority
55 classical Latin

اللّغويّة وترجم المبشّرون الكتب الدّينيّة إلى ألسنة الأمم في البلدان المكتشَفة حديثا. بل إنّ بعضهم صنّف أنحاء ومعاجم في اللّغات الغريبة. وتعود بوادر هذا العمل عند بعض القساوسة الإسبان إلى القرن السّادس عشر، وإليهم يعود الفضل في توفّر عدد من المصنّفات المتعلّقة باللّغات الأمريكيّة والفيليبّينيّة. ولا يمكن اعتماد هذه الأعمال إلاّ بحذَر إذ من المحتمَل أن لا يوثّق الكتّاب الأصوات اللّغويّة الأجنبيّة توثيقا دقيقا، لأنّهم كانوا غير ذوي دربة في تمييزها. وإذ كانوا لا يعرفون إلاّ مصطلحات النّحو اللاّتينيّ، حرّفوا عرضهم إيّاها بأن أقحموها قسرا في ذلك الإطار. وحتّى في زمننا الحاضر ما فتئ النّاس من غير ذوي الدّربة اللّسانيّة ينجزون عملا من هذا القبيل. فبالإضافة إلى ضياع الجهد، ضاع الكثير من المعلومات بهذه الطّريقة.

وأدّى ازدهار التّجارة والرّحلات كذلك إلى تصنيف الأنحاء والمعاجم في لغات أقرب في التّناول. ويمكن استعراض الأفق اللّسانيّ في نهاية القرن الثّامن عشر في المسرد الّذي يضمّ 285 كلمة من مائتين من لغات أوروبا وآسيا الّذي نشره ب. س. بالاّس56 (1741–1811) بأمر من كاثرين57 إمبراطورة روسيا سنة 1786. وأضافت طبعة ثانية منه، سنة 1791، ثمانين لغة أخرى بما في ذلك بعض اللّغات الإفريقيّة والأمريكيّة. وكان أن ظهر خلال السّنتين 1806 و1817 مصنّف رباعيّ الأجزاء بعنوان (*Mithridates*)58 كتبه ج. ك. أدلونغ59 و ج. س. فاطر60، ضمّ "صلاة الرّبّ"61 مترجمة إلى ما يناهز خمسمائة من اللّغات.

وتوجّهت عناية ثلّة من العلماء في عصر النّهضة إلى تسجيلات أقدمَ للغاتهم. فقد حقّق فرنسيسكوس يونيوس62 (1589–1677) عملا عظيما في دراسة الوثائق القديمة في الإنجليزيّة واللّغات المتّصلة بها، الفريزيانيّة63 والهولنديّة64 والألمانيّة65 والاسكندنافيّة66 والقوطيّة67. وقد علم يونيوس بهذه اللّغة الأخيرة – وهي لم تعد مستعملة في أيّامنا– من كتاب "الإنجيل الفضّيّ" (Silver Codex) الشّهير، وقد اكتشِف حديثا آنذاك، بمخطوطة من القرن السّادس بعد المسيح تتضمّن شذرات من ترجمة للإنجيل؛ فنشر يونيوس نصوصها في مجلّد واحد مع نصوص الأناجيل الأنجلوسكسونيّة68. وواصل

56 P. S. Pallas
57 Catharine (Emperess of Russia)
58 *Mithridates oder allgemeine Sprachenkunde mit dem Vater Unser als Sprachprobe in bey nahe fünfhundert Sprachen und Mundarten. (Mithridate ou science générale des langues, avec comme échantillon le Notre Père dans près de cinq cents langues et dialectes.)*
59 J. C. Adelung (Adelung, Johann Christoph (1732-1806))
60 J. S. Vater (Johann Sevrin) (1771-1826)
61 Lord's Prayer
62 Fransiscus Junius (1589-1677)
63 Frisian
64 Dutch
65 German
66 Scandinavian
67 Gothic
68 Anglo-Saxon

جورج هايكس69 (1642–1715) ذلك العمل، بأن نشر كتابا في النّحو القوطيّ والأنجلوسكسونيّ وقاموسا70 يتضمّن معلومات متفرّقة حول الأطوار القديمة للإنجليزيّة وأخواتها.

.4 .1

يبيّن لنا العرض الّذي أجملناه إلى حدّ الآن، ما كان علماء القرن الثّامن عشر يعرفون عن اللّغة. فقد صاغوا السّمات النّحويّة للّغة صياغة فلسفيّة ولم يعتبروا الفرق البنيويّ بين اللّغات، بل طمسوها بأن جعلوا أوصافهم لها تدخل قسرا في قالب النّحو اللاّتينيّ. وما كانوا لينتبهوا إلى الأصوات في الكلام فخلطوا بينها وبين الرّموز الكتابيّة في الأبجديّة. وشوّه هذا القصور عن التّمييز بين الكلام الفعليّ واستعمال الكتابة تصوّراتهم عن تاريخ اللّغة، كذلك. فكانوا يرون أنّ ذوي الثّقافة العالية، في العصور الوسطى والحديثة، كانوا يكتبون (بل يتكلّمون) لاتينيّة جيّدة، في حين كان ذوو التّعلّم المحدود أو النُّسّاخ من غير المبالين يأتون من الأخطاء الشّيء الكثير: وإذ قصروا عن الانتباه إلى أنّ تلك الكتابة اللاّتينيّة كانت رياضة اصطناعيّة أكاديميّة، استنتجوا أنّ اللّغات يحافظ عليها استعمال النّاس المتقنين ذوي الثّقافة العالية وتُغيَّر بفعل الأخطاء الّتي يأتيها العوامّ من النّاس. فقد كانوا، تبعا لذلك، يعتقدون في شأن اللّغات الحديثة من قبيل الإنجليزيّة، أنّ الأشكال الخطابيّة الجارية في الكتب وأنماط المحادثة عند الطّبقة الاجتماعيّة الرّاقية تمثّل مستوى أقدم وأصفى تفرّعت منه "العبارات السّوقيّة"71 عند العامّة من النّاس باعتبارها مظاهر فساد72 بفعل عمليّة "انحطاط لغويّ"73. فلم يتردّد النّحاة، حينئذ، في فرض قواعد خياليّة اشتقّوها على أساس علم المنطق.

وقد منعت هذه الأوهام العلماءَ من استغلال المعطيات الّتي كانت متوفّرة: اللّغات الحديثة واللّهجات، وسجلاّت اللّغات القديمة، والتّقارير عن اللّغات الغريبة، وفوق جميع ذلك، الوثائق الّتي تبين لنا عن الأطوار المتتابعة في لغة واحدة بعينها، كما هو الشّأن، على سبيل المثال، في اللّغة الأنغلوسكسونيّة74 (الإنجليزيّة القديمة75) والإنجليزيّة الحديثة76 أو اللاّتينيّة واللّغات الرّومنيّة77 الحديثة. فقد كان من المعروف أنّ بعض اللّغات يشبه بعضها الآخر؛ ولكنّ مذهب "الانحطاط اللّغويّ" حال دون قيام دراسة منهجيّة لهذه العلاقة إذ كانت التّغيّرات الّتي أدّت، لنقل، من اللاّتينيّة إلى الفرنسيّة الحديثة، تعتبَر مظاهر فساد عشوائيّ.

فقاد الوهمُ بأنّ اللاّتينيّة عاشت، دون تغيّر، إلى جانب اللّغات الرَّوْمَنيّة، العلماءَ إلى أن يشتقّوا

69 George Hickes (1642-1715)
70 Thesaurus
71 vulgarism(s)
72 corruption(s)
73 linguistic decay
74 Anglo-Saxon
75 Old English
76 Modern English
77 Romance language(s)

اللّغات المعاصرة الواحدة من الأخرى. وكانوا في الأغلب يعتبرون العبريّة اللّغة الّتي منها انبثقت اللّغات الأخرى جميعها. ولكنّ بعضهم ذهب إلى خلاف ذلك، كما هو الأمر عند غوروبيوس بيكانوس بمدينة آنتويرب78، على سبيل المثال، إذ جعل، بدافع الوطنيّة، جميع اللّغات مشتقّا من الهولنديّة79.

وكان من الجليّ أنّ أكثر اللّغات الأوروبيّة المألوفة انقسمت إلى ثلاث مجموعات بحكم مظاهر التّشابه القريب بين العناصر في كلّ مجموعة، كما يظهر من خلال الكلمات التّالية:

المجموعة الجرمانيّة			المجموعة الرّومنيّة			المجموعة السّلافيّة	
	'يَد'						
الإنجليزيّة	*hand*		الفرنسيّة	*main*		الرّوسيّة	*ruka*
الهولنديّة	*hand*		الإيطاليّة	*mano*		البولونيّة	*ręka*
الألمانيّة	*Hand*		الإسبانيّة	*mano*		البوهيميّة	*ruka*
الدّانماركيّة	*haand*					الصّربيّة	*ruka*
السّويديّة	*hand*						
	"قَدَم"						
الإنجليزيّة	*foot*		الفرنسيّة	*pied*		الرّوسيّة	*noga*
الهولنديّة	*voet*		الإيطاليّة	*piede*		البولونيّة	*noga*
الألمانيّة	*Fusz*		الإسبانيّة	*pie*		البوهيميّة	*noha*
الدّانماركيّة	*fod*					الصّربيّة	*noga*
السّويديّة	*fot*						
	"شِتاء"						
الإنجليزيّة	*winter*		الفرنسيّة	*hiver*		الرّوسيّة	*zima*
الهولنديّة	*winter*		الإيطاليّة	*inverno*		البولونيّة	*zima*
الألمانيّة	*Winter*		الإسبانيّة	*invierno*		البوهيميّة	*zima*
الدّانماركيّة	*vinter*					الصّربيّة	*zima*
السّويديّة	*vinter*						

78 Goropius Becanus of Antwerp
79 Dutch

	' شَرِب'						
الإنجليزيّة	*drink*	الفرنسيّة	*boire*		الرّوسيّة	*pit’*	
الهولنديّة	*drinken*	الإيطاليّة	*bere*		البولونيّة	*pic’*	
الألمانيّة	*trinken*	الإسبانيّة	*beber*		البوهيميّة	*piti*	
الدّانماركيّة	*drikke*				الصّربيّة	*piti*	
السّويديّة	*dricka*						

وكان بين هذه المجموعات، كذلك، شبه أقلّ ظهورا. وقد امتدّ هذا الشّبه الأوسع إلى بعض اللّغات الأخرى من قبيل اليونانيّة بكلّ تأكيد:

فمفهوم (mother) ("أمٌ"): اليونانيّة (*mētēr*)، اللاّتينيّة (*māter*) (مع أشكالها الحديثة في اللّغات الرّومنيّة)، الرّوسيّة (*mat’*) (ومنها في حال الإضافة (*materi---*)، مع الأشكال المماثلة لها في سائر اللّغات السّلافيّة)، الإنجليزيّة (*mother*) (مع الأشكال المماثلة لها في سائر اللّغات الجرمانيّة)؛

ومفهوم (two) ("اثنان"): اليونانيّة (*duo*)، اللاّتينيّة (*duo*)، الرّوسيّة (*dva*)، الإنجليزيّة (*two*)؛

ومفهوم (three) ("ثلاثة"): اليونانيّة (*treis*)، اللاّتينيّة (*trēs*)، الرّوسيّة (*tri*)، الإنجليزيّة (*three*)؛

ومفهوم (is) ("اثنان"): اليونانيّة (*esti*)، اللاّتينيّة (*est*)، الرّوسيّة (*jest’*)، الإنجليزيّة (*is*) (الألمانيّة (*ist*)).

.5 .1

وقد بلورت أمم كثيرة، خارج العُرف الأوروبيّ، نظريّات لسانيّة على أساس تراثيّ في الأغلب. فلقد استنبط العرب نحوا لشكل لغتهم الكلاسيكيّ، كما تتجلّى في القرآن، وعلى منوال هذا النّحو بنى اليهود من سكّان البلاد المحمّديّة نحوا عبريّا. وفي عصر النّهضة، صار العلماء الأوروبّيون مطّلعين على هذا التّراث، فكلمة (*root*) ("جذر")، على سبيل المثال، جاريةً اسما على القسم المركزيّ من الكلمة، إنّما هي آتية من النّحو العبريّ80. وفي الشّرق الأقصى، كان للصّينيّين كمّ هائل من المعارف اللّسانيّة التّراثيّة في صناعة المعاجم81 خاصّة. ويبدو أنّ نحوا يابانيّا قد تبلور بصورة مستقلّة.

غير أنّ الهند هي المكان الّذي نشأ فيه كمّ من المعارف الّتي هيّأت لحدوث ثورة في الأفكار الأوروبّية عن اللّغة. فقد حافظت الدّيانة البراهمانيّة82 على بعض المجموعات من الأناشيد القديمة جدّا، على أنّها نصوص مقدّسة. وتعود أقدم هذه المجموعات، وهي الرّيغ–فيدا83، في قسم منها، في تقدير

80 Hebrew grammar
81 lexicography
82 Brahmin religion
83 Rig-Veda

متحفّظ إلى 1200 ق.م. وبتقادم لغة هذه النّصوص، صار الوجه الصّحيح في نطقها وفي تأويلها التّأويل القويم مهمّة تنهض بها طبقة مخصوصة من الرّجال العارفين. وتحوّل الاهتمام القديم باللّغة الّذي ظهرعلى هذا النّحو، إلى مجال أكثر إجرائيّة. فكانت الطّبقات المختلفة من الهندوس84، كما هو الشّأن عندنا، مختلفة في الكلام. وكان هناك، في ما يبدو، قوى فاعلة أدّت بالمتكلّمين المنتمين إلى الطّبقات الاجتماعيّة العليا إلى اعتماد أشكال الكلام عند الطّبقات الدّنيا. ونجد أنّ النّحاة الهندوس يوسّعون اهتمامهم من المخطوطات إلى لغة الطّائفة العليا ويضعون القواعد وقوائم الأشكال الّتي تصف نوع الخطاب الصّحيحَ، هي ما أطلقوا عليه السّنسكريتيّة.85واستنبطوا في الوقت المناسب نسقا نظاميّا في النّحو وفي المعجم. ومن المفروض أن تكون أجيال متعاقبة في عمل من هذا القبيل، قد سبقت كتابةَ أقدم مصنّف وصلنا، هو نحو بانيني.86 وهذا النّحو الّذي يعود تاريخه إلى ما بين 350 و250 ق. م. واحد من أعظم المآثر الّتي أنجزها الذّكاء البشريّ. فهو يصف، في أدقّ تفصيل، كلّ وجه من وجوه التّصريف87 والاشتقاق88 والتّركيب89 وكلّ استعمال إعرابيّ90 في كلام مؤلّفه. فلم توصف لغة، إلى حدّ هذا اليوم، وصفا بذلك الكمال. وقد يعود الفضل في تحوّل السّنسكريتيّة في الوقت المحدّد إلى لغة رسميّة وأدبيّة في كامل بلاد الهند البراهمانيّة، في قسم منه، إلى هذا التّنميط91 الممتاز. فقد ظلّت زمنا طويلا بعد أن انقطع استعمالها لغة النّاس بالأمومة، (كما ظلّت اللاّتينيّة في أوروبا) الوسيطَ الاصطناعيّ في جميع الكتابات في الموضوعات التّعليميّة أو الدّينيّة.

وقد بلغ بعض المعرفة عن السّنسكريتيّة والنّحو الهندوسيّ القارّة الأوروبّيّة، عن طريق المبشّرين، في القرنين السّادس عشر والسّابع عشر. وفي القرن الثّامن عشر أرسل الإنجليز الّذين كانوا في الهند تقارير أكثر دقّة، فصارت المعرفة بالسّنسكريتيّة، في بدايات القرن التّاسع عشر، جزءا من أدوات العلماء الأوروبيّين.

.6 .1

وقد عرض النّحو الهنديّ، لأوّل مرّة، على أعين الأوروبّيّين، وصفا للُغةٍ كاملا دقيقا، لا يقوم على التّأمّل وإنّما على الملاحظة. وفوق ذلك، فتح اكتشاف السّنسكريتيّة إمكانيّة قيام دراسة مقارنيّة للّغات.

بادئ ذي بدء، ثبت مفهوم اللّغات المتقاربة ثباتا لا شكّ فيه، بوجود أخت في الهند البعيدة للّغات الأوروبّيّة المعهودة؛ لاحِظوا، على سبيل المثال، المقابلات السّنسكريتيّة للكلمات المذكورة قبل هذا:

84 Hindus
85 Sanskrit
86 Pānini
87 inflection
88 derivation
89 composition
90 syntactic usage
91 codification

(*mātā*) (mother) [أُمّ]، حال النّصب (*mātaram*)؛

(*dvāu*) (two) [اثنان]؛

(*trayah*) (three) [ثلاثة]؛

(*asti*) (he is) [هو...].

بل الأهمّ من ذلك هو التّبصّر في طبيعة البنية اللّغويّة الّذي يكون للمرء من خلال اطّلاعه على النّحو الهندوسيّ المنهجيّ الدّقيق. وإلى هذا الحدّ، ما كان للمرء أن يرى إلاّ مظاهر من التّماثل92 غائمة مائعة، لأنّ الأنحاء الجارية، وقد بنِيت على المنوال الإغريقيّ، لم تضبط بوضوح السّمات المخصوصة بكلّ لغة. فقد علّم النّحوُ الهندوسيّ الأوروبّيّين تحليل أشكال الكلام؛ فإذا ما قورن بين مكوّنات الكلام، أمكن لمظاهر التّشابه93 الّتي كان يهتدَى إليها حتّى ذلك الزّمن اهتداء غائما، أن تُعرَض عرضا ثابتا دقيقا.

وقد استمرّت التّصوّرات القديمة الغائمة عن العلاقة اللّغويّة، بعد ذلك زمنا قصيرا في الرّأي القائل بأنّ اللّغات الأوروبّيّة مشتقّة من السّنسكريتيّة، ولكن سرعان ما فسح هذا الرّأي المجالَ للتّفسير الصّحيح البديهيّ، أي أنّ السّنسكريتيّة واللاّتينيّة والإغريقيّة وما إليها، كانت أشكالا متباينة متأخّرة من لغة واحدة وُجِدت في عصور ما قبل التّاريخ. ويبدو أنّ هذا التّفسير قد ذُكِر أوّل مرّة عند السّير ويليام جونس94 (1746–1794)، أوّل عالم أوروبّيّ عظيم في السّنسكريتيّة، في خطاب قدّمه سنة 1786: يتوفّر في السّنسكريتيّة شبَه بالإغريقيّة وباللاّتينيّة على غاية من التّقارب يعسر له أن يكون من عمل الصّدفة، لكنّه يظهر، عوضا عن ذلك، أنّ جميع تلك اللّغات الثّلاث "قد انبثقت من مصدر مشترك ما، قد يكون انقرض من الوجود،" ويُحتَمَل أن يكون للقوطيّة95 (أي الجرمانيّة96) وللكلتيّة97 الأصل نفسه. وقد كان المرء، بطبيعة الحال في حاجة إلى معطيات وصفيّة تتعلّق بكلّ واحدة من تلك اللّغات، لكي يقيم المقارنة بينها. غير أنّ أفق المقارنة بكلّ ما كشف عنه من أشكال الكلام القديمة والهجرات القَبَليّة وأصل الشّعوب والعادات، تبيّن أنّه مغر إغراء شديدا إلى درجة أن لا أحد تولّى المهمّة المملّة في تحليل سائر اللّغات على أساس منوال السّنسكريتيّة. فقد كان للعلماء الأوروبّيّين معرفة عميقة باللاّتينيّة وبالإغريقيّة وكان معظمهم يتكلّمون لغة جرمانيّة بالأمومة. فعندما تواجههم قاعدة دقيقة من النّحو السّنسكريتيّ أو شكل معجميّ محلّل بعناية، كانوا يتذكّرون، في العادة، سمة مشابهة من بعض اللّغات المعروفة عندهم أكثر من غيرها. وفي الواقع كان ذلك أمرا عابرا بطبيعة الحال. فقد كان على الدّارس المقارِن، في الأغلب

92 similarities
93 resemblances
94 Sir William Jones
95 Gothic
96 Germanic
97 Celtic

الكافي، أن يجري بحثا أوّليّا يثبِتُ به الحقائق، وكان يجانب الصّواب، في بعض الأحيان، لنقص في المعطيات المرتّبة ترتيبا منهجيّا. فلو كان للعلماء الأوروبّيّين أوصاف للّغات الأخواتِ تضاهي وصفَ الهندوس للسّنسكريتيّة، لتطوّرت الدّراسة المقارنيّة للّغات الهنديّة الأوروبّيّة (كما تسمّى الآن) بوتيرة أسرع وبدقّة أمضى بكثير. وبعد هذا، صارت الدّراسة التّاريخيّة والمقارنيّة للّغات الهنديّة الأوروبّيّة، رغم التّجهيزات الفقيرة وبفضل عزيمة المشتغلين بها، واحدا من ميادين البحث الرّئيسيّة وواحدا من أكثر العلوم الأوروبّيّة نجاحا في القرن التّاسع عشر.

فلغات فارس (ما يسمّى باللّغات الإيرانيّة98) تشبه السّنسكريتيّةَ شبها كبيرا جدّا كانت له القرابة بينهما يقينا منذ البداية. وقد ثبت وجود علاقةٍ مشابِهةٍ، وإن بدرجة أقلّ، بين لغات البلطيق99(اللّيتوانيّة100 واللاّتفيّة101 والفارسيّة القديمة102) واللّغات السّلافيّة103. وتبيّن الصّواب في ظنّ جونس بأنّ اللّغات الجرمانيّة104 كانت ذات صلة باللاّتينيّة والإغريقيّة والسّنسكريتيّة، منذ الوهلة الأولى. كما ثبت في ما بعد ذلك ظنّه في شأن الكلتيّة (الإيرلنديّة105 والفاليّة106 والكورنيّة107 والبروطونيّة108 ولغة الغول109 القديمة). وتبيّن كذلك، في وقت متأخّر، أنّ الأرمينيّة110 والألبانيّة111 وبعض اللّغات القديمة الّتي لا نعرفها إلاّ من خلال نزر شحيح من الوثائق المكتوبة، تنتمي إلى الأسرة الهنديّة الأوروبّيّة.

وسرعان ما صارت المفترضات الماقبليّة العامّة لدراسة اللّغة دراسة تاريخيّة ومقارنيّة، واضحة رغم ما اكتنف بعض الدّقائق فيها من جدال. فاللّغات تتغيّر بمرور الزّمن. والحالات الشّاذّة في الظّاهر، من قبيل الاستعمال القروسطيّ والحديث للاّتينيّة (أو للسّنسكريتيّة في الهند)، لا تعود إلاّ إلى ما يلي: بحكم التّمدرس المديد، يمكن للنّاس أن يبرعوا في محاكاة لغة الكتابات القديمة. فهذا العمل الأثريّ الجبّار يختلف تمام الاختلاف عن انتقال الكلام من الأبوين إلى الأطفال بصفة عاديّة. وبالفعل، فالكتابة مطلقا اختراع حديث نسبيّا، وقد ظلّت، حتّى أيّامنا تقريبا، حكرا على بعض الأناس المختارين: أثرُ الكتابة على الأشكال وعلى تطوّر الكلام الفعليّ طفيف جدّا.

98 Iranian langugaes
99 Baltic languages
100 Lithuanian
101 Lettish
102 Old Persian
103 Slavic
104 Germanic languages
105 Irish
106 Welsh
107 Cornish
108 Breton
109 Gaul
110 Armenian
111 Albanese

فإذا كانت لغة ما جارية في رقعة واسعة، أو في بقاع كثيرة متفرّقة بفضل الهجرة، فإنّها تتغيّر، إذن، بوجوه مختلفة في الأماكن المختلفة، ويكون النّاتج مجموعة من اللّغات المتقاربة مثل الإيطاليّة والفرنسيّة والإسبانيّة والبرتغاليّة والرّومانيّة وسائر اللّهجات الرّوْمنيّة. نستنتج من ذلك أنّ المجموعات الأخرى من اللّغات المتقاربة الّتي تبين عن تشابه قريب مثل الجرمانيّة (أو السّلافيّة، أو الكلتيّة)، كانت قد ظهرت بنفس الطّريقة. وما غياب الوثائق المكتوبة من الحال المبكّرة لهذه اللّغة كما كان يُتكلّم بها قبل أن يكون التّمايز، إلاّ عارض من عوارض التّاريخ. ونطلق على هذه اللّغات الأمّ الغير موثّقة أسماءً من قبيل الجرمانيّة البدائيّة (السّلافيّة البدائيّة، والكلتيّة البدائيّة، وما إلى ذلك).112 وإذ وجدنا أنّ هذه اللّغات وهذه المجموعات (السّنسكريتيّة، الإيرانيّة، الأرمينيّة، اليونانيّة، الألبانيّة، اللاّتينيّة، الكلتيّة، الجرمانيّة، البلطيقيّة، السّلافيّة)، تشبه منها الواحدة الأخرى، بوجه يتجاوز مجرّد الصّدفة، فإنّنا نسمّيها، بنفس الطّريقة، أسرة اللّغات الهنديّة الأوروبّيّة؛ ونستنتج، كما فعل جونز، أنّها أشكال متباينة للغة قديمة وحيدة نطلق عليها اسم الهنديّة الأوروبّيّة البدائيّة.

وقد كان منهج المقارنة، كذلك، واضحا منذ البداية. وفي العموم، يجب أن تكون كلّ سمة مشتركة بين كلّ اللّغات المتقاربة أو بين العديد منها حاضرة خلال الطّور السّابق المشترك بينها، في "اللّغة الأمّ". يتّضّح، إذن، من خلال الأشكال المذكورة أعلاه من الكلمة الجارية على (mother) [أمّ]، في الهنديّة الأوروبّيّة القديمة، أنّ هذه الكلمة يجب أن تكون مبدوءة بالصّوت الّذي نشير إليه كتابةً بواسطة الحرف (*m*). وحيث لا تتّفق اللّغات المتقاربة، يكون من الضّروريّ أنّ جميعها أو بعضها قد أحدث نوعا من التّغيّر. يبين، حينئذ، أنّ الحرف الثّاني من الكلمة الجارية على (mother)[أمّ]، كان صوت (t) في الهنديّة الأوروبّيّة القديمة؛ وأنّ صوت (th) في الإنجليزيّة (وكذلك صوت (d) الأقدم منه في شكل (mōdor) في الإنجليزيّة القديمة) ناتج بالضّرورة عن التّغيّر.

.7 .1

وقد كانت بداية المقارنة النّظاميّة بين اللّغات الهنديّة الأوروبّيّة في مصنَّف يدرس لواحق تصريف الأفعال في السّنسكريتيّة واليونانيّة واللاّتينيّة والفارسيّة والألمانيّة نشره فرنتو بوبّ113 (1791–1867) سنة 1876. وفي 1818 بيّن راسموس كريستيان راسك114 (1787–1832) أنّ الكلم في اللّغات الجرمانيّة تحمل علاقة شكليّة منتظمة في المادّة الصّوتيّة بالكلم في اللّغات الهنديّة الأوروبيّة الأخرى.

112 تمثّل كلمة (*primitive*) [بدائيّ] هنا اختيارا ضعيفا إذ لا تعني شيئا غير أنّنا لا نملك أيّ وثائق مكتوبة عن هذه اللّغات. وللباحثين الألمان أداة أفضل في سابقة (*-ur*) [بدائيّ] المتوفّرة لديهم، والّتي بها يكوّنون أسماء من قبيل (*urgermanisch*) [الجرمانيّة البدائيّة]، و(*urslavisch*) [السّلافيّة البدائيّة]، و(*urkeltisch*) [الكلتيّة البدائيّة]، لهذا الغرض.

113 Franz Bopp (1791-1832)
114 Rasmus Kristian Rask (1787-1832)

فحيثما كان لسائر اللّغات صوت (*p*)، على سبيل المثال، كان للّغات الجرمانيّة (*f*)، كما في كلمة (*father*) [أب]: اللاّتينيّة (*pater*)، وفي كلمة (*foot*) [قَدَم]: اللاّتينيّة (pēs)، وفي (*five*) [خمسة]: اليونانيّة (*pente*)، وفي (*few*) [قليل]: اللاّتينيّة (*paucī*). وفي 1819، نشر جاكوب قريمّ (1787–1863) المجلّدَ الأوّل من كتابه (*Deutsche Grammatik*) [النّحو الجرمانيّ]، الّذي لم يكن، كما قد يوحي به العنوان في أيّامنا، نحوا في الألمانيّة، بل كان نحوا مقارَنيّا بين اللّغات الجرمانيّة (القوطيّة والاسكندنافيّة[115] والإنجليزيّة والفريزيّة[116] والهولنديّة[117] والألمانيّة). وفي الطّبعة الثّانية من هذا المجلّد سنة 1822، قدّم قريم عرضا نظاميّا للتّناسبات[118] في الحروف بين الجرمانيّة وسائر اللّغات الهنديّة الأوروبّيّة، ومنذ ذلك الوقت صارت تلك التّناسبات تعرَف عند الدّارسين المتكلّمين بالإنجليزيّة بقانون قريمّ[119]. وهذه التّناسبات مسألة في جزئيّة تاريخيّة، ولكنّ أهمّيتها كانت قاطعة إذ بيّنت أنّ العمل البشريّ في مجمله، ليس عشوائيّا في المطلق، بل يمكن أن يحدث حدوثا منتظما حتّى في أكثر المظاهر تفاهة من قبيل طريقة نطق الأصوات المفردة في درَج الكلام. وظلّت مقارنة قريمّ بين اللّغات الجرمانيّة إلى هذا اليوم بلا منازع؛ وقد ظهر ثلاثة مجلّدات أخرى سنة 1826 و1831 و1837؛ ولم يظهر قطّ المجلّدُ الخامس وقد كان من المفروض أن تُستكمَل به المقارنة الإعرابيّة.

وشرع بوبّ سنة 1833 في نشر مصنّف جامع هو عبارة عن نحو مقارَنيّ بين اللّغات الهنديّة الأوروبّيّة. وظهرت خلال الأعوام 1833 حتّى 1836 الطّبعة الأولى من (*Etymological Investigations*) [الأبحاث التّأثيليّة] لأوغيست فريديريش بوتّ[120] (1802–1887). وقد أخذ مصطلح (*etymology*) [تأثيل]، هنا و في جميع البحوث الحديثة كذلك، معنى دقيقا: تأثيل شكل لغويّ ما هو تاريخه ببساطة، ويكون الحصول عليه بالعثور على الأشكال الأكثر قِدما في اللّغة الواحدة وعن الأشكال في اللّغات المتقاربة الّتي تمثّل تنويعات متباينة من الشّكل الأمّ الواحد. وعلى هذا، يتحدّد تأثيل الكلمة الإنجليزيّة (*mother*) [أمّ]، بأن نذكر أنّ هذا الشّكل يمثّل النّسخة الحديثة لكلمة (*mōdor*) من الإنجليزيّة القديمة[121] في القرن التّاسع، والّتي ترتبط بكلمة (*mōðer*) في النُّرسِيّة القديمة[122]، و(*mōder*) في الفريزيّة القديمة، و(*mōdar*) في السّكسونيّة القديمة[123]، و(*muoter*) في الألمانيّة العليا القديمة[124] (تلك هي الأشكال المتوفّرة في أقدم الوثائق لكلّ من هذه اللّغات)؛ بمعنى أنّ هذه الأشكال تنويعات متباينة من كلمة جرمانيّة بدائيّة وحيدة نرمز إليها بـ(*mōder**)، وأنّ هذه الأشكال

115 Scandinavian
116 Frisian
117 Dutch
118 correspondence(s)
119 Grimm's law
120 August Friedrich Pott (1802-1887)
121 Old English
122 Old Norse
123 Old Saxon
124 Old High German

الجرمانيّة ترتبط بدورها ("شبيهة بـ") بـ(*mātā*) من السّنسكريتيّة، وبـ(*mātā*) من الأفَستيّة125 (الإيرانيّة القديمة) و(*mair*) من الأرمينيّة القديمة126، وبـ(*mētēr*) من اليونانيّة القديمة، وبـ(*motrε*) من الألبانيّة (ولكنّها تعني 'أخت')، وبـ(*māter*) من اللاّتينيّة وبـ(*māthir*) من الإيرلنديّة القديمة وبـ(*motē*) من اللّيتوانيّة (الّتي تعني 'زوجة')، وبـ (*mati*) من البلغاريّة القديمة (السّلافيّة)، ومرتبطة بالأشكال الأخرى الّتي تناسبها في كلّ واحدة من المجموعات اللّغويّة الّتي مثّلنا لها هنا، بمعنى أنّ جميع هذه الكلمات أشكال متباينة متأخّرة من كلمة هنديّة أوروبّيّة بدائيّة وحيدة نرمز إليها بـ(*mātēr**). وكما يتجلّى من هذا المثال، لا تظهِر التّأثيلات127 بمفهومها الحديث، بالضّرورة معنى أقدم وأكثر شفافيّة128 للكلمات. ويعود الفضل في تأثيلاتنا الحديثة في اللّغات الهنديّة الأوروبّيّة، في قسم كبير منها إلى أبحاث بوتّ129.

وقد بلغ التّقدّمُ خلال العقود الموالية وتيرةً عالية كانت تتقادم لها كلّ من الأطروحات القصيرة والمصنّفات المطوّلة تقادما سريعا. فمن بين هذه الأخيرة، حلّ محلّ مصنَّف بوبّ رغم طبعاته الجديدة، سنةَ 1861 كتابُ (Compendium of the Comparative Grammar of the Indo-European Languages) [الملخّص الوافي في النّحو المقارن للّغات الهنديّة الأوروبّيّة] لأوغيست شليشر130 (1823–1868). وشرع سنة 1886، كارل بروغمان (1849–1919) وبرتولد دالبروك (1842–1922)، في نشر كتابهما (Outline of the Comparative Grammar of the Indo-European Languages) [الموجز في النّحو المقارن للّغات الهنديّة الأوروبّيّة]؛ وما يعتَبَر اليومَ المرجع النّموذجيّ في البحث إنّما هي الطّبعة الثّانية من هذا الكتاب الّتي ظهرت من 1897 حتّى 1916.

وبتواصل العمل في ذلك، أُفرِدت رسائل أخرى أكثر تفصيلا، للواحد من الفروع المتمايزة من الأسرة الهنديّة الأوروبّيّة، تسير على نهج المصنَّف العظيم لجريمّ في الجرمانيّة. وبدأ فريدريش دياز131 (1794–1876) دراسة جادّة للّغات الرّومنيّة في كتابه (*Grammar of the Romance Languages*) [نحو اللّغات الرّومنيّة] (1836–1856)؛ وفتح يوهانّ كاسبار زوسّ132 (1806–1856) مجال اللّغات الكلتيّة في كتابه (*Grammatica Celtica*) (1853) [النّحو الكلتيّ]؛ وكتب فرانتز فون ميكلوزيش133 (1813–1891) (*Comparative Grammar of the Slavic Languages*) (1852–1875) [نحو اللّغات السّلافيّة المقارَن].

.8 .1

125 Avestan
126 Old Armenian
127 etymologies
128 transparent
129 Pott
130 August Schleicher (1823-1868)
131 Friedrich Diez (1794-1876)
132 Johann Kaspar Zeuss (1806-1856)
133 Frantz von Miklosich (1813-1891)

ولم تقصر هذه الدّراسات عن تسليط الضّوء على الكثير من المظاهر في التّاريخ وفي الآثار، ولكن تكمن أهمّيتها المباشِرة في ما أخبرت به عن الكلام البشريّ. فلئن كان للّغات الهنديّة الأوروبّيّة المتنوّعة أصل مشترك، فإنّ مَجاريها المتأخّرة كانت مستقلاّ بعضها عن بعض: وتوفّر بذلك للدّارس مجموعة واسعة من التّفاصيل في تغيّرات الكلام البشريّ مكّنته من التّعميم في طريقة ذلك التّغيّر.

فكانت الاستعاضة عن التّخمينات في الزّمن القديم بنتائج الاستقراء[134] العلميّ لاستخلاص الاستنتاجات في ما يخصّ الطّريقة الّتي بها تتغيّر اللّغات. وقد كتب وليام دوايت ويتناي[135] (1827–1894)، وهو عالم أمريكيّ، (*Language and the Study of language*) [اللّغة ودراسة اللّغة] (1867) و(*The Life and Growth of Language*) [حياة اللّغة ونموّها] (1874). وقد ترجِم هذان الكتابان إلى لغات أوروبّيّة عديدة، وقد يبدوان في أيّامنا ناقصين، ولكنّهما نادرا ما يُعتَبران متقادمين ومايزالان يُعتمدان مدخلا ممتازا في دراسة اللّغة. وظهر سنة 1880 كتاب (*Principles of Linguistic History*) [مبادئ التّاريخ اللّغويّ] لهرمانّ بول[136] (1846–1921)، الّذي صار على امتداد طبعاته المتعاقبة (ظهرت الخامسة سنة 1920)، العملَ المرجعيّ في مناهج اللّسانيّات التّاريخيّة.

ويُفسّر كتاب بوب "المبادئ"، باعتماد كمّ كبير من الأمثلة، عمليّةَ التّغيّر اللّغويّ الّتي كان قد كُشِف عنها في الدّراسات الهنديّة الأوروبّيّة. وكان لهذا الكتاب تأثير عظيم في الدّراسات اللّغويّة، وإن لم يُكتَب بأسلوب يضاهي كتاب ويتناي، ولكنّه أكثر منه تفصيلا وأحكم تنظيما، والدّارسون من الجيل الأخير يهملونه خلافا لما تقتضيه مصلحتهم. ويشكو كتاب "المبادئ" لبول، بالإضافة إلى أسلوبه ذي الجفاف الشّديد، من غلطات تبدو اليومَ جليّة لأنّها مرتبطة بمظاهر القصور في لسانيّات القرن التّاسع عشر.

وتكمن واحدة من تلك الغلطات في إهمال بول لدراسة اللّغة دراسة وصفيّة. وقد أقرّ أنّ أوصاف اللّغات كانت ضروريّة، ولكنّه قصر بحثه الفعليّ على موضوعات التّغيّر اللّغويّ. وهذا القصور يشاركه فيه بنو عصره. ويمكننا أن ندرس التّغيّر اللّغويّ بالاقتصار على المقارنة بين اللّغات المتقاربة أو بين الأطوار التّاريخيّة المتعاقبة تمرّ بها اللّغة الواحدة. فعلى سبيل المثال، يمكننا بملاحظة مظاهر التّماثل والاختلاف بين الإنجليزيّة والفريزيّة والهولنديّة والألمانيّة والاسكندنافيّة والقوطيّة، تكوين فكرة عن اللّغة الأقدم ("الجرمانيّة القديمة"[137]) الّتي كانت تلك اللّغات قد تباينت انطلاقا منها بمرور الزّمن، ويمكننا عندئذ أن ندرس التّغيّرات الّتي كانت قد حدثت في كلّ واحدة من هذه اللّغات المتأخّرة. أو بوجه آخر، يمكننا بالمقارنة بين الوثائق المتعلّقة بالإنجليزيّة القديمة (لتكن مثلا كتابات الملك ألفريد[138]) والإنجليزيّة الحديثة، أن نرى كيف تغيّرت الإنجليزيّة خلال السّنوات الألف الماضية. ومن الجليّ أنّ قدرتنا على إجراء

134 induction
135 William Dwight Witney (1827-1894)
136 Hermann Paul (1846-1921)
137 Primitive Germanic
138 King Alfred

هذه المقارنة ترتبط بمعرفتنا بالأشياء الّتي تجري المقارنة بينها. فمعرفتنا، مثلا، بتركّب الكلِم (كما في (*blackbird*) [شحرور، طائر أسود] أو (*footsore*) [قرحة القدم]) في اللّغات الجرمانيّة العديدة، معرفة منقوصة دون ريب. وبناء على هذا، لا يمكننا أن نمضي بعيدا جدّا في دراسة هذا الأمر دراسة مقارنيّة قد تخبرنا كيف كانت الكلم تتركّب في الجرمانيّة القديمة وكيف تبدّلت تلك العادات في ما لحق من تاريخ كلّ لغة جرمانيّة. وقد عانى دارسو تاريخ اللّغات في القرن التّاسع عشر من هذه القيود، لكن يبدو أنّهم لم يدركوا طبيعة الصّعوبة.

ويكمن الضّعف الكبير الآخر من "مبادئ" بول، في إلحاحه على التّأويل "النّفسيّ". فهو يرفق أحكامَه المتعلّقة باللّغة بشروح قوامها العمليّات الذّهنيّة الّتي يُفترَض أنّ المتكلّمين قد مرّوا بها. والدّليل الوحيد على هذه العمليّات الذّهنيّة إنّما هو العمليّة اللّغويّة. فهي لا تضيف شيئا إلى البحث بل لاتزيده إلاّ إبهاما. ففي كتاب بول وبصورة عامّة إلى حدود هذا اليوم، تشي اللّسانيّات بنزولها من رحم المضاربات الفلسفيّة عند قدماء الإغريق. فلم يبحث بول وأغلب معاصريه إلاّ في اللّغات الهنديّة الأوروبّيّة، وبين ذلك وازدرائهم للمسائل الوصفيّة، أهملوا الاشتغال بلغات كان تاريخها مجهولا. وقد صرفهم هذا القيد عن معرفة الأنواع الأجنبيّة من الأبنية النّحويّة الّتي كان يمكن أن تفتح أعينَهم على أنّ السّمات في النّحو الهنديّ الأوروبّيّ، حتّى الأساسيّة منها من قبيل نظام أقسام الكلم خاصّة، ليست بأيّ وجه من الوجوه، كونيّة في الكلام البشريّ. وباعتقادهم في أنّ هذه السّمات كونيّة، كانوا يلجؤون كلّما عالجوا الأساسيّات إلى التّفاسير الفلسفيّة والنّفسيّة الزّائفة.

1. 9.

بيد أنّه كان يجري،إلى جانب تيّار البحث التّاريخيّ الكبير، تيّار صغير لكنّه متسارع، في الدّراسة اللّسانيّة العامّة. فلم يُنسَ قطّ نحوُ الهندوس في السّنسكريتيّة تماما، وعندما كان الكثير من التّلامذة يستعملون نتائجه دون أن يعلموا بوجوده كان المعلّمون الّذين يعرفون بواكير علمهم يقدّرون قيمته. وبالنّسبة إلى اللّغات الهنديّة الأوروبّيّة الّتي كانت معروفة بدرجة أقلّ، ما كان يمكن أن تتَجنَّب الدّراسات الوصفيّة. وليس من الصّدفة، دون شكّ، أنّ أفضل هذه الدّراسات، في حقل اللّغات السّلافية ولغات البلطيق، قد وفّرها أوغيست لاسكيان139 (1840–1916)، وهو باحث ذو دور رئيسيّ في وضع أسس المناهج التّاريخيّة في البحث.

غير أنّ الدّراسات الوصفيّة، في أغلبها، لم تندمج في تيّار البحث التّاريخيّ الرّئيسيّ. فقد كان بعض الدّارسين ينجذبون إلى الخصائص البنيويّة في اللّغات من خارج المجموعة الهنديّة الأوروبّيّة، رغم أنّ تاريخ هذه اللّغات كان مجهولا. وفحص دارسون آخرون أنواعا من اللّغات حتّى يتكوّن لهم مسح فلسفيّ

139 August Leskian (1840-1916)

شامل للكلام البشريّ. وبالفعل فإنّ قسما كبيرا من الأعمال الوصفيّة القديمة يكاد لا يُفهم اليوم لما غلب عليه من المفاهيم الفلسفيّة الّتي لم تعد مألوفة عندنا.

وكان أوّل كتاب عظيم في اللّسانيّات العامّة رسالةً في الأنواع المختلفة من الكلام البشريّ بقلم وايهالم فون هيمبولدت140 (1767–1835) ظهرت سنة 1836. ونشر هـ. ستاينذال141 (1823–1899)، بالإضافة إلى كتابات أكثر عموما في أساسيّات اللّغة، سنةَ 1861 رسالةً في الأنواع الرّئيسيّة من البنية اللّغويّة. وفي عمَل ج. فون در جابيلنتز142 (1840–1893) في علم اللّغة (1891) نسبة من الفلسفة أقلّ بكثير. وبلغ هذا التّوجّه في الدّراسة أوجَه في كتاب شهير كتبه الفيلسوف وعالم النّفس فايلهالم ووندت143 (1832–1920) في اللّغة ظهر سنة 1900 جزءا أوّل من مصنّف في علم النّفس الاجتماعيّ. وقد أسّس ووندت نظريّته النّفسيّة في الكلام على كلّ ما أمكنه الوصول إليه من أوصاف اللّغات. ومن المفيد أن يُقرأ اليومَ نقدُ دالبروك144 المتخصّص في الهنديّة الأوروبّيّة وجوابُ ووندت وقد ظهر كلاهما في العام الموالي. ويَعترِض دالبروك على ووندت في اعتماد لغات ذات تاريخ مجهول؛ والمظهر الوحيد الجدير بالدّراسة، في رأيه، إنّما هو تغيّرها خلال الزّمان. ومن ناحية أخرى يلحّ ووندت على أهمّيّة التّأويل النّفسيّ باعتماد النّظام الّذي أقامه هو، في حين يقول دالبروك أن لا أهميّة للنّظام النّفسيّ المخصوص الّذي يمكن أن يختاره لسانيّ ما.

وفي تلك الأثناء، تبيّن بعض الدّارسين بوجه أوضح فأوضح العلاقةَ الطّبيعيّة بين الدّراسات الوصفيّة والدّراسات التّاريخيّة. وطبّق أوطّو بوتلينك145 (1815–1904) الّذي أعدّ الطّبعة الأوروبّيّة الحديثة لنحو بانيني146، التّقنية الوصفيّة على لغة ذات بنية مختلفة تمام الاختلاف، هي لغة ياكوت147 من روسيا الآسيويّة148 (1851). ونشر فريدريك ميلاّر149 (1838–1898) ملخّصا في علم اللّغة (1876–1888) تضمّن عروضا قصيرة عن اللّغات في العالم بصرف النّظر عن إمكانيّة قيام دراسة تاريخيّة في شأنها. وألحّ فرانتز نيكولاوس فينك150 (1867–1910)، في كلّ من مقالة نظريّة (1905) وكتاب صغير (1910) حلّل فيهما تحليلا وصفيّا ثمانيا من اللّغات لا صلة للواحدة منها بالأخرى، على الدّراسة الوصفيّة أساسا لكلّ من البحث التّاريخيّ والتّعميم الفلسفيّ. وكان فردينان دو

140 Wilhelm von Humboldt (1767-1835)
141 H. Steinthal (1823-1899)
142 G. von der Gabelentz (1840-1893)
143 Wilhelm Wundt (1832-1920)
144 Delbrück
145 Otto Böhtlingk
146 Pāṇini
147 Yakut
148 Asiatic Russia
149 Friedrich Müller
150 Franz Nikolaus Finck (1867-1910)

سوسّير151 (1857–1913) على امتداد سنوات قد بسط هذه المادّة في دروسه الجامعيّة؛ ونُشِرت بعد وفاته في شكل كتاب (1915).

وقد كان التّناول التّاريخيّ للأسر اللّغويّة غير الهنديّة الأوروبّيّة، غاية في الإقناع في هذا الصّدد. فمن جهة كانت الحاجة إلى المعطيات الوصفيّة شرطا لقيام عمل مقارنيّ أمرا بديهيّا هنا. ومن جهة أخرى أظهرت النّتائج أنّ عمليّات التّغيّر اللّغويّ كانت هي نفسها في جميع اللّغات بصرف النّظر عن بنيتها النّحويّة. فبواكير الدّراسة المقارنة للّغات الفنلنديّة الأوغْريّة152 (الفنلنديّة153، اللاّبيّة154، الهنغاريّة155، وما قاربها) تعود إلى 1799، وكانت قد تطّورت تطوّرا كبيرا. وأسّس الجزء الثّاني من كتاب همبولدت الشّهير النّحو المقارنيّ لأسرة اللّغات المالايو–بولينيزيّة156. ولنا اليومَ دراسات مقارنيّة لأسر أخرى من قبيل الأسرة السّاميّة157 وأسرة البنطو158 في أفريقيا. وما كان لدارسي اللّغات الأمريكيّة أن يغرقوا في خداع أنفسهم في ما يتعلّق بالحاجة إلى المعطيات الوصفيّة: ففي شمال المكسيك بمفرده العشرات من المجموعات اللّغويّة الّتي لا صلة للواحدة منها بالأخرى مطلقا، تقدِّم أشدّ أنماط البنية تنوّعا. وفي خضمّ الانكباب المطلق على تسجيل أشكال الكلام الغريبة، سرعان ما تبيّن الباحث أنّ التّحيّز الفلسفيّ ليس إلاّ عائقا.

وقد جلّى الاندماج بين تيّاري الدّراسة ذينك التّاريخيّ المقارنيّ159 والفلسفيّ الوصفيّ160، بعضَ المبادئ الّتي لم تكن واضحة عند علماء الهنديّة الأوروبّيّة في القرن التّاسع عشر، كما يمثّلهم، لنقل، هرمانّ بول161. فالدّراسة التّاريخيّة للّغة في كلّيّتها تتأسّس على المقارنة بين مجموعتين أو أكثر من المعطيات الوصفيّة. ولا يمكنها أن تكون دقيقة وكاملة إلاّ بقدر ما تسمح به تلك المعطيات. فلوصف لغة ما، لا يحتاج المرء إلى المعرفة التّاريخيّة مهما كانت. وبالفعل، يكون الدّارس الّذي يسمح للمعرفة من هذا القبيل بأن تؤثّر في وصفه ملزما بأن يشوّه معطياته. فمن الواجب أن تكون أوصافنا غير قائمة على حكم مسبق إن كان المراد لها أن توفّر أساسا سليما للعمل المقارنيّ.

فالتّعميمات المفيدة الوحيدة عن اللّغة هي التّعميمات162 الاستنباطيّة163. والسّمات الّتي نظنّ أنّها كونيّة، قد تغيب في اللّغة الّتي تصير متاحة فور الأخرى مباشرة. وبعض السّمات، من قبيل التّمييز

151 Ferdinand de Saussure (1857-1913)
152 Finno-Ugrian languages
153 Finnish
154 lappish
155 Hungarian
156 Malayo-Polynesian languages
157 Semitic
158 Bantu
159 historical-comparative
160 philosophical-descriptive
161 Hermann Paul
162 generalization(s)
163 inductive

بين شبه الفعل164 وشبه الاسم165 قسمين من الكلام منفصلين، على سبيل المثال، مشتركة بين لغات كثيرة، ولكنّها ناقصة في أخرى. فكون بعض السّمات، على أيّ حال من الأحوال، منتشرة أمر جدير بالملاحظة ويستدعي تفسيرا؛ وعندما يكون لدينا معطيات صالحة عن لغات كثيرة يجب علينا العود إلى مسألة النّحو العامّ وإلى تفسير مظاهر ذلك التّماثل166 وذلك التّباين167. غير أنّ هذه الدّراسة، عندما يحين أوانها، لن تكون تخمينيّة168 وإنّما تكون استنباطيّة.

وأمّا في ما يخصّ التّغيّر في اللّغة، فلنا ما يكفي من المعطيات لنبيّن أنّ عمليّات التّغيّر العامّة هي نفسها في جميع اللّغات وأنّها تأخذ الاتّجاه نفسه. وحتّى الأنواع المخصوصة جدّا من التّغيّر تحدث بنفس الطّريقة، ولكن بصفة معزولة، في أشدّ اللّغات تنوّعا. وسوف تتهيّأ هذه الأشياء كذلك في يوم ما عندما تكون معرفتنا أوسع، لمسح نظاميّ ولتعميم مثمر.

164 Verb-like
165 Noun-like
166similarities
167 divergences
168 speculative

الفصل الثّاني:

استعمال اللّغة

2. 1.

أصعب الخطوات في دراسة اللّغة هي الخطوة الأولى. وقد قارب العلم، مرارا وتكرارا، دراسة اللّغة دون الولوج فيها ولوجا فعليّا. فقد ظهر العلم اللّغويّ من مشاغل عمليّة نسبيّا من قبيل استعمال الكتابة ودراسة الأدب وخاصّة دراسة الوثائق القديمة ووصف الكلام الأنيق، ولكنّ النّاس يمكنهم أن يقضّوا أيّ مقدار من الزّمن في هذه الأشياء دون الولوج إلى الدّراسة اللّغويّة ولوجا فعليّا. وإذ يُحتمَل أن يكرّر الدّارس الفرد ما كان من تأجيل خلال التّاريخ، فإنّنا قد نحسن الصّنيع بالحديث عن هذه الأمور حتّى نميّزها من موضوع دراستنا.

فالكتابة ليست اللّغةَ، بل هي مجرّد طريقة في توثيق اللّغة بواسطة علامات مرئيّة. وقد كانت الكتابة في بعض البلدان مثل الصّين، ومصر، وبلاد ما بين النّهرين، تمارس منذ آلاف من السّنوات، ولكنّها اعتُمِدت في معظم اللّغات الّتي يُتكلّم بها اليوم إمّا في العهود المتأخّرة نسبيّا أو لم تعتَمَد فيها البتّة. وفوق ذلك كانت معرفة الكتابة والقراءة، حتّى عصر الطّباعة، محصورة في عدد قليل جدّا من النّاس. فجميع اللّغات كان يتكلّمها خلال تاريخها كلّه تقريبا، ناس لا يقرؤون ولا يكتبون؛ وقد كانت لغات هذه الشّعوب تضاهي تماما لغات الأمم القارئة الكاتبة ثباتا وانتظاما وثراء. فاللّغة لغة بغضّ النّظر عن نظام الكتابة الّذي قد يُعتَمد في توثيقها، تماما مثل ما يكون الشّخص هو هو بغضّ النّظر عن الطّريقة الّتي بها تَلتَقِط له صورته. فلليابانيّين ثلاثة أنظمة في الكتابة وهم بصدد بلورة نظام رابع. وعندما اعتمد الأتراك، سنة 1928، الأبجديّة اللاّتينيّة بدل الأبجديّة العربيّة، استمرّوا يتكلّمون تماما بنفس الطّريقة الّتي كانوا يتكلّمون بها قبل ذلك. ولدراسة الكتابة يجب أن نعرف شيئا عن اللّغة، ولكنّ العكس ليس صحيحا. ولنكون واثقين فإنّنا نحصل على المعلومات عن الكلام في العصور الماضية أساسا من الوثائق المكتوبة– ولهذا السّبب، سندرس، من صلة أخرى، تاريخ الكتابة– ولكنّنا نجد أنّ هذا الأمر عائق. وعلينا أن نلزم الكثير من الحذر في تحويل الرّموز المكتوبة إلى كلام فعليّ؛ وغالبا ما نفشل في ذلك ونخيّر دوما أن تكون لدينا الكلمة المسموعة[169].

فالأدب، سواء أكان ماثلا في شكل منطوق، أم في شكل مكتوب كما في المألوف عندنا، يتمثّل في ملفوظات جميلة أو مرموقة بوجه من الوجوه. فدارس الأدب يتأمّل كلامَ بعض الأشخاص (لنَقُل، كلام شكسبير) وهمّه العناية بالمضمون وبسِمات الشّكل غير المعهودة. ولكنّ مشغل الباحث في فقه اللّغة

169 audible

أوسع بكثير، لأنّه معنيّ بالدّلالة الثّقافيّة وبالخلفيّة المتوفّرة في ما يقرأ. واللّسانيّ، من جهة أخرى، يدرس اللّغة الّتي يتكلّمها جميع النّاس على السّواء. فالسّمات الفرديّة الّتي تتميّز بها لغة كاتب عظيم عن الكلام العاديّ في زمانه ومكانه، لا تهمّ اللّسانيَّ أكثر ممّا تهمّه السّمات الفرديّة في كلام أيّ شخص آخر، ولا أقلّ ممّا تهمّه السّمات المشتركة بين جميع المتكلّمين.

وتمييز الكلام الأنيق أو "الصّحيح" نتاج جانبيّ لظروف اجتماعيّة معيّنة. وعلى اللّسانيّ أن يرصده كما يرصد سائر الظّواهر اللّغويّة. فأن ينعت المتكلّمون شكلا كلاميّا ما بأنّه "حسَن" أو "صحيح"، أو بدل ذلك بأنّه "قبيح" أو "غالط"، مجرّد جزء من معطيات اللّسانيّ في خصوص ذلك الشّكل الكلاميّ. وغنيّ عن القول إنّ ذلك لا يبيح له أن يهمل جزءا من مادّته أو يزيّف وثائقه: فهو يرصد جميع أشكال الكلام رصدا واحدا دون تمييز. ومن واجبه أن يكشف عن الظّروف الّتي ينعت فيها المتكلّمون شكلا ما بطريقة أو بأخرى، وأن يكشف في حال كلّ شكل مخصوص، لِمَ نعتوه بذلك النّعت: على سبيل المثال، لمَ يقول الكثير من النّاس إنّ (*ain't*) شكل "قبيح" وإنّ (*am not*) شكل "حسَن". وليس هذا إلاّ واحدا من مشاكل اللّسانيّات، وإذ لم يكن مشكلا جوهريّا فلا يكون التّصدّي له إلاّ بعد أن تُعرَف أشياء كثيرة أخرى. والغريب بما فيه الكفاية أنّ النّاس من غير ذوي التّكوين اللّسانيّ يخصّصون قسما كبيرا من الجهد لمناقشات عقيمة في هذا الموضوع دون أن يتدرّجوا لدراسة اللّغة الّتي قد تكون السّبيل الوحيد إلى الحصول على المفتاح. فدارس الكتابة، أو الأدب أو فقه اللّغة، أو الكلام الصّحيح، إذا كان على قدر كاف من المواظبة والتّنظيم المنهجيّ قد يدرك بعد ضياع بعض الجهد أنّه كان من الأفضل أن يدرس اللّغة أوّلا ثمّ يعود بعد ذلك إلى هذه المشاكل. فيمكن أن نكفي أنفسنا مشقّة هذا المنعطف الطّويل بأن نتوجّه أوّلا إلى رصد الكلام العاديّ. فنبدأ بتأمّل عمل تلفّظ بالكلام في ظروف بسيطة جدّا.

.2 .2

لنفترض أنّ جاك وجِلّ يمشيان نزولا في ممرّ. جِلّ جائعة، ترى تفّاحة على شجرة. تحدث حسّا بحنجرتها ولسانها الكلام وسائر جاك على السّياج، يتسلّق الشّجرة، يأخذ التّفّاحة، ويأتي بها إلى جِلّ ويضعها في يدها، تأكل جِلّ التّفّاحة.

يمكن لهذه المسلسلة من الأحداث أن تُدرَس بوجوه عديدة، لكنّنا نميّز بالطّبع، من حيث كنّا دارسين للّغة، بين عمل الكلام170 وسائر الأعمال الّتي سنطلق عليها الأحداث العمَليّة171. ومن زاوية النّظر هذه، تتمثّل الواقعة في ثلاثة أجزاء مرتّبة في الزّمان:

أ- أحداثٌ عمليّةٌ سابقةٌ على عمل الكلام.

ب- الكلام.

170 act of speech
171 practical event(s)

ج- أحداثٌ عمليّةٌ لاحقة على عمل الكلام.

سنفحص أوّلا الأحداث العمليّة، (أ) و (ج). فالأحداث في (أ) تهمّ أساسا المتكلّمة، جِلّ. لقد كانت جائعة، يعني ذلك أنّ بعض العضلات منها كان يتقبّض وأنّ بعض السّوائل كانت تُفرَز، خاصّة في معدتها. وربّما كانت عطشى كذلك فجفّ منها اللّسان والحنجرة. وانطبعت موجات الضّوء المنعكسة من التّفّاحة الحمراء على عينيها، ورأت جاكّ بجانبها. ومعاملاتها السّابقة مع جاك يجب أن تدخل الآن في الصّورة؛ لنفترضْ أنّها تتكوّن من علاقة عاديّة مثل علاقة أخ وأخت أو علاقة زوج وزوجة. ونطلق على جميع هذه الأحداث الّتي تسبق كلام جِلّ وتعنيها هي، مثير المتكلّم.172

نعود الآن إلى (ج)، أي الأحداث العمليّة الّتي وردت بعد كلام جاستجابة السّامعساسا السّامع جاك، وتتمثّل في إحضار التّفّاحة وإعطائها إلى جِلّ. ونطلق على الأحداث العمليّة الّتي تتلو الكلام وتهمّ السّامع، استجابة173 السّامع. وتهمّ الأحداث الّتي تتلو الكلامَ جِلّ كذلك، يكون ذلك بوجه مهمّ جدّا: تمسك هي بالتّفّاحة في قبضتها وتأكلها.

يبين من الوهلة الأولى أنّ حكايتنا بأكملها تقوم على بعض الظّروف من مستويات أبعد مرتبطة بـ(أ) و(ج). فلا يسلك كلٌّ جاك وجِلّ سلوك هذين. فلو كانت جِلّ خجولة أو كانت قد عاشت تجارب أليمة مع جاك، قد تكون جائعة وترى التّفّاحة ومع ذلك لا تقول شيئا. ولو كان جاك غير مستعدّ لخدمتها، قد لا يحضر لها التّفّاحة وإن كانت قد طلبتها. فحدوث174 كلام ما (وصياغته175 في شكل كلمات، كما سنرى) وسير الأحداث العمَليّة في كلّيتها قبله وبعده، إنّما يقوم على قصّة الحياة بأكملها عند المتكلّم وعند السّامع. ونفترض في هذه الحالة أنّ جميع العوامل المهيّئة176 تلك، كانت على شاكلة تَنتُج لها الحكاية كما رويناها. وبافتراض ذلك، نريد أن نعرف الدّور الّذي كان للكلام الملفوظ177 (ب) في هذه الحكاية.

فلو كانت جِلّ بمفردها، قد تكون جائعة ظمأى جوعَها وظمأَها في الحكاية، وقد تكون رأت التّفّاحة نفسها. فإن كانت لها القوّة والمهارة الكافيتان للقفز على السّياج وتسلّق الشّجرة، أمكنها أن تمسك بالتّفّاحة وأن تأكلها؛ وإن لم يكن ذلك كان عليها أن تبقى على جوعها. فتكون جلّ الوحيدةُ في الوضعيّة عينها الّتي يكون فيها الحيوان الأعجم178. فإذا كان الحيوان جائعا ورأى أو اشتمّ الغذاء، تنقّل في اتّجاه الغذاء، ويرتبط نجاحه في الحصول على الغذاء بقوّته ومهارته. فتكون حال الجوع ورؤية الغذاء أو شمّه مثيرا (نرمز إليه بحرف (ث)) والحركات في اتّجاه الغذاء ردّ فعل (نرمز إليه بحرف (ر)). فجِلّ الوحيدة والحيوان الأعجم لا يتصرّفان إلاّ بطريقة واحدة، أي

172 speaker's stimulus
173 response
174 occurrence
175 wording
176 predisposing factor(s)
177 speech-utterance
178 speechless

ث ------> ر

فإن اشتغل هذا حصلا على الغذاء؛ وإن لم يشتغل– أي إن لم يكونا قويّينالغذاء فرص يكفي للحصول على الغذاء بتحقيق الأعمال (ر)– عليهما البقاء على جوعهما.

وبطبيعة الحال، يكون من المهمّ لراحة جلّ أن تحصل على التّفّاحة. وفي أغلب الأحوال لا يكون الأمر مسألة موت أو حياة، وإن كان كذلك في بعض الأحيان؛ غير أنّه يكون على المدى البعيد لجِلّ (أو للحيوان) الّتي تحصل على الغذاء فرص أفضل بكثير للعيش ولتعمير الأرض. فيكون، حينئذ، كلّ تدبير179 يزيد من فُالكلام فيي الحصول على التّفّاحة، نافعا إيّاها نفعا عظيما. وقد انتفعت جِلّ النّاطقة في حكايتنا، بهذا القبيل من التّدبير. فقد كان لها، بدايةً، للحصول على التّفّاحة الحظّ نفسه الّذي كان لجِلّ الوحيدة أو للحيوان الأعجم. غير أنّ لجِلّ النّاطقة، بالإضافة إلى ذلك، فرصةً أخرى لا يشاركها فيها الآخران. وعِوض أن تُجهِد نفسها في القفز على السّياج وتسلّق الشّجرة، أحدثت قليلا من الحركات الصّغيرة في حلقها وفمها أنتجت حسّا خفيفا. وسرعان ما أخذ جاك ينجز ردود الفعل تجاهها، فحقّق أعمالا لا قدرة لجِلّ عليها، وفي النّهاية حصلت جِلّ على التّفّاحة. *فاللّغة تجعل شخصا ما قادرا على إحداث ردّ الفعل (ر) عندما يكون لشخص آخر المثير (ث).*

وفي الحال المُثلَى، يكون على ذمّة كلّ شخص، في مجموعة من النّاس يكلّم بعضهم بعضا، قوّةُ كلّ واحد في المجموعة ومهارتُه. فعلى قدر الاختلاف بين هؤلاء الأشخاص في المهارات المخصوصة، يتّسع مدى القوّة الّتي يتحكّم فيها كلّ شخص واحد. فيكفي أن يكون شخص واحد فقط متسلّقا ماهرا إذ يمكنه أن يحضر الغلال للبقيّة جميعا، ويكفي أن يكون واحد فقط صيّادَ سمك ماهر إذ يمكنه أن يزوّد الآخرين بالسّمك. *فتقاسم العمل، ومعه كامل العمل في المجتمع البشريّ، إنّما يرجع إلى اللّغة.*

.3 .2

وبعد هذا، وجب أن نفحص (ب)، أي حدثَ الكلام180 في حكايتنا. وهذا، بطبيعة الحال، هو الجزء الّذي يعنينا، من حيث كنّا دارسين للّغة، بشكل رئيسيّ. ففي كامل عملنا، إنّما نرصد (ب)، ولا يعنينا (أ) و(ج) إلاّ للصّلة الّتي لهما بـ(ب). وبفضل علم الفيزيولوجيا181 وعلم الفيزياء، نعرف قدرا كافيا عن حدث الكلام لندرك أنّه يتكوّن من ثلاثة أجزاء:

(ب1) حرّكت المتكلّمة، جِلّ، حبالها الصّوتيّة182 (عضلتان صغيرتان في تفّاحة آدم) وفكّها السّفليّ ولسانها وما إلى ذلك، بطريقة تحوّل بها النّفَس إلى شكل أمواج صوتيّة. وحركات المتكلّمة هذه ردُّ

179 arrangement
180 speech-event
181 physiology
182 vocal chord(s)

فعل على المثير (ث). فعوض أن تنجِز ردَّ الفعل العمَليّ (أو المعالجيّ183) (ث) – أي الشّروع واقعيّا في الحصول على التّفّاحة– أنجَزت هذه الحركاتِ الصّوتيّةَ، ردَّ فعل كلاميّ184 (أو بديل185)، نرمز إليه بحرف (ر ل (ردّ فعل لغوي)). وباختصار، لا يكون حينئذ لجِلّ، من حيث هي شخص ناطق، طريقة واحدة في ردّ الفعل على مثير بل طريقتان:

ث ------> ر (ردّ فعل عمليّ)

ث ------> ر ل (ردّ فعل بديل لغويّ).

وهي في هذه الحال أنجزت الأخيرَ.

(ب 2) أحدثت موجات الصّوت الجارية على النَّفَس داخل فم جِلّ، في الهواء المحيط حركةً مَوْجِيّة186 مماثلة.

(ب3) انطبعت هذه الموجات الصّوتيّة الحادثة في الهواء المحيط على طبلة أذني187 جاك وجعلتهما ينزّان نزيزا ذا أثر على الخلايا العصبيّة عند جاك: سمع جاك الكلام. وعمِل هذا السّماع مثيرا لجاك: رأيناه يجري ويحضر التّفّاحة ويضعها في كفّ جِلّ، كما لو كان المثير جوعُ جِلّ–التّفّاحة عاملا فيه. فقد يستنتج مشاهد ما من كوكب آخر لا يعرف أنّ شيئا من قبيل الكلام البشريّ موجود، أنّ عضوا حسّيّا ما في موضع ما من جسد جاك قد أخبره، "جِلّ جائعة وترى تفّاحة هناك على شجرة." وباختصار، يردّ جاك، من حيث هو شخص ناطق، الفعلَ على نوعين من المثيرات: مثيرات عمليّة من نوع (ث) (من قبيل الجوع ورؤية الغذاء) ومثيرات من نوع الكلام (أو البديلة) وهي بعض النّزيز في طبلة أذنيه نرمز إليها بحرف (ل). فعندما نرى جاك يفعل أيّ شيء (لنَقُل، إحضار تفّاحة)، قد لا يرجع عمله، كما هو حال أعمال الحيوان، إلى مثير عمَليّ (من قبيل الجوع في معدته، أو رؤية تفّاحة) فقط، بل يعود كذلك، كما يجري في الغالب، إلى مثير كلاميّ. فأعماله (ث)، قد لا تنقدح بنوع واحد من المهيّئات بل بنوعين من القوادح188:

(مثير عمَليّ) ث ------> ر

(مثيربديل لغويّ) ث ل ------> ر

183 handling
184 speech reaction
185 substitute reaction
186 wave-motion
187 ear-drum(s)
188 prodding(s)

ومن البيّن أنّ الصّلة بين حركات جِلّ الصّوتيّة (ب1) وسماع جاك (ب3) محلّ لقدر ضئيل من الشّكّ أو التّنوّع، لأنّها مجرّد موجات صوتيّة تمرّ عبر الهواء (ب2). فلو رمزنا إلى هذه الصّلة بخطّ منقّط، يمكننا أن نرمز إلى الوجهين في الاستجابة البشريّة لمثير ما بهذين الرّسمين البيانيّين:

ردّ فعل صامت: ث ------> ر

ردّ فعل بتوسّط الصّامت غالبا--> رل..... ث ل------> ر.

والفرق بيّن النّوعين بيّن. يحدث ردّ الفعل الصّامت189 غالبا في داخل الشّخص كما يحدث المثير؛ والشّخص الّذي يتقبّل المثيرَ هو الوحيد الّذي يمكنه أن يُحدِث الاستجابة.190 ووفقا لذلك تقتصر الاستجابة على أيّ عمل يمكن أن ينجزه متقبّل191 المثير. ومقابل هذا، يمكن أن يحدث ردّ الفعل الصّامت إلاّ في داخل شخص لم يبلغه المثير العمَليّ؛ فالشّخص الّذي يبلغه مثير يمكنه أن يهيّئ شخصا آخر لإحداث استجابة ما؛ وهذا الشّخص الآخر يمكنه أن يفعل أشياء لا يمكن للمتكلّم أن يفعلها. وتمثّل الأسهم في رسومنا البيانيّة تسلسل الأحداث في داخل جسم شخص- تسلسل لأحداث نعتقد أنّه راجع إلى بعض الخصائص في النّظام العصبيّ. وعلى هذا، لا يمكن أن يقع ردّ الفعل الصّامت إلاّ في داخل الجسم الّذي تقبّل المثير. وفي ردّ الفعل بتوسّط الكلام، من ناحية أخرى، توجد الصّلة الّتي تتمثّل في موجات صوتيّة في الهواء (هي المشار إليه بخطّ منقّط): يمكن أن يحدث ردّ الفعل بتوسّط الكلام في داخل جسم أيّ شخص يسمع الكلام؛ فتتضاعف إمكانيّات ردّ الفعل تضاعفا هائلا لأنّ السّامعين المختلفين يمكن أن يكونوا قادرين على أنواع كثيرة جدّا من الأعمال. والفراغ192 الكائن بين جسدي المتكلّم والسّامع – الفجوة193 بين النّظامين العصبيّين- إنّما يملأ بالجسر الّذي تقيمه الموجات الصّوتيّة.

والأشياء المهمّة، من زاوية بيولوجيّة، هي نفسها في كلٍّ من رَدِّ الفعل الصّامت وتحقّقِه نطقيّا، أي (ث) (الجوع ورؤية الغذاء) و (ر) (الحركات الّتي يكون بها تحصيل الغذاء أو الفشل في تحصيله). فهذا هو الطّور العمَليّ من الوضعيّة. والتّحقّق الكلاميّ، ث ل ..... ر ل، مجرّد وسيلة يمكن أن يَحدُث بها (ث) و(ر) في الأفراد المختلفين. فلا يهتمّ الآدميّ العاديّ إلاّ بـ(ث) و(ر)؛ فرغم أنّه يستعمل الكلام ويتطوّر به فهو لا يعيره أيّ اهتمام. فالنّطق بكلمة (*apple*) [تفّاحة]، أو سماعها وهي تقال لا يشبِع أحدا من جوع. فما هي مع باقي الكلام، إلاّ طريقة في الحصول على معونة واحد من رفاقه. ولكنّنا، من حيث كنّا دارسين للّغة، نهتمّ بحدث الكلام على وجه التّحديد (ث ل..... ر ل)، وهو غير ذي قيمة في ذاته، لكنّه وسيلة لتحقيق غايات عظيمة. فنحن نميّز بين اللّغة، موضوع دراستنا، والأحداثِ الواقعيّة194 أو

189 speechless
190 response
191 receiver
192 gap
193 discontinuity
194 real events

العمليّةِ، وبين المثيرات وردود الفعل. وعندما نتبيّن أنّ شيئا لا أهمّيّة له في الظّاهر، ذو صلة شديدة بالأشياء الأهمّ، نقول إنّه ذو "معنى195" في نهاية المطاف، أي أنّه "يعني" تلك الأشياء الأهمّ. ووفقا لذلك نقول إنّ الكلام الملفوظ الّذي يكون في ذاته تافها غير ذي أهمّيّة، مهمّ لأنّه ذو معنى: يتمثّل المعنى في الأشياء المهمّة الّتي يقترن بها الكلام الملفوظ (ب)، أي الأحداث العمليّة ((أ) و (ج)).

2. 4.

تستجيب بعض الحيوانات لمثيرات بعضها البعض، إلى حدّ ما. ومن البيّن أن يكون التّعاون العجيب بين النّمل أو النّحل راجعا إلى شكل من أشكال التّفاعل196. والأصوات الجارية وسيلةً في ذلك مألوفةٌ بما فيه الكفاية: فالجندب197 (صرّار اللّيل)، على سبيل المثال، ينادي الجنادب الأخرى بالصّرير198 بأن يفرك السّاق على البدن فركا يحدث ضجيجا199. وتستعمل بعض الحيوانات، البشر مثلا، ضجيجا صوتيّا. وتُحدث الطّيور أمواجا صوتيّة بواسطة المصفار200، وهو زوج من الأعضاء شبيهة بالمزمار عند رأس الرّئتين. وللثّدييّات العليا201 حنجرة202 هي تجويف غضروفيّ203 (تسمّى عند البشر تفّاحة آدم) في أعلى قصبة الرّئة.204 وداخل الحنجرة، إلى اليمين وإلى اليسار، عضلتان تشبهان الألواح205 تمتدّان على الجدران بأكملها؛ وعندما تتمطّى تانك العضلتان، وهما الحبال الصّوتيّة، تمطّيا موتورا، يسري فيهما لمرور النّفس الصّاعد نزيز206 منتظم يُحدِث حسّا.207 هذا الحسّ نسمّيه *الصّوت*.208

ويختلف الكلام البشريّ بطاقته التّمييزيّة209 العظيمة عن الأعمال شبه الإشاريّة210 الّتي تحدثها الحيوانات بما فيها تلك الّتي تكون من الحيوانات الّتي تستخدِم الصّوت. فالكلاب، على سبيل المثال، تحدث نوعين أو ثلاثة من الضّجيج، لنقل، النّباح والهرير والأنين: فالكلب الواحد يمكن أن يحمِل كلبا آخر على فعل شيء بواسطة هذه الإشارات211 القليلة المختلفة فقط. وتستطيع طيور الببّغاء أن تحدِث من الضّجيج أنواعا كثيرة شتّى، ولكنّها لا تحدِث، في ما يبدو، استجابات مختلفة لأصوات مختلفة.

195 meaning
196 interaction
197 cricket (grillon)
198 stridulation
199 noise
200 syrinx
201 Higher mammals
202 larynx
203 cartilage
204 wind-pipe
205 shelf-like
206 vibration
207 sound
208 voice
209 differentiation
210 signal-like
211 signal

والإنسان يتلفّظ بأنواع كثيرة من الحسّ الصّوتيّ ويستفيد من هذا التّنوّع: فيحدِث أنواعا مخصوصة من الحسّ الصّوتيّ في ظروف مخصوصة، وتكون من رفاقه عندما يسمعون تلك الأصوات نفسها، الاستجابةُ الملائمةُ. باختصار، في الكلام البشريّ يكون للأصوات المختلفة معان مختلفة. ودراسة هذا التّناسق بين معان مخصوصة وأصوات مخصوصة هي دراسة اللّغة. هذا التّناسق يمكّن البشر من التّفاعل بقدر كبير من الدّقّة. فعندما ندلّ شخصا ما، على سبيل المثال، على عنوان منزل لم يره قطّ، إنّما نفعل شيئا لا يستطيع أيّ حيوان فعلَه. فالأمر لا يقتصر فقط على أن تكون في خدمة كلّ شخص قدُراتُ الكثير من الأشخاص الآخرين، بل إنّ هذا التّعاون محكَم جدّا. وانتشار هذا العمل الجماعيّ ودقّته مقياس النّجاح في نظامنا الاجتماعيّ. ومصطلح مجتمع أو كيان اجتماعيّ[212] ليس استعارة[213]. إنّما تمثّل مجموعة اجتماعيّة بشريّة، على التّحقيق، وحدة من درجة عليا بالقياس إلى حيوان وحيد، تماما مثلما يكون حيوان متعدّد الخلايا[214] وحدة من درجة عليا بالقياس إلى خليّة مفردة. تتعاون الخلايا المفردة في الحيوان المتعدّد الخلايا بواسطة تشكّلات من قبيل النّظام العصبيّ، ويتعاون الأفراد في مجتمع بشريّ ما بواسطة الأمواج الصّوتيّة[215].

والطّرق المختلفة في تحقيق المصلحة باللّغة غاية في البيان لا نحتاج فيه إلى أن نعدّد إلاّ قليلا منها. فيمكننا أن نجعل التّواصل على مراحل. فعندما يقول بعض المزارعين أو التّجّار: *"نريد جسرا على هذا النّهر"*، يمكن أن ينتقل هذا الخبر من اجتماع عامّ في مدينة فهيئة تشريعيّة محلّيّة فإدارة طرقات فهيأة مهندسين فمكتب مقاولات، من خلال متكلّمين كثيرين ومحطّات كلاميّة[216] كثيرة، إلى أن يحدِث، في نهاية المطاف، فريق من العمّال استجابةً للمثير الأصليّ الصّادر عن المُزارع، حركات الاستجابة الحقيقيّة (العمَليّة) في إقامة الجسر. وترتبط خصيصة المرحليّة في الكلام ارتباطا وثيقا بسمة التّجريد[217] فيه. فليس لمحطّات الكلام ما بين المثير العمَليّ والاستجابة العمَليّة، أثر عمليّ مباشر. ولذلك يمكن أن تصاغ في جميع الأنواع من الأشكال، شريطة أن يعيد المرء صياغتها صياغة صحيحة قبل أن يستأنف نقلها في اتّجاه الاستجابة العمليّة النّهائيّة. فالمهندس الّذي يختطّ الجسر ليس مطالبا بأن يعالج الأطواق المعدنيّة والعوارض الخشبيّة الحقيقيّة، فهو يعمل بأشكال الكلام (من قبيل الأعداد في الحسابات)؛ فإذا أخطأ لم يحطّم أيّ شيء من موادّ البناء؛ وكلّ ما يحتاج إليه هو مجرّد تعويض للشّكل الكلاميّ الخاطئ (لنقل، رسم بيانيّ خاطئ) بشكل مناسب قبل أن يشرع في عمَل البناء الفعليّ. وفي هذا تكمن قيمة *الحديث إلى النّفس*[218] أو *التّفكير*[219]. فنحن نكلّم أنفسنا بصوت عال، كما يفعل الأطفال. ولكنّنا، بفعل تقويم

212 social organism
213 metaphor
214 many-celled animal
215 sound-wave(s)
216 relay(s) of speech
217 abstraction
218 talking to oneself
219 thinking

الكبار لنا، نتعلّم سريعا حذفَ الحركات المنتجة للأصوات وتعويضَها بحركات غير قابلة للسّمع أو تكاد: إنّنا *"نفكّر بالكلمات220"*. ويمكن التّمثيل لفائدة التّفكير بعمليّة العدّ. فقدرتنا على تقدير الأعداد دون استعمال الكلام محدودة جدّا كما يمكن أن يراه أيّ واحد بالنّظر الخاطف، مثلا، إلى صفّ من الكتب على رفّ. فالقول إنّ مجموعتين من الأشياء *"لهما نفس العدد"* يعني أنّنا إذا ما أخذنا شيئا واحدا من الأولى ووضعناه إزاء شيء واحد من المجموعة الثّانية، وواصلنا فعل ذلك دون استعمال أيّ من الأشياء أكثر من مرّة واحدة، لا يتبقّى لنا شيء غير زوجيّ221. ولكن، لا يمكننا أن نفعل ذلك دائما. فالأشياء قد تكون ثقيلة جدّا فلا نستطيع تحريكها، أو قد تكون في مواضع مختلفة من العالم، أو يمكن أن توجد في أزمنة مختلفة (كما تكون، مثلا، نتفة من صوف الغنم قبل عاصفة وبعدها). وهنا تدخل اللّغة. فالأرقام *واحد*، *اثنان*، *ثلاثة*، *أربعة*، وهكذا دواليك، هي ببساطة سلسلة من الكلمات تعلّمناها لننطق بها في ترتيب ثابت، بدائلَ من العمليّة الّتي وصفنا أعلاه. وباستعمالها يمكننا أن "نعدّ"222 أيّ مجموعة من الأشياء بأن نضعها على أساس التّناسب واحدا بواحد223 (كما يسمّيها أهل الرّياضيّات) بينها وبين أسماء العدد، أي بأن نقول *واحد* لواحد من الأشياء، *اثنان* لشيء آخر، *ثلاثة* للموالي، وهكذا دواليك، منتبهين إلى أن لا نستعمل الشّيء الواحد منها إلاّ مرّة واحدة، حتّى نستنفد الأشياء في المجموعة. لنفترض أنّنا عندما قلنا "تسعون"، لم يبق شيء. بعدئذ يمكن أن نحكم، في أيّ زمان أو مكان، بأنّ أيّ مجموعة من الأشياء لها نفس العدد الّذي لهذه المجموعة الأولى، بمجرّد إعادة عمليّة العدّ على المجموعة الجديدة. فالرّياضيّات، من حيث كانت الاستعمال الأمثل للّغة، إنّما هي مجرّد بلورة لهذه العمليّة. فاستعمال الأعداد يمثّل أبسط الحالات وأوضحَها من فوائد الحديث إلى النّفس، ولكن هناك حالات أخرى كثيرة. فنحن نفكّر قبل أن نعمل.

.5 .2

تختلف الأصوات اللّغويّة المخصوصة الّتي يتلفّظ بها النّاس تجاه مثيرات مخصوصة، باختلاف المجموعات البشريّة؛ فالنّوع البشريّ يتكلّم لغات عديدة. تمثّل المجموعة البشريّة الواحدة الّتي تستعمل نظام الإشارات الصّوتيّة224 نفسَه *مجموعة لغويّة*.225 ومن البيّن أنّ قيمة اللّغة كامنة في استعمال النّاس لها على طريقة واحدة. فيجب على كلّ عضو من المجموعة الاجتماعيّة أن يتلفّظ بالأصوات اللّغويّة المناسبة في المقام المناسب وأن يكون له عندما يسمع شخصا آخر يتلفّظ بتلك الأصوات اللّغويّة،

220 think in words
221 unpaired
222 count
223 one-to-one correspondence
224 speech signal(s)
225 speech-community

الاستجابة المناسبة. فيكون من الواجب عليه أن يتكلّم بما يُفهَم عنه وأن يَفهَم ما يقوله الآخرون. يستقيم هذا الأمر حتّى في أدنى المجموعات البشريّة تحضّرا؛ فالإنسان ناطق حيثما وُجِد.

ويكتسب كلّ طفل يولَد في مجموعة هذه العادات في الكلام وفي الاستجابة، في سنيّ حياته الأولى. وما من شكّ في أنّ هذا هو أكبر عمل فكريّ خارق يُطالَب بتحقيقه أيّ واحد منّا في المطلق. ولا يُعرَف على وجه التّحديد كيف يتعلّم الأطفال الكلام؛ يبدو أنّ العمليّة تجري كما يلي:

(1) يتلفّظ الطّفل تجاه المثيرات المتنوّعة بأصوات لغويّة ويكرّرها. ويبدو أنّ هذا الأمر سمة226 موروثة. لنفترض أنّه يُحدِث ضجيجا يمكن أن نمثّل له كتابيّا بـ(*da*) [دَا]، وإن اختلفت بطبيعة الحال الحركاتُ الفعليّة والأصوات النّاتجة عن تلك الجارية في اللّغة الإنجليزيّة العاديّة. تطرق ذبذبات الصّوت طبلة الأذن عند الطّفل وهو لا ينفكّ يكرّر تلك الحركات. يؤول ذلك إلى عادة227: فكلّما طرقَ أذنَه صوت مماثل، يُحتمَل أن ينجز الحركات النّطقيّة نفسها، مكرّرا الصّوت (*da*). فيتدرّب بفعل هذه الملاغاة228 على محاكاة الأصوات اللّغويّة الّتي تطرق أذنه.

(2) يتلفّظ شخص ما، لنقُل الأمّ، بحضور الطّفل بصوت يشبه واحدا من المقاطع229 الّتي تتضمّنها ملاغاة الطّفل. تقول، على سبيل المثال، (*doll*) [دمية]. وعندما تطرق هذه الأصوات أذن الطّفل تتدخّل العادة (1) فيتلفّظ بأكثر المقاطع شبها به عنده في ملاغاته (*da*). نقول إنّه قد بدأ "يحاكي".230 ويبدو أنّ النّاس البالغين قد لاحظوا هذا الأمر في كلّ مكان، لأنّ كلّ لغة، في ما يبدو، تتضمّن بعض الكلمات الرّضاعيّة231 الّتي تشبه ملاغاة الطّفل –كلمات من قبيل (*mama*) [ماما]، (*dada*)[دادا]: ولا شكّ في أنّ هذه الكلمات شديدة الانتشار لأنّ الأطفال يتعلّمون تكرارها بسهولة.

(3) تستعمل الأمّ، بطبيعة الحال، كلماتها لوجود المثير المناسب. فهي تقول (*doll*) عندما تشير بالفعل إلى دمية الطّفل أو تعطيها إيّاه. وتحدث رؤية الدّمية ومدّها؛ وسماع الكلمة (*doll*) والنّطق بها (أي بـ(*da*))؛ حدوثا متكرّرا متزامنا، إلى أن يتكوّن عند الطّفل عادة232 جديدة: رؤية الدّمية والإحساس بها كافيان لجعله يقول (*da*). فيكون الآن قد استوى له استعمال كلمة. وقد لا تبدو هذه الكلمة عند الكهول شبيهة بأيّ من كلماتهم، ولكنّ ذلك راجع إلى أنّها غير مكتملة ليس غير. فليس من المحتمل أنّ الأطفال اخترعوا كلمة في ما مضى.

226 trait
227 habit
228 babbling (babil(lage)
229 syllable(s)
230 imitate
231 nursery-words
232 habit

(4) وتنشأ على عادة قول (*da*) عند رؤية الدّمية عادات أخرى أبعد مدى. لنفترض، مثلا، أنّ الطّفل يُعطَى دميته يوما بعد يوم (ويقول *da, da, da*) مباشرة بعد غسله. يكون له الآن عادة قول (*da, da*) بعد الحمّام؛ يعني ذلك أنّ الأمّ لو نسيت يوما أن تعطيه دميته قد يصرخ رغم ذلك (*da, da*) بعد الحمّام. تقول الأمّ: *إنّه يطلب دميته*." وهي محقّة في ذلك، إذ ما من شكّ في أنّ "*طلب*" شيء أو "*إرادة*" شيء، ليست عند الكهل إلاّ وضعيّة أكثر تعقيدا من الوضعيّة نفسها. وبذلك ينطلق الطّفل في رحلة الكلام *التّجريديّ*233 أو *المنقول* عن موضعه234: إنّه يسمّي شيئا حتّى إذا ما لم يكن ذلك الشّيء حاضرا.

(5) ويزداد كلام الطّفل اكتمالا بنتائجه. فإذا ما قال (*da, da*) عددا كافيا من المرّات، يفهمه الكبار، أي يعطونه دميته. وعندما يحدث ذلك، تكون رؤية الدّمية والإحساس بها بمثابة مثير إضافيّ، فيكرّر الطّفل الصّياغة النّاجحة من الكلمة ويدرب عليها. ومن جهة أخرى، إذا ما قال (*da, da*) بطريقة غير مكتملة، أي بتغيير كبير بالقياس إلى شكل (*doll*) المعتاد عند الكهول، لا يكون للكبار حافز لإعطائه الدّمية. فعوض أن يرسُخ عنده المثير الإضافيّ برؤية الدّمية والإمساك بها، يكون الطّفل الآن عرضة لمثيرات أخرى تُشتِّت انتباهه، أو يمكن أن ينتابه، في الوضعيّة غير المعتادة الّتي لا يحصل فيها على دمية مطلقا بعد حمّامه، غضب يشوّش انطباعاته الأخيرة. وباختصار، يرجُح أن تترسّخ بالتّكرار محاولاتُه الأجودُ في الكلام وتمّحي محاولاتُه الفاشلة بفعل الارتباك. ولا تتوقّف هذه العمليّة أبدا. فإذا ما قال في طور بعد ذلك بكثير، (*daddy bringed it*)، قد يحصل على جواب مخيّب للأمل من قبيل (*No, You must say « Daddy brought it »*)؛ ولكن إذا ما قال (*Daddy brought it*) قد يسمع ذلك الشّكل يعاد ثانية: (*Yes, Daddy brought it*) [نعم، لقد أحضرها دادّي]، فيحصل على جواب استحسان عمليّ.

وفي الآن نفسه وبالعمليّة نفسها، يتعلّم الطّفل كذلك كيف يؤدّي دور سامع ما. فهو عندما يكون ممسكا بالدّمية، يسمع نفسه يقول (*da, da*)، وأمّه تقول (*doll*). وبعد زمن، قد يكفيه سماع الصّوت لجعله يمسك الدّمية، وقد تقول الأمّ (*Wave your hand to Daddy*) ["لوِّح بيدك لدادّي"]، والطّفل يفعل ذلك من تلقاء نفسه أو وهي تمسك بذراعه عاليا وتحرّك إيّاها له. فيتكوّن عند الطّفل عادات في التّمثيل بطرق معهودة عندما يسمع كلاما.

وتزداد هذه الخصيصة المزدوجة في الكلام–العادات235، اتّحادا على التّدريج، إذ يجري الطّوران معا دائما. ففي كلّ حالة يتعلّم فيها الطّفل الصّلة ث ------> رل (على سبيل المثال: أن يقول (*doll*) عندما يرى دمية)، إنّما يتعلّم كذلك الصّلة ث ب ------> ر (مثلا: أن يمدّ يده إلى دميته أو

233 abstract speech
234 displaced speech
235 speech-habit(s)

يمسكها عندما يسمع الكلمة (*doll*)). وبعد أن يكون قد تعلّم عددا من هذا القبيل من مجموعات الكلمات المزدوجة، تنشأ عنده عادة قوامها أنّ النّوع الواحد منها يقتضي دوما الآخر: فحالما يتعلّم النّطق بكلمة جديدة، يكون قادرا كذلك على الاستجابة لها عندما يسمع الآخرين ينطقون بها، والعكس بالعكس، فحالما يتعلّم كيف يستجيب لكلمة ما جديدة يكون قادرا كذلك على النّطق بها في المقامات المناسبة. وتبدو هذه النّقلة236 الأخيرة أصعبَ النّقلتين؛ ففي ما يلحق من العمر، نجد أنّ متكلّما ما، يفهم أشكالا كلاميّة عديدة نادرا ما يستعملها في كلامه هو أو لا يستعملها أبدا.

.6 .2

إنّ حيثيّات الأحداث الّتي نشير إليها في رسمنا البيانيّ بخطّ منقّط، مفهومة بشكل جيّد. فالحبال الصّوتيّة عند المتكلّم واللّسان والشّفتان، وما إلى ذلك، تعترض تيّار النّفس المنبعث من رئتيه، بوجه يكون به إحداث الأمواج الصّوتيّة. وتنتشر هذه الأمواج عبر الهواء فتطرق طبلتي الأذنين من السّامع اللّتين تنزّان في انسجام. وأمّا الأحداث الّتي مثّلنا لها بالسّهام، فهي غامضة جدّا. فنحن لا نفهم الآليّة الّتي تجعل النّاس يقولون أشياء معيّنة في ظروف معيّنة، أو الآليّة الّتي تجعلهم يستجيبون على الوجه المناسب عندما تطرق تلك الأمواج الصّوتيّة طبلة آذانهم. ومن البيّن أنّ هذه الآليّات طور من جهازنا العامّ في الاستجابة للمثيرات، سواء أكانت أصواتا لغويّة أم غير ذلك. وتدرَس هذه الآليّات في الفيزيولوجيا وفي علم النّفس خاصّة. ودراستها في مظهرها المتّصل باللّغة، هي دراسة الآليّات النّفسيّة في الكلام، أي *علم النّفس اللّغويّ*237. وفي قسمة المهامّ العلميّة، لا يعالج اللّسانيّ إلاّ الإشارة اللّغويّة (ر ل..... ث ل)؛ فليس مؤهّلا للبحث في مشاكل الفيزيولوجيا أو علم النّفس. ونتائج اللّسانيّ، الّذي يدرس الإشارة اللّغويّة، تكون على غاية من الإفادة لعالم النّفس إن لم تُحرّفها أيُّ مكتسبات سابقة في علم النّفس. وكنّا رأينا أنّ الكثير من اللّسانيّين القدماء قد أهملوا هذا الجانب، فقد أفسدوا بحوثهم أو فقّروها بسعيهم إلى إثبات كلّ شيء على أساس نظريّة نفسيّة ما. غير أنّه علينا جميعا أن نتجنّب الوقوع في هذا الخطأ بكلّ تأكيد، لو عرضنا بإجمال لأكثر الأطوار بداهة من علم النّفس اللّغويّ.

لابدّ أنّ الآليّة الّتي تحكم الكلام معقّدة جدّا ودقيقة. فحتّى لو عرفنا الكثير عن متكلّم ما وعن المثيرات المباشرة الّتي تؤثّر فيه، فإنّنا لا نستطيع عادة أن نتوقّع أنّه سيتكلّم أو ما سيقول. لقد اعتبرنا حكاية جاك وجِلّ شيئا معلوما عندنا، بعد حدوث وقائعها. فما كان بإمكاننا، لو كنّا حاضرين، أن نتنبّأ بأنّ جِلّ ستقول شيئا عندما رأت التّفّاحة، أو بأيّ الكلمات ستنطق إذا ما تكلّمت. وحتّى إذا ما افترضنا أنّها طلبت إحضار التّفّاحة، فلا يمكننا أن نخبر مسبّقا إن كانت تفتتح طلبها بالقول (*I'm hungry*) [أنا جائعة] أو تقول (*please*) [من فضلك]، أو تقول (*I want that apple*) [أنا أريد تلك التّفّاحة] أو

236 transference
237 Linguistic Psychology

(*Get me that apple*) [أحضر لي تلك التّفّاحة] أو (*I was just wishing I had an apple*) [كنت أتمنّى أن تكون عندي تفّاحة]، وما إلى ذلك: فالإمكانيّات تكاد لا تنتهي. وقد أدّى هذا التّنوّع238 الهائل إلى قيام نظريّتين في السّلوك البشريّ بما في ذلك الكلام.

تفترض النّظريّة الذّهنيّة239، وهي أقدمهما بكثير، وما تزال غالبة عند كلّ من العامّة ورجال العلم، أنّ التّنوّع في السّلوك240 البشريّ يعود إلى تدخّل عامل لامادّيّ، هو (*spirit*) [روح] أو (*will*) [إرادة241] أو (*mind*) [عقل242] (من الكلمة الإغريقيّة (*psyche*)، ومنه مصطلح (*psychology*) [علم النّفس])، ماثل في كلّ كائن بشريّ. وهذا الرّوح243، حسب النّظرة الذّهنيّة244، مختلف تمام الاختلاف عن الأشياء المادّيّة، ويخضع، تبعا لذلك، لنوع آخر من العلّيّة245 أو ربّما لا يخضع لشيء منها على الإطلاق. فتكلُّم جِلّ أو لا، وأيّ الكلام ستستعمل، إذن، مرتبطان بعملٍ ما في ذهنها أو إرادتها؛ وبما أنّ هذا الذّهن أو الأرادة لا يخضع لأنماط التّعاقب246 (سلاسل سبب–و–نتيجة247) الّتي في العالم المادّيّ، لا يمكننا أن نتكهّن بأعمالها.

وتفترض النّظريّة المادّيّة248 (أو الميكانيستيّة249، بتعبير أحسن) أنّ التّنوّع في السّلوك البشريّ، بما في ذلك الكلام، لا يرجع إلاّ إلى كون الجسد البشريّ نظاما معقّدا جدّا. فالأعمال البشريّة، حسب النِّظرة المادّيّة، جزء من سلاسل سبب– و– نتيجة تماما مثل الأعمال الّتي نلاحظها، لنَقُل، في علم الفيزياء250 أو علم الكيمياء251. غير أنّ الجسد البشريّ بنيةٌ على غاية من التّعقيد إلى حدّ أنّ تغيّرا بسيطا نسبيّا من قبيل انطباع موجات ضوئيّة على شبكيّة252 العين من تفّاحة حمراء، مثلا، يمكن أن يُحْدِث سلسلة معقّدة جدّا من النّتائج المتعاقبة، وأنّ فويرقا بسيطا في حال الجسد يمكن أن يؤول إلى فرق عظيم في استجابته للموجات الضّوئيّة. فلا يمكننا أن نتكهّن بأعمال شخص ما (بأنّ مثيرا ماسيدفعه إلى التّكلّم، وإن كان ذلك، بالكلمات الّتي سيقولها على وجه التّحديد)، إلاّ إذا ما عرفنا على وجه الدقّة بنية جسده في تلك اللّحظة، أو، ما يعود إلى الشّيء نفسه، إذا ما عرفنا تكوّن جسمه في بعض المراحل

238 variability
239 mentalistic theory
240 conduct
241 will
242 mind
243 spirit
244 mentalistic view
245 causation
246 patterns of syccession
247 cause-and-effect sequence(s)
248 materialistic theory
249 mechanistic
250 physics
251 chemistry
252 retina (rétine)

المبكّرة – لنقل، عند الولادة أو قبلها– ثمّ كان لنا توثيق لكلّ تغيّر في ذلك الجسم، بما فيها كلّ مثير كان قد أثّر في الجسم.

والجزء المسؤول في الجسم عن هذا التّعديل[253] اللّطيف[254] المتغيّر[255] هو النّظام العصبيّ. والنّظام العصبيّ آليّة تَحَكُّم[256] معقّدة جدّا تمكّن من أن يؤول تغيّر ما في جزء بعينه من الجسد (مثير، لنقُل، في العين) إلى تغيّر في جزء آخر (لنقُل، استجابة مدّ الذّراع، أو تحريك الحبال الصّوتيّة واللّسان). بالإضافة إل ذلك، من الواضح أنّ النّظام العصبيّ يتغيّر، لفترة محدودة أو حتّى دائمة، بعمليّة التّحكّم هذه في صميمها: ترتبط استجاباتنا إلى حدّ كبير بتعاملنا السّابق مع المنبّه نفسه أو المنبّه المماثل له. فسواء تكلّمت جِلّ أو لم تتكلّم، إنّما يرتبط ذلك بصفة كبيرة بحبّها للتّفّاح وبتجربتها الماضية مع جاك. فالنّظام العصبيّ، بكلّ بداهة، آليّة قادِحة[257]: قد يرمي تغيّر طفيف عودَ ثقاب في مستودع كبير من الموادّ المتفجّرة. ولنأخذ الحالة الّتي نحن بصددها، فهذا هو الوجه الوحيد الّذي يمكننا أن نفسّر به أنّ الحركات العامّة من قبيل حركات جاك لإحضار التّفّاحة قد انبثقت عن طريق تغيّرات طفيفة جدّا من قبيل المداعبة الخفيفة الّتي أحدثتها أمواج الهواء على طبلة أذنه.

وعمل النّظام العصبيّ غير قابل للملاحظة من خارج، وليس للشّخص نفسه أعضاء حسّيّة (كما هو الأمر، مثلا، للإحساس بعمل العضلات في يديه) يمكن بتوسّطها أن يلاحظ بنفسه ما يجري في أعصابه. وتبعا لذلك وجب على عالم النّفس اللّجوء إلى مناهج[258] غير مباشرة في المقاربة.

.2 .7

والتّجريب[259] واحد من هذه المناهج. فيُخضِع عالم النّفس أعدادا من النّاس لمثيرات معدّة بعناية سلفا في أبسط الوضعيّات ويسجّل ردود أفعالهم. ويطرح عادة جملة من الأسئلة على هؤلاء الأشخاص حتّى "يستبطن[260]"– يعني ذلك أن يصف أقصى قدر ممكن ممّا يجري في داخلهم عندما يتقبّلون المثيرَ. وفي هذا المستوى، يضلّ علماء النّفس السّبيل دائما إلى المعرفة اللّغويّة.

فمن الخطأ، مثلا، أن يُفتَرَض أنّ اللّغة تمكّن شخصا ما من ملاحظة أشياء لا يملك لها أعضاء حسّيّة[261] من قبيل أنشطة النّظام العصبيّ عنده. وتتمثّل الميزة الوحيدة الّتي تكون لملاحظ ما عند

253 adjustment
254 delicate
255 variable
256 conduct(ing)
257 trigger-mechanism
258 indirect method(s)
259 experiment
260 introspect
261 sense-organ(s)

الإخبار عمّا يجري داخل نفسه، في قدرته على الإخبار عن الإثارات الّتي لا يمكن لشخص خارجيّ أن يشعر بها– لنقل، ألم في عينه أو وخز في حنجرته. وحتّى هنا، علينا أن لا ننسى أنّ اللّغة مجال للدّربة[262] والتّعوّد، إذ يمكن أن يعجز الشّخص عن الإخبار عن بعض الإثارات لأنّ رصيده من العادات اللّغويّة ببساطة لا يوفّر له صياغة لها؛ وكذا الحال في ما يتّصل بتجاربنا الأقلّ فائدة من قبيل ما يجري في أعضائنا الباطنيّة. فبنية جسدنا في صميمها توقعنا دائما في إخبار غالط. فنري الطّبيبَ الموضع حيث نشعر بألم، ولكنّه يجد الضّرر بعيدا عن ذلك، في موقع قد تعلّمه خبرتُه تحديدَه من الوهلة الأولى بناء على تشخيصنا الغالط. وفي هذا الصّدد، يضلّ علماء النّفس بتدريب الملاحظين تدريبا فعليّا على استعمال مجموعة من المصطلحات التّقنيّة للتّعبير عن مثيرات غامضة ثمّ يولون قيمةً لاستعمال الملاحِظ لتلك المصطلحات.

ويبدو أنّ الظّروف الشّاذّة الّتي يتشوَّش فيها الكلام، تعكس مظاهر من عدم التّوافق[263] العامّ أو الضّرر، ولا تنير البتّة الآليّة الخاصّة باللّغة. فمظاهر التّأتأة[264] قد تعود إلى تخصّص[265] غير مكتمل في نصفي الدّماغ: فعند المتكلّم السّويّ يسيطر النّصف الأيسر (أو النّصف الأيمن إن كان أعسرَ[266]) على الأعمال ذات الدّقّة العالية، من قبيل أعمال الكلام؛ وعند التّأتاء يكون هذا التّخصّص النّصفيّ غير مكتمل. ويبدو أنّ الإنتاج المختلّ لبعض الأصوات المخصوصة (التّمتمة[267])، حيث لا يكون سببها عيوبا تشريحيّة في أعضاء النّطق، ناتج عن انعدام للتّوازن[268] مماثل. وتنتج الأفازيا دائما عن جروح الرّأس وأمراض الدّماغ، وهي اضطرابات في طريقة بناء استجابات الكلام[269] وعند الجواب عن الكلام. ويميّز الدّكتور هنري هيد[270]، وقد توفّرت له، على غير العادة، فرص جيّدة لدراسة الأفازيا عند الجنود المصابين، بين أربعة من الأصناف:

الصّنف 1 يردّ الفعل على كلام النّاس الآخرين ردّا جيّدا؛ ويستعمل في الحالات الخفيفة الكلمات للأشياء المناسبة، ولكنّه يخالط في النّطق أو يخلط بين كلماته؛ وفي الحالات القصوى، يمكن للمصاب أن ينطق نادرا بما جاوز (*yes*) [نعم] و (*no*) [لا]. ذكر بعض المرضى بنوع من الصّعوبة ما يلي: (« I know it’s not..... the correct ..... pronunciation..... I don’t always.....*corret* it.....because I shouldn’t get it right..... in five or six times.....unless someone says it for me.” [أنا أعلم أنّه ليس..... النّطق.....الصحيح..... أنا لا دائما.....أصحه..... لأنني لا أحصل عليه كما ينبغي.....

262 training
263adjustment
264 stuttering, begaiement
265 specialization
266 left-handed
267 stammering (balbutiement)
268 maladjustment(s)
269 speech-response(s)
270 Dr Henri Head

بعد خمس أو ستّ.....مرّات.....إلاّ إذا قاله لي أحد.]. وفي حالة أخرى أشدّ، يجيب المصاب عندما يطلب منه اسمه (*Honus*) [هونيس]، عوضا عن (*Thomas*) [طوماس] ويقول (*erst*) للتّعبير عن (*first*) [أوّل] و(*hend*) للتّعبير عن (*second*) [ثان].

الصّنف 2 يردّ الفعل على وجه حسن على الكلام البسيط، وينطق الكلمات المناسبة والجمل القصيرة، لكن لا يجريها في الأبنية المعهودة؛ فقد يقول كلاما غير مفهوم رغم كون كلّ كلمة صحيحة بما يكفي. فيجيب بعض المصابين على سؤال(Have you played any games?) [هل لعبت أيّا من الألعاب؟]، قائلا:(played games, yes, played one, day-time, garden) [لعبت ألعابا، نعم، لعبت واحدة، زمن النّهار، حديقة]. ويقول، (Get out, lay down, go to sleep, sometimes goes away. If sit in kitchen, moving about working, makes me getting worse on it.) [يخرج، يستلقي، يذهب إلى النّوم، يذهب بعيدا بعض الأحيان، إن يجلس في مطبخ، يتجوّل يعمل، يجعلني أزداد سوءا عليه.] ويعلّق (Funny thing, this worse, that sort of thing) [شيء مضحك، هذا أسوأ، هذا النّوع من الشّيء]، ويكتب سعيا إلى التّفسير كلمتي (*as*) [كما، ك،...] و(*at*) [في، عند، على...]. وسنرى لاحقا أنّ بنية اللّغة العاديّة ترغمنا على التّمييز بين عادات الكلام المعجميّة271 والنّحويّة272؛ والأخيرة منهما هي ما يشوّش عند هؤلاء المصابين.

الصّنف 3 يردّ الفعل بصعوبة على أسماء الأشياء ويجد عنتا في الاهتداء إلى الكلمات المناسبة، وخاصّة أسماء الأشياء. وهو ذو نطق وترتيب حسنين، ولكنّه محتاج إلى أن يستعمل عبارات إطنابيّة273 عجيبة للتّعبير عن الكلمات الّتي لا يستطيع الاهتداء إليها. يقول مصاب للتّعبير عن (scissors) [مقصّ] (what you cut with) [ما تقصّ(ون) به]، وللتّعبير عن (black) [أسود] يقول (peole who are dead,- the other people who are not dead, have this color) [النّاس الّذين ماتوا،– النّاس الآخرون الّذي لم يموتوا، لهم هذا اللّون.]. وقد يستعمل الكلمة الخاطئة، كما هو الأمر في (*button*) [زرّ] لـ(scissors) [مقصّ]. والكلمات المفقودة هي بالأساس أسماء الأشياء المادّيّة. ويبدو أنّ هذه الحالة درجة قصوى من المعهودة عند الكثير من النّاس الأسوياء في صعوبة تذكّر أعلام الأشخاص وأسماء الأشياء، وخاصّة عند الانشغال أو الانفعال أو التّعب.

والصّنف 4 لا يستجيب غالبا الاستجابة الصّحيحة لكلام الآخرين، ولا يجد صعوبة في النّطق بالكلمات المفردة، ولكنّه لا يستطيع أن ينهيَ كلاما متّصلا بعضه بعض. ومن البيّن أنّ هؤلاء المصابين يعانون من الحبسة الحركيّة274 (الأبراكسيا)، فلا يقدرون على الاهتداء إلى الطّريق، ويتداخل عليهم

271 lexical habit(s)
272 grammatical habit(s)
273 circumlocution(s)
274 apraxia

الأمر عندم يكونون جالسين، لنقل، على الجانب المقابل من الشّارع. يقول واحد من المصابين:(I » (don’t seem to understand all you say, and then I forget what I’ve got to do. » ["يبدو أنّني لا أفهم كلّ ما تقول، ثمّ أنسى ما قد كان عليّ أن أفعله".] ويقول مصاب آخر: (When » at table, I am very slow in picking out the object, say the milk-jug, which I want. I don’t spot it at once... I see them all, but I don’t spot them. When I want the (salt or the pepper or a spoon, I suddenly tumble to its presence.” ["عندما نكون حول المائدة، أنا بطيء جدّا في تبيّن الشّيء الّذي أريده، لنقل، إبريق الحليب. لا أراه من الوهلة الأولى... أراها كلّها، ولكنّني لا أتبيّنها فوريّا. عندما أريد الملح أو الفلفل الأسود أو ملعقة، أعثر عليها بالصّدفة."]. ويتجلّى اضطراب الكلام في الجواب التّالي لواحد من المصابين: (Oh, yes! I know the difference between the Nurse and the Sister by the dress : Sister blue ; Nurse - (oh! I get muddled, just ordinary nurses’s clothes, white, blue...” [أوه، نعم، أعرف الفرق بين الممرّضة والأخت باللّباس. الأخت أزرق، الممرّضة – أوه!، لقد اختلطت عليّ الأشياء، فقط اللّباس العاديّ لممرضة، أبيض، أزرق..."].

لقد كان الجدل قائما منذ 1861، عندما بيّن بروكا[275] أنّ تلف التّلفيفة الجبهيّة[276] الثّالثة في النّصف الأيسر من الدّماغ كان مصحوبا بالحبسة اللّغويّة[277] (الأفازيا)، في كون "مركز بروكا[278]" والمواقع الأخرى من قشرة[279] الدّماغ تشتغل مراكزَ مخصوصة بنشاط الكلام. ويجد هيد تعالقا[280] بين مواقع التّلف[281] المختلفة وكلّ صنف من أصناف الحبسة اللّغويّة الأربعة عنده. فما يمكن إقامة الدّليل عليه من تحديدات المواقع القشريّة تحديدا وظيفيّا، يتعلّق عادة بعضو مخصوص: تكون إصابة في منطقة ما من الدّماغ مصحوبة بشلل في القدم اليمنى، وتكون إصابة في منطقة أخرى مصحوبة بقصور في الاستجابة للإثارة في الجهة اليسرى من شبكيّة العين، وهكذا دواليك. ولكنّ الكلام نشاط معقّد جدّا تؤول فيه الإثارة من كلّ نوع إلى حركات على غاية من الخصوصيّة في الحنجرة والفم. وفوق ذلك ليست هذه الأعضاء الأخيرة، بالمعنى الفيزيولوجيّ، "أعضاء كلام"[282] لأنّها تخدم بيولوجيّا حاجات أوّليّة عند الإنسان وعند الحيوانات العجماء. وتبعا لذلك تُعطِّل الإصابات العديدة في النّظام العصبيّ الكلامَ فينتج عن مختلف الإصابات أنواع مختلفة من الصّعوبات، ولكنّ المواقع في القشرة الدّماغيّة ليست متعالقة، بكلّ تأكيد، بسمات في الكلام مخصوصة مفيدة اجتماعيّا، من قبيل الكلمات أو الإعراب؛ يظهر ذلك بجلاء من النّتائج المتذبذبة والمتضاربة في البحث عن الأنواع المختلفة من "مراكز اللّغة". ويمكننا أن نتوقّع من

275 Broca
276 frontal convolution
277 aphasia
278 Broca’s center
279 cortex
280 correlation
281 lesion
282 organs of speech

عالم الفيزيولوجيا نتائج أفضل عندما يبحث عن التّعالقات بين مواضع في القشرة الدّماغيّة وأنشطة فيزيولوجيّة مخصوصة تهمّ الكلامَ، من قبيل حركة عضلات مخصوصة أو توصيل283 المثيرات الكينستيّة284 الصّادرة من الحنجرة واللّسان. ويظهر بجلاء الخطأ في البحث عن تعالقات بين أجزاء من الدّماغ محدّدة تشريحيّا وأنشطة محدّدة اجتماعيّا، عندما نرى بعض علماء الفيزيولوجيا يبحثون عن "مركز بصريّ للكلمة'285 مهمّته التّحكّم في القراءة والكتابة: فيمكن للمرء قياسا على ذلك أن يبحث عن مركز دماغيّ مختصّ في التّلغراف أو في قيادة السّيّارة أو في استعمال أيّ اختراع حديث. وليست اللّغة، من زاوية فيزيولوجيّة، وظيفة كلّيّة286 بل تتكوّن من أنشطة كثيرة جدّا يكون توحيدها في مركّب287 مفرد بعيد المدى من العادات، ناتجا عن الإثارات المتكرّرة خلال الأطوار المبكّرة من حياة الفرد.

.8 .2

وتتمثّل طريقة أخرى في دراسة الاستجابات البشريّة في رصدها جاريةً في المجموعة. فبعض الأعمال ذو درجة عالية من التّغيّر عند كلّ شخص، ولكنّها ثابتة جدّا في مجموعات الكبيرة من الأشخاص. فلا نستطيع أن نتوقّع إن كان كهل بعينه غيرُ متزوّج سيتزوّج خلال الأشهر الإثني عشر الموالية، أو أيّ شخص بعينه سينتحر، أو أيّ النّاس سيدخل السّجن، ولكن بناء على مجموعة بشريّة عريضة بما فيه الكفاية، والرّسوم البيانيّة288 المتعلّقة بالسّنوات الماضية (وربّما بعض المعطيات الأخرى، من قبيل تلك الّتي تتعلّق بالظّروف الاقتصاديّة)، يمكن للإحصائيّين أن يتكهّنوا بما سيحدث من عدد الزّيجات وحالات الانتحار والأحكام في الجرائم، وهلمّ جرّا. ولو وجدنا السّبيل إلى تسجيل كلّ ملفوظ في مجموعة بشريّة واسعة ورأينا في ذلك فائدة، نكون بلا شكّ قادرين على التّكهّن بعدد المرّات الّتي تقال فيها أيّ عبارة محدّدة، من قبيل (*Good-morning*) [صباحَ الخير] أو (*I love you*) [أحبك.] أو (*How much are oranges todat ?*) [بكم البرتقال هذا اليومَ؟]، في عدد محدود من الأيّام. ويمكن أن تخبرنا دراسة تفصيليّة من هذا القبيل بأشياء كثيرة، وخاصّة في ما يتعلّق بالتّغيّرات الّتي تجري باستمرار في كلّ لغة.

ولكن توجد طريقة مختلفة وأبسط في دراسة العمل البشريّ في المجموعة: دراسة الأعمال العرفيّة289. فعندما نذهب إلى بلد أجنبيّ، نتعلّم سريعا أنماطا كثيرة من الأعمال المسطّرة، من قبيل نظام العُمْلَة ونظام الوزن ونظام القيس، وقواعد الطّريق (هل يلزم المرء اليمين، كما هو الأمر في أمريكا وألمانيا، أو اليسار كما في أنجلترا أو السّويد؟)، وآداب السّلوك ومواعيد الأكل، وما إلى ذلك. فالمسافر لا

283 transmission (transmition)
284 kinesthetic (kinesthétique)
285 visual word-center
286 unit of function
287 complex
288 figure(s)
289 conventional action(s)

يجمع الإحصائيّات: فبعض الملاحظة القليلة تضعه على السّكّة، وهذه الملاحظات تثبَّت أو تصلَح في ضوء التّجربة الإضافيّة. ويكون هنا اللّسانيّ في موضع محظوظ: لا يوجد نشاط في مجموعة بشريّة يضاهي الأشكال اللّغويّة صرامةً في التّقنين////التّنميط290. تنهل المجموعات الواسعة من النّاس في بناء جميع الملفوظات291 من خزّان واحد من الأشكال المعجميّة والأبينة النّحويّة. فيمكن، تبعا لذلك، لملاحظٍ لسانيّ أن يصف العادات الكلاميّة في مجموعة ما دون اللّجوء إلى الإحصائيّات. ولا حاجة إلى القول بأنّ عليه أن يعمل بكلّ ضمير، وعليه بصفة خاصّة أن يسجّل كلّ شكل يمكنه أن يجده وأن لا يحاول أن يجد العذر لنفسه في إهمال هذه المهمّة بالتّعويل على الحسّ المشترك عند القارئ أو على بنية لغة أخرى أو على نظريّة نفسيّة ما، وفوق كلّ ذلك، عليه أن لا يتخيّر الوقائع أو يحرّفها وفقا لآرائه في ما ينبغي أن يقوله المتكلّمون. إنّ وصفا مفيدا خلوا من الأحكام المسبّقة من هذا الصّنف، لَيصلُح وثيقة ذات أهمّيّة كبرى لعلم النّفس، بالإضافة إلى قيمته الذّاتيّة292 في دراسة اللّغة. والخطر هنا يكمن في المواقف الذّهنيّة في علم النّفس الّتي يمكن أن تغري الملاحظَ باستدعاء معايير عقليّة صِرف بدل أن ينقل الوقائع. فأن نقول، مثلا، بأنّ توليفات293 الكلم الّتي "يكون الشّعور294" بأنّها مركّبة تركيبا مزجيّا295، لا يكون لها إلاّ نبرة وحيدة عالية296 (مثل، (*balckbird*) [شحرور] مقابل (*black bird*)[طائر أسود])، هو بالضّبط أن لا نخبر بشيء، إذ لا تتوفّر أيّ سبيل إلى تحديد ما يمكن أن "يشعر" به المتكلّمون: تمثّلت مهمّة الملاحظ في أن يخبرنا، باعتماد نوع من المعيار297 الملموس، أو باعتماد قائمة، إن لم يجد معيارا، أيَّ التّوليفات من الكلم يكون نطقها بنبرة وحيدة عالية. والباحث الّذي يقبل الفرضيّة المادّيّة298 في علم النّفس لا يكون عرضة لإغراء من هذا القبيل؛ فيمكن أن نثبت على سبيل المبدإ في جميع العلوم الّتي ترصد نوعا مخصوصا من النّشاط البشريّ مثل اللّسانيّات، أنّه ينبغي على الباحث أن يشتغل كما لو كان بالضّبط متبنّيا للنّظرة المادّية299. وهذه النّجاعة العمليّة واحدة من أمتن الاعتبارات الّتي تدعم المادّيّة العلميّة300.

فالملاحظ الّذي يوفّر لنا بملاحظة المجموعات301 البشريّة، عرضا يتعلّق بالعادات الكلاميّة في مجموعة ما، لا يمكنه أن يخبرنا بشيء عن التّغيّرات الّتي هي بصدد الجريان في لغة تلك المجموعة وفي لغة كلّ مجموعة أخرى. ولا يمكن أن تلاحَظ هذه التّغيّرات إلاّ باعتماد وسائل الملاحظة الإحصائيّة

290 standard(ize(d))
291 utterance(s)
292 intrinsic value
293 combination(s)
294 are felt to be
295 compound word(s)
296 single high stress
297 criterion
298 materialistic hypothesis
299 materialistic view
300 scientific materialism
301 mass-observation

الحقيقيّة على امتداد مدّة طويلة جدّا من الزّمن؛ ولغياب مثل ذلك نجهل الكثير من الأشياء عن التّغيّر اللّغويّ. بيد أنّ علم اللّغة محظوظ كذلك، في هذا الصّدد، لأنّ مناهج الدّراسة المقارنيّة والجغرافيّة، باعتماد ملاحظة المجموعات، مرّة أخرى، توفّر قدرا كبيرا ممّا نأمل في الحصول عليه من علم الإحصاء. وتعود المنزلة المحظوظة لعلمنا اللّسانيّ في تلك الأشياء، إلى كون اللّغة أبسط أنشطتنا الاجتماعيّة (أي تلك المميّزة للبشر) وأكثرها تأصّلا. لكنّ دراسة التّغيّر اللّغويّ، في اتّجاه آخر، تستفيد من مجرّد مصادفة، أي من وجود وثائق مكتوبة تسجّل كلام العصور الماضية.

.2 .9

ويقود المثير الّذي يستدعي الكلام، إلى بعض ردود الأفعال الأخرى كذلك. وبعض هذه الرّدود لا يكون مرئيّا من الخارج: فهي عضليّة وأعمال غُدَدِيّة302 لا أهمّية مباشرة لها عند رفاق المتكلّم، وبعضها الآخر يطلب استجابات من قبيل التّنقّل أو نقل الأشياء. ويبقى من الاستجابات ما هو ظاهر، ولكنّها ليست مهمّة بصفة مباشرة؛ فهي لا تغيّر حال الأشياء ولكنّها تشتغل، إلى جانب الكلام، مثيرات للسّامع. وهذه الأعمال هي تعبير الوجه303، والمحاكاة304، ونبرة الصّوت305 (ما لم تقنّنها مواضعات اللّغة)، ومَسك الأشياء بطريقة غير ذات معنى (من قبيل العزف على وتر مطّاطيّ)، *والإشارة بالجارحة*306، فوق جميع ذلك.

ترافق حركة الجوارح كلّ كلام مرافقة نوعيّة وكمّيّة. وتختلف من متكلّم إلى آخر، ولكنّها محكومة إلى حدّ كبير بالمواضعة الاجتماعيّة. فالإيطاليّون يستعملون الإشارة بالجارحة أكثر من المتكلّمين بالإنجليزيّة؛ وأقلّ النّاس إشارة بالجوارح في حضارتنا، هم أبناء الطّبقة الرّاقية. وإشارة الجارحة الفرديّة، إلى حدّ ما، عرفيّة وتختلف في المجموعات المختلفة. فعندما نقول (good-by) [وداعا] نومئ باليد وراحتها موجّهة إلى الخارج؛ وأمّا النّيابوليّون307 فيلوّحون بها وظهرها إلى الخارج.

ونادرا ما تتجاوز إشارات الجارحة التّعيينَ308 الظّاهر والرّسمَ309. يرفِق هنود السّهول الأمريكيّون310 أو قبائل الغابات311 رواية حكاية ما بإشارات محتشمة من الجارحة، غريبة عنّا ولكنّها مفهومة إلى حدّ ما: فاليد براحتها متّجهةً إلى أسفل والإبهام متّجها إلى فوق، تُجعَل مباشرة تحت العينين لتمثيل التّجسّس. وجَمعُ الكفّ تُضرَب به راحة اليد للتّعبير عن طلقة ناريّة؛ ويحاكي أصبعان رجلا يمشي

302 glandular action(s)
303 facial expression
304 mimicry
305 tone of voice
306 gesture
307 Neapolitans
308 pointing
309 picturing
310 American indians of plains
311 woodland tribe(s)

وأربعة منها تحاكي عدو الفرس. ولا تتجاوز إشارات الجارحة المدلول الواضح إلاّ تجاوزا طفيفا حتّى في المواضع الّتي تكون فيها رمزيّة، كما يكون عندما يشير المرء إلى الخلف من فوق كتفه للتّعبير عن الماضي.

ولبعض المجموعات البشريّة لغة إشاريّة312 يستعملونها بدل الكلام في بعض المناسبات. وقد لوحظت لغات الإشارة من هذا القبيل عند النّيابوليّين من الطّبقة الدّنيا، وعند الرّهبان التّرابيستيّين313 (أولئك الّذين نذروا الصّمت)، وعند الهنود في سهولنا الغربيّة (حيث كانت تتلاقى القبائل من اللّغات المختلفة في التّجارة وفي الحرب) وعند مجموعات الصّمّ البكم314.

ولعلّه من اليقين أنّ لغات الإشارة هذه ليست إلاّ مجرّد تطوير للإشارات العاديّة وأنّ أيّ إشارة، مفردة أو مجتمعة، معقّدة أو لا تفهَم مباشرة إنّما تتأسّس على مواضعات الكلام العاديّ. وحتّى النّقلة315 الظّاهرة من قبيل الإشارة إلى الخلف للتّعبير عن الماضي، قد تكون راجعة إلى عادة لغويّة في استعمال الكلمة نفسها للتّعبير عن (‘in the rear’) ['في الوراء/ 'في الخلف'] وعن (‘in the past’) ['في الماضي']. ومهما كانت أصولهما، فلطالما كان للإشارة بالجارحة في ظلّ هيمنة اللّغة دور ثانويّ إلى حدّ أنّها فقدت كلّ أثر يدلّ على طابعها المستقلّ. فالحكايات عن شعوب ذات لغة منقوصة نقصا فادحا يستوجب الاستعانة بالإشارة، محض أساطير. وما من شكّ في أنّ إنتاج الصّوت الحنجريّ316 عند الحيوانات الّذي تطوّرت منه اللّغة، نشأ في الأصل حركةَ استجابة (لنَقُل، انقباض317 الحجاب الحاجز318 وتقليص319 الحلق) صادف أن أحدث ضجيجا. لكن يبدو من المؤكّد أنّ اللّغة، خلال التّطوّر اللاّحق، كانت دائما تستبق الإشارة بالجارحة.

فإن أشار المرء بتحريك شيء ليترك به أثرا على شيء آخر، يكون قد أدخل الوسم320 والرّسم.321 ولهذا النّوع من ردّ الفعل قيمة في تركِ أثرٍ دائم قد يصلح مثيرا بصفة تكراريّة322، حتّى بعد فترات زمانيّة ويمكن أن يُحمَل ذلك الأثر ليثير ناسا على مسافات بعيدة. ولهذا السّبب، دون شكّ، تَنسب شعوب كثيرة إلى الرّسوم، إلى جانب قيمتها الجماليّة، قوّةً سحريّة ما زالت تلازمنا إلى حدّ الآن.

وفي بعض البقاع من العالم تطوّر الرّسم إلى الكتابة. وسنهتمّ بتفاصيل هذه العمليّة لاحقا؛ ومحطّ الاهتمام هنا يتمثّل في أنّ العملَ الّذي يكون به رسم مخطّط عامّ يصير خاضعا للّغة: يصير رسم

312 gesture language
313 Trappist(s) monk(s)
314 deaf-mute(s)
315 transference
316 vocal sound
317 contraction
318 diaphragm
319 constriction
320 marking
321 drawing
322 repeatedly

مجموعة مخصوصة من الأسطر مرتبطا بالنّطق بشكل لغويّ مخصوص ارتباطَ المصاحب323 أو البديل324.

ويضيف فنّ ترميز325 الأشكال المخصوصة من الكلام بواسطة العلامات المرئيّة المخصوصة قدرا كبيرا إلى الاستعمالات النّاجعة للّغة. فلا يمكِن أن يُسمَع متكلّم ما إلاّ على مسافات قصيرة ولمدّة لحظة أو لحظتين. ويمكن أن تُحمَل وثيقة مكتوبة إلى أيّ مكان وأن تُحفَظ طيلة أيّ مدّة من الزّمن. فيمكننا أن نرى من الأشياء في زمن واحد أكثر ممّا يمكننا أن نسمع، ويمكننا التّعامل مع الأشياء المرئيّة بطريقة أيسر: تمكّننا القوائم326 والرّسوم البيانيّة327 والعمليّات الحسابيّة328 المكتوبة وما شابهها من الأدوات، من معالجة المسائل ذات التّعقيد الشّديد. فتتوفّر لنا عبر الكتابة المثيرات الكلاميّة من النّاس البعيدين وخاصّة من الأشخاص الّذين عاشوا في ما مضى من الزّمن. يجعل هذا من تراكم المعرفة أمرا ممكنا. يحيط رجل العلم (وليس كذلك دائما من كان من الهواة) بنتائج الدّارسين القدماء ويوظّف طاقته بداية من حيث كانوا قد توقّفوا. فعوض أن يعيد العلمُ البدايةَ دائما من الصّفر، يتقدّم تقدّما تراكميّا وبازديادٍ في السّرعة. وكان قد قيل إنّنا بالحفاظ على المزيد والمزيد من الوثائق الّتي تسجّل المزيد والمزيد من ردود الأفعال اللّغويّة الّتي كانت لأشخاص على درجة عالية من الموهبة ومن التّخصّص، نقترب، سعيا إلى حدّ مثاليّ، من وضع يُختَزَل فيه (في شكل رمزيّ يمكن أن يردّ الفعل تجاهه أيّ قارئ) جميعُ ما كان في الكون من الأحداث الماضية والحاضرة والآتية، في أبعاد مكتبة عظيمة. ولا عجب أنّ اكتشاف الطّباعة الّتي تُضاعِف وثيقة مكتوبة على أيّ عدد مطلوب من النّسخ، أحدث في نمط عيشنا كلّه ثورةً ما انفكّت تجري على امتداد بعض القرون وما تزال على أشدّها.

وما من حاجة إلى الإسهاب في أهمّيّة الوسائل الأخرى في توثيق الكلام ونقله ومضاعفته من قبيل التّلغراف329 والهاتف والفونوغراف330 والرّاديو. فأهمّيتها في أبسط الاستعمالات اللّغويّة جليّة، كما هو الأمر في استعمال التّلغراف اللاّسلكيّ331 في حالات تحطّم السّفن.

وعلى المدى البعيد، يكون لأيّ شيء يزيد من جدوى اللّغة كذلك تأثير غير مباشر ولكن أكثر انتشارا. فحتّى أعمال الكلام الّتي لا تطلب أيّ استجابة فوريّة مخصوصة، يمكن أن تغيّر من استعداد السّامع لاستجابات أكبر: فعلى سبيل المثال، يمكن أن يجعل قصيد جميل السّامعَ أكثر قابليّة للإحساس بالمثيرات اللاّحقة. ويقتضي هذا التّهذيب الشّامل للاستجابة البشريّة وتقويتها قدرا كبيرا من التّفاعل

323 accompaniment
324 substitute
325 symbolize
326 chart(s)
327 diagram(s)
328 calculation(s)
329 telegraph
330 phonograph
331 wireless

اللّغويّ. فالتّربية[332] أو الثّقافة[333]، أو أيّ اسم نختاره لها، إنّما ترتبط بتكرار كمّ هائل من الكلام ونشره.

332 education
333 culture

الفصل الثّاث:

المجموعات اللغويّة

.1 .3

المجموعة اللّغويّة جماعة من النّاس يتفاعلون بواسطة الكلام (§ 2. 5). وكلّ ما نطلق عليه أنشطة عليا للبشر – أنشطتنا البشريّة الّتي نختصّ بها– ينبع من التّوافق الحميم بين الأفراد الّذين نسمّيهم مجتمعا، وهذا التّوافق، بدوره، يتأسّس على اللّغة. فالمجموعة اللّغويّة حينئذ أهمّ نوع من الجماعة الاجتماعيّة. ولسائر الأطوار من التّماسك الاجتماعيّ، من قبيل التّجمّعات الاقتصاديّة أو السّياسيّة أو الثّقافيّة، علاقة ما بالتّجمّع في المجموعات اللّغويّة، ولكنّها لا تتطابق دائما معها؛ فالسّمات الثّقافيّة، خاصّة، تكون في الأغلب الغالب أكثر انتشارا من أيّ لغة واحدة. فقبل قدوم الجنس الأبيض، كانت القبيلة الهنديّة الواحدة الّتي تتكلّم لغتها الخاصّة بها، تكوّن في آنٍ واحد مجموعةً لغويّة ووحدة سياسيّة واقتصاديّة، غير أنّها كانت مشابِهة في الدّين وفي الثّقافة العامّة لما جاورها من القبائل. وفي ظروف أكثر تعقيدا، يتقلّص التّعالق بين اللّغة وسائر وجوه التّجمّع334. فالمجموعة اللّغويّة الّتي تتكوّن من جميع النّاس النّاطقين بالإنجليزيّة تنقسم إلى مجموعتين سياسيّتين: الولايات المتّحدة والإمبراطوريّة البريطانيّة، وكلّ واحدة منهما تتفرّع بدورها اقتصاديّا؛ فالولايات المتّحدة وكندا مترابطان اقتصاديّا أكثر منهما سياسيّا. ونحن، ثقافيّا، جزء من منطقة شاسعة قد انتشرت في العالم انطلاقا من أوروبّا الغربيّة. ومن جهة أخرى، حتّى أضيق هذه الجماعات، الولايات المتّحدة السّياسيّة، تتضمّن أشخاصا لا يتكلّمون الإنجليزيّة: الهنود الأمريكيّون، والنّاطقون بالإسبانيّة في الجنوب الغربيّ، والمهاجرون غير المندمجين335 لغويّا. ويفرض الاستعمار الاستيطانيّ، كما هو الأمر في الفيليبّين أو في الهند، على مجموعة لغويّة ما تبعيّةً سياسيّة واقتصاديّة لمجموعة لغويّة أجنبيّة. وينقسم السّكّان في بعض البلدان إلى مجموعات لغويّة عديدة توجَد معا دون قسمة محلّيّة: فالمدينة الواحدة في بولونيا تتكوّن من النّاطقين بالبولونيّة ومن النّاطقين بالألمانيّة؛ والأوّلون، دينيّا، كاثوليك والأخيرون يهود. وحتّى عهد قريب جدّا، كلّف في الجماعتين كلتيهما عددٌ قليل من الأشخاص، أنفسَهم عناءَ فهم لغة الجماعة الأخرى.

لم أذكر شيئا عن التّجمّع البيولوجيّ لأنّ هذا التّجمّع لا يرتبط باللّغة مثل سائر التّجمّعات ليتأسّس. ومعظم عمليّات التّزاوج، بطبيعة الحال، تكون بين الأفراد المتشابهين في الكلام، بوجه تكون به دوما مجموعة لغويّة ما، شيئا في إطار جماعة تتزاوج داخليّا؛ غير أنّ الحالات الاستثنائيّة كثيرة جدّا في كلّ من تزاوج الشّخصين من لغتين مختلفتين يكتسب واحد منهما لغة قرينه عادةً، والأهمّ من ذلك، في اندماج جماعات بأكملها من الأجانب في مجموعة لغويّة، من قبيل المهاجرين أوالشّعوب المستعمَرة أو

334 grouping(s)
335 unassimilated

الأسرى. وحالات الانحراف هذه على غاية من الكثرة ينبغي لها أن نجد دون شكّ، لو كانت لنا الوثائق، قلّة قليلة من الأشخاص كان جميع أسلافهم من أجيال قليلة سابقة يتكلّمون لغة واحدة. غير أنّ ما يهمّنا أكثر، يتمثّل في أنّ سمات لغة ما لا تُتوارث في المعنى البيولوجيّ. فالطّفل يصرخ عند الولادة ويمكن أن يأخذ دون شكّ في جميع الحالات بعد مدّة في الغرغرة336 وفي الملاغاة، لكنّ اللّغة المخصوصة الّتي يتعلّمها أمر موكول إلى المحيط تماما. والطّفل الّذي يدخل جماعة، لقيطا كان أو بالتّبنّي، يتعلّم لغة الجماعة تماما كما يتعلّمها الطّفل ذو النّسَب الأصليّ337؛ ولا تُظهِر لغتُه، وهو يتعلّم الكلام، عن أيّ أثر لأيّ لغة قد يكون تكلّم بها أبواه. ويكون من اليقين، مهما كانت الفوارق الوراثيّة في بنية الحنجرة والفم والشّفتين وما إلى ذلك عند البشر السّويّ، أنّ تلك الفوارق ليست من القبيل الّذي يؤثّر في الأعمال الّتي تشكّل اللّغة. فالطّفل يتعلّم الكلام تماما كما يفعل الأشخاص حوله. وأيّ لغة يتعلّمها كائن بشريّ هي *لغته بالأمومة*338؛ وهو *متكلّم بالأمومة*339 بتلك اللّغة.

.2 .3

تختلف المجموعات اللّغويّة من حيث الحجم اختلافا كبيرا. وأكثر من قبيلة واحدة هنديّة أمريكيّة ذات مئات قليلة من الأفراد فقط، تتكلّم لغة مخصوصة بها. ومن جهة أخرى، كانت بعض المجموعات اللّغويّة حتّى قبل ظهور وسائل التّواصل والسّفر الحديثة، كبيرةً جدّا: في القرون الأولى من العهد المسيحيّ، كانت اللّغتان اللاّتينيّة والإغريقيّة يتكلّم الواحدة منهما ملايين البشر على امتداد مناطق شاسعة حول البحر الأبيض المتوسّط. وبلغت بعض المجموعات اللّغويّة، في الظّروف الحديثة، حجما هائلا. ويقدّر ياسبرسن340 عدد النّاطقين باللّغات الأروبّيّة الرّئيسيّة في العامين 1600 و1912 كما يلي حيث تقرأ الأرقام بالملايين:

	الإنجليزيّة	الألمانيّة	الرّوسيّة	الفرنسيّة	الإسبانيّة	الإيطاليّة
1600	6	10	3	14	8.5	9.5
1912	150 –	90	106	47	52	37

وليس للأرقام من هذا القبيل إلاّ قيمة غير محدّدة جدّا، لأنّ المرء لا يستطيع دائما أن يتبيّن أيّ الجماعات المحلّيّة تكوّن مجموعة لغويّة وحيدة. ويرشّح تانيار اللّغة الصّينيّة، وهو يقدّر عدد المتكلّمين بها حوالي العام 1920، أكبرَ مجموعة لغويّة بـ400 مليون متكلّم، ولكنّ كلمة 'صينيّة' تحيل على أسرة من اللّغات الّتي لا يفهم أهل الواحدة منها سائرها. ولا شكّ في أنّ لواحدة منها، وهي الصّينيّة

336 gurgling
337 ابن الصّلب
338 native language
339 native speaker
340 Jesperson

الشّماليّة341، اليوم عددا من النّاطقين بها بالأمومة يفوق أيّ لغة أخرى، ولكنّني لا أعرف أيّ تقدير لعددهم. وربّما يكون ترتيب لغة أخرى من هذه الأسرة، وهي الكانتونيّة342، ضمن أوسع المجموعات اللّغويّة. وعلى أيّ حال، تحلّ الإنجليزيّة في المرتبة الثّانية (حتّى نواصل مع أرقام تانيار343) بـ170 مليون متكلّم بالأمومة. وتأتي الرّوسيّة344 في المرتبة الثّالثة؛ ويقسم تانيار الأرقام بين الرّوسيّة الكبرى345 (80 مليون)، والرّوسيّة الصّغرى346 (الأوكرانيّة347، 34 مليون) والرّوسية البيضاء348 (6.5 مليون)، ولكنّ هذه اللّغات يفهم أبناء الواحدة منها لغة الآخر، والاختلاف بينها تقريبا كالاختلاف بين الإنجليزّية البريطانيّة349 والأمريكيّة350. وبنفس الطّريقة، يفصّل تانيار أكبر لغة رابعة، وهي الألمانيّة، إلى الألمانيّة (80 مليون) واليهوديّة الألمانيّة351 (7.5 مليون)، ورغم أنّ ما تبقّى من أرقامه لا يعتبر الاختلافات اللّهجيّة، قد يكون رقم ياسبرسن بـ 90 مليون أقرب إلى الصّواب. ويهمِل ما تبقّى من أرقام تانيار الجاويّة352 الّتي يتكلّمها على الأقلّ 20 مليون بالأمومة. وتكون أرقامه بهذه التّحويرات كما يلي: الإسبانيّة 65، اليابانيّة353 55، البنغاليّة354[1] 50، الفرنسيّة 45، الإيطاليّة 41، التّركيّة–الطّرطريّة355 39، الهنديّة الغربيّة356[1] 25 ، العربيّة 37، البِهاريّة357 36، البرتغاليّة358 36، الهنديّة الشّرقيّة359[1] 25، التّيلوغيّة360[2] 24 ، البولونيّة361 23، الجاويّة362 20، الماراثيّة363[1] 19، التّاميليّة364[2] 19، الكوريّة365 17، البنجابيّة366[1] 16، الأنّاميّة367 14، الرّومانيّة368 14،

341 North Chinese
342 Cantonese
343 Tesnière
344 Russian
345 Great Russian
346 Little Russian
347 Ukrainian
348 White Russian
349 British English
350 American English
351 Judeo-German
352 Javanese
353 Japanese
354 Bengali
355 Turco-Tartar
356 Western Hindi
357 Bihari
358 Portuguese
359 Eastern Hindi
360 Telugu
361 Polish
362 Javanese
363 Marathi
364 Tamil
365 Korean
366 Panjabi
367 Annamite
368 Roumanian

الرّجستانيّة369[1] 13، الهولنديّة370 13، البوهيميّة السّلوفاكيّة371 12، الكاناريّة372[2] 10، الأوريّة373[2] 10، الهنغاريّة374 10.

وينشأ عنصر آخر من الشّكّ في الأرقام من هذا القبيل من الاختلافات داخل المجموعات اللّغويّة نفسها. فالهولنديّة والألمانيّة لا تكوّنان في الواقع إلاّ مجموعة لغويّة واحدة، بمعنى أن لا وجود لانقطاع بين أشكال الكلام المحلّيّة، ولكنّ الأنواع القصوى لا يفهَم الواحد منها الآخر واتّخذت الجماعات السّياسيّة (فلمنكيّو375 بلجيكا376 والهولنديّون من جانب، وألمانيا والنّمسا377 وسويسرا378 الألمانيّة، من جانب آخر) من شكلين كلاميّين لا يفهم الواحد منهما الآخر، اللّغة الهولنديّة الفلَمنكيّة المعياريّة379 والألمانيّة المعياريّة380، لغتين رسميّتين381. ومن جهة أخرى، يُحتمَل أن تتضمّن كذلك التّركيّة الطّرطريّة وبعض من لغات الهند في قائمتنا، اختلافات كبيرة، وإن أمكن للحالات القصوى أن تترابط بتوسّط تدرجّات382 محلّيّة. وتكمن صعوبة أخيرة لا يمكن تخطّيها، في اكتساب383 النّاس للّغات الأجنبيّة. فلو أمكننا أن نحدّد درجة المهارة384 الّتي تصيّر طالبا ما عضوا من مجموعة لغويّة أجنبيّة، لأمكن للإنجليزيّة، وهي تدرَّس في جميع الأنحاء من العالم، أن تحصل على رقم أكبر بكثير. يقدّر تانيار أنّ لغة المالايو385 يتكلّمها بالأمومة ما يقارب ثلاثة ملايين شخص، وزهاء ثلاثين مليون في مجال التّجارة على وجه الخصوص.

.3 .3

وليست الصّعوبة أو الاستحالة في تحديد أيّ النّاس ينتمون إلى نفس المجموعة اللّغويّة تحديدا دقيقا في كلّ حالة، مصادفة بل تنشأ من طبيعة المجموعات اللّغويّة في صميمها. فلو تفحّصنا الأمر عن قرب كاف، لوجدنا أنّه لا يتكلّم شخصان اثنان –أو بالأحرى، شخص واحد، ربّما، في أزمنة مختلفة– أبدا بطريقة واحدة متشابهة تمام الشّبه. وللتّأكّد من ذلك، تتماثل عادات الكلام في مجموعة من المتكلّمين متجانسة تجانسا نسبيّا – لِنقُل، متكلّمي الإنجليزيّة بالأمومة في جهة الوسَط الغربيّ من الولايات المتّحدة–

369 Rajasthani
370 Dutch
371 Bohemian-Slovak
372 Canarese
373 Oriya
374 Hungarian
375 Flemish
376 Belgium
377 Austria
378 Switzerland
379 Standard Dutch-Flemish
380 Standard German
381 official language(s)
382 gradation(s)
383 acquisition
384 proficiency
385 Malay

تماثلا على درجة أكثر بكثير ممّا يمكن أن تتطلّبه حاجات التّواصل. ونرى الدّليل على ذلك عندما يكون بيننا شخص غريب – لنقل، أمريكيّ من جنوب الولايات الأمريكيّة أو بريطانيّ أو أجنبيّ تملّك الإنجليزيّة: قد يكون كلامه مشابها لكلامنا بدرجة لا يحدث لها أدنى صعوبة في التّواصل، وفوق ذلك، لافتا للانتباه بشكل صارخ في ما يتعلّق بالفروق غير الجوهريّة من قبيل "اللّهجة386" و"العبارات الجاهزة387". ومع ذلك، هناك فروق كبيرة حتّى بين الأعضاء المتكلّمين بالأمومة في جماعة لغويّة ذات تجانس نسبيّ من هذا القبيل، مثل جماعة الوسط الغربيّ الأمريكيّ، بل هناك فروق أكبر، كما رأينا منذ حين، حتّى داخل مجموعة لغويّة واحدة (الإنجليزيّة، مثلا) ككلّ. ولهذه الفروق دور مهمّ جدّا في تاريخ اللّغات؛ واللّسانيّ مجبَر على أن يراعيها بعناية فائقة رغم أنّه قد يجبر بصفة مؤقّتة على تجاهلها في بعض المستويات من أشغاله. وعندما يفعل ذلك إنّما يعتمد بكلّ بساطة منهج التّجريد، وهو منهج ضروريّ للبحث العلميّ، ولكنّ النّتائج الحاصلة بهذا الوجه تستوجب الإصلاح قبل أن يمكن استعمالها في أغلب الأنواع من العمل الأوسع.

يعود الاختلاف بين المتكلّمين في قسم منه إلى التّكوّن الجسديّ وربّما إلى عادة شخصيّة محض. فنحن نتعرّف على أصدقائنا باعتماد أصواتهم الّتي تنبعث من القاعة المجاورة ومن سمّاعة الهاتف. وبعض النّاس أمهر في الكلام من بعضهم الآخر: يتذكّرون عددا أكبر من الكلمات ومن تراكيب الجمل ويطبّقونها بوجه أحسن على المقام ويولّفونها في أسلوب أمتع؛ ويبلغ الأمر أقصى أحواله في العبقريّة الأدبيّة. وفي بعض الأحيان تسنِد المواضعة بعض أشكال الكلام إلى بعض المتكلّمين، كما هو الحال عندما يتعلّم الجنديّ والخادم المؤدَّب والطّفل في بعض المدارس، أن يقولوا (*sir*) [سيّدي] أو (*ma'm*) [سيّدتي]، لبعض النّاس الّذي لا يبادلونهم تلك الكلمات. وبعض عبارات التّعجّب، من قبيل (*Goodnes gracious*!) ['يا إلاهي!] و(*Dear me*!) [يا إلاهي!]، مخصوصة على نطاق واسع باستعمال النّساء. وتكون بعض العبارات في بعض المجموعات اللّغويّة معهودة حسب الجنسين، والمثال الكلاسيكيّ هو مثال هنود الكاريب388، والمثال حديث التّوثيق هو لغة هنود اليانا389 في الجزء الشّماليّ من كاليفورنيا. في ما يلي أمثلة من الكلمات اليانيّة390:

	لغة الرّجال	لغة النّساء
'fire' [نار]	*'auna*	*'auh*
'my fire' [ناري]	*'aunija*	*'au'nich'*
'deer' [أيل]	*bana*	*ba'*

386 accent
387 idioms
388 Carib indian(s)
389 Yana Indian(s)
390 Yana language

t‘et‘	*t‘en’a*	‘grizzly-beer’ [دبّ رماديّ]

ويمكن أن تُبيَّن الفروق بين مجموعتي الأشكال اليانيّة بمجموعة من القواعد المعقّدة جدّا.

.4 .3

تعود أهمّ الفروق في الكلام داخل مجموعة بشريّة إلى اختلافات في *كثافة التّواصل*391. يتعلّم الطّفل الكلام كما يتكلّم النّاس حوله، ولكن ينبغي علينا أن لا نتصوّر أنّ هذا التّعلّم يبلغ نهاية مخصوصة: فلا وجود لساعة أو يوم يمكن أن نقول إنّ شخصا قد أنهى تعلّم الكلام عنده، ولكن، على خلاف ذلك، يظلّ المتكلّم، حتّى نهاية حياته، يفعل نفس الأشياء الّتي تقيم تعلّم اللّغة392 عند الأطفال. ويمكن أن يؤخذ وصفنا لهذا التّعلّم (§ 2. 5) في كثير من النّواحي، على أنّه عرض بالصّور البطيئة لعمليّات الكلام العاديّة. فلغة كلّ متكلّم، ما عدا العوامل الشّخصيّة الّتي يجب أن نهملها هنا، إنّما هي نتيجة مركّبة لما كان قد سمع النّاس الآخرين يقولونه.

تخيّلوا رسما بيانيّا ضخما ترمز فيه نقطة لكلّ متكلّم في المجموعة، وتخيّلوا أنّه كلّما نطق متكلّم بجملة، يسطّر سهم في الرّسم البيانيّ ينطلق من النّقطة الّتي تمثّله هو إلى النّقطة الّتي تمثّل كلّ واحد من سامعيه. وفي نهاية فترة زمانيّة محدّدة، لنقل سبعين سنة، يمكن أن يبيّن لنا هذا الرّسم كثافة التّواصل داخل المجموعة. وقد يتبيّن أنّ بعض المتكلّمين كانوا في تواصل وثيق: فتكون أسهم كثيرة من الواحد إلى الآخر. ويمكن أن تكون سلاسل كثيرة من الأسهم تربط بينهم عن طريق متكلّم وسيط393 واحد أو متكلّمين وسيطين اثنين أو ثلاثة من المتكلّمين الوسطاء. وعند النّهاية المقابلة قد يكون متكلّمون متباعدون تباعدا كبيرا لم يسمع قطّ الواحد منهم الآخر يتكلّم قطّ وكانوا مترابطين فقط بسلاسل مديدة من الأسهم عبر الكثير من المتكلّمين الوسيطين. فإذا أردنا أن نعرف الإعجاب أو عدم الإعجاب بين مختلف المتكلّمين في المجموعة، أو، ما ينتهي في نهاية المطاف إلى الشّيء نفسه، أن نتكهّن بدرجة الإعجاب بين متكلّمَين معلومَين، تكون أوّل خطوة ننجزها متمثّلةً في عدّ الأسهم أو سلاسل الأسهم الّتي تربط بين نقطتيهما، وتحليلِها. وسنرى بعد حين أنّ هذه الخطوة ليست إلاّ أولى الخطوات؛ فمن الأرجح أن يكرّر قارئ هذا الكتاب، على سبيل المثال، شكلا كلاميّا كان قد سمعه من، لنقل، محاضر مشهور، من أن يكرّره عندما يكون قد سمعه من كتّاس بلَديّ.

والرّسم البيانيّ الّذي تخيّلناه مستحيل بناؤه. فقد يمثّل عاملُ الزّمن صعوبة لا يمكن تخطّيها وهي أهمّ الصّعوبات: فإذا انطلقنا من الأشخاص الأحياء الآن، يكون من الواجب أن نجعل نقطةً لكلّ متكلّم

391 density of communication
392 language-learning
393 intrmediate speaker (locuteur intermédiaire)

بلغ صوتُه إلى أيّ شخص على قيد الحياة في أيّ وقت، ثمّ نجعل نقطةً لكلّ متكلّم سمعه هؤلاء المتكلّمون في أيّ من الأوقات، وهكذا دواليك، عَودًا إلى ما قبل أيّام الملك ألفريد العظيم394، وما قبل فجر التّاريخ، عودا لا ينتهي حتّى الفجر البدائيّ للنّوع البشريّ: إنّ كلامنا لمرتبط كلّيّا بكلام الماضي. وإذ لا نستطيع إقامة هذا الرّسم البيانيّ، نعوّل بدل ذلك على دراسة النّتائج غير المباشرة، ونُجبَر على اللّجوء إلى الافتراض395. ولا نعتقد أنّ الفوارق في كثافة التّواصل داخل مجموعة لغويّة لا تكون شخصيّة وفرديّة، فقط، بل نعتقد كذلك أنّ المجموعة تنقسم إلى نظم متنوّعة لجماعات فرعيّة بوجه يكون به الأشخاص من داخل جماعة فرعيّة ما، يكلّمون بني جماعتهم أكثر بكثير ممّا يكلّمون أشخاصا من خارج جماعتهم الفرعيّة. وباعتبار نظام الأسهم شبكةً، يمكننا أن نقول إنّ تلك الجماعات الفرعيّة مفصول بينها *بخطوط ضَعف*396 في شبكة التّواصل الشّفويّ397 هذه. فتكون خطوط الضّعف والفروق الكلاميّة داخل مجموعة لغويّة، وفقا لذلك، *محلّيّة*398، ولمجرّد انفصال جغرافيّ، *غير محلّيّة*399أو كما نقول عادة، *اجتماعيّة*400. وفي البلدان الّتي انتشرت فيها حديثا مجموعة لغويّة ووطّنت، تكون الفوارق المحلّيّة ضئيلة نسبيّا، كما هو الحال، لنقُل، في الولايات المتّحدة (خاصّة في القسم الغربيّ) أو روسيا؛ وفي البلدان الّتي وطّنت فيها منذ أمد بعيد المجموعةُ اللّغويّة نفسها، تكون الفوارق المحلّيّة أكبر بكثير، كما هو الحال، لنقل، في أنجلترا حيث كانت الإنجليزيّة جارية طيلة 1500 عام تقريبا، أو في فرنسا حيث كانت اللاّتينيّة (هي ما يسمّى، اليوم، الفرنسيّة) جارية طيلة ألفين من السّنوات.

.5 .3

سنفحص أوّلا الحالة البسطى، كما تتجلّى في الولايات المتّحدة. يتمثّل أبرز خطّ للانقسام في كلامنا في الطّبقة الاجتماعيّة. فالأطفال المولودون في العائلات الشّريفة يصيرون بحكم الثّروة أوالتّقاليد أو التّربية ناطقين بالأمومة بما يعرَف عند العامّة بالإنجليزيّة "الجيّدة"؛ ويخيّر اللّسانيّ أن يطلق عليها اسما غير إحاليّ401 هو الإنجليزيّة *المعياريّة402*. ويصير الأطفال من ذوي الثّراء المحدود متكلّمين بالأمومة بالإنجليزيّة *"السّيّئة*403" أو *"المبتَذَلة*"404 أو "*غير المعياريّة*"405 كما يخيّر اللّسانيّ تسميتها. فيكون، على سبيل المثال، (*I have none, I haven't any, I haven't got any*) [ما عندي شيء] من الإنجليزيّة ("الجيّدة") المعياريّة، و(*I ain't got none*) من الإنجليزيّة ("السّيّئة") غير المعياريّة.

394 King Alfred the Great
395 hypothesis (es)
396 line(s) of weakness
397 oral communication
398 local
399 non-local
400 social
401 non committal
402 standard English
403 bad English
404 vulgar English
405 non-standard English

وهذان النّوعان الرّئيسيّان من الإنجليزيّة الأمريكيّة لا يعامَلان على الإطلاق معاملة واحدة. وتُستعمَل الأشكال المعياريّة في المدرسة وفي الكنيسة وفي الخطاب الّذي يهمّ رسميّا المجموعة بأكملها، كما يجري في المحاكم وفي المجالس التّشريعيّة. وتتأسّس كلّ الكتابة عندنا (ما عدا ما كان للدّعابة) على الأشكال المعياريّة، وهذه الأشكال مسجّلة في كتب النّحو وفي القواميس وتعرَض في الكتب التّعليميّة للأجانب الّذين يريدون أن يتعلّموا لغتنا. وتتّفق كلتا الجماعتين من المتكلّمين، المعياريّة وغير المعياريّة، على تسمية الأشكال المعياريّة "جيّدة" أو "صحيحة"، وعلى تسمية الأشكال غير المعياريّة "سيّئة" أو "غالطة" أو "مبتذلة" أو "غير إنجليزيّة". ولا يكلّف المتكلّم بالإنجليزيّة المعياريّة نفسَه عناء تعلّم الأشكال غير المعياريّة، لكنّ كثرةً كثيرة من المتكلّمين بالإنجليزيّة غير المعياريّة يحاولون استعمال الأشكال المعياريّة. فمن اليقينيّ أنّ ابن الجماعة غير المحظوظة الّذي يكتسب الحظوة، لنقل، عن طريق المال أو البروز السّياسيّ، يتعلَّم، على أحسن ما يرام، أشكالَ الكلام المعياريّة. وبالفعل قد تُعرّض زلّات اللّسان اللاّفتةُ في هذا الصّدد – حتّى قولُه (*I seen it*) أو (*I done it*)، مرّة يتيمة – منزلتَه الّتي اكتسب حديثا، للخطر.

وهناك فوارق ثانويّة داخل اللّغة المعياريّة. تصنّف الأشكال المفترقة في هذه الحالة، مرّة أخرى، إلى عليا أو دنيا. فعلى سبيل المثال، يُعتَبَر شخص من شيكاغو يستعمِل حركة (*ah*) كما في كلمة (*father*) [أب]، عوضا عن حركة (*a*) كما في كلمة (*man*) [رجُل]، ذات الانتشار الأوسع، في كلمات من قبيل (*laugh*) [ضحك] و(*half*) [نصف] و(*bath*) [حمّام] و(*dance*) [رقص] و(*can't*) [لا يستطيع]، متكلّما بنوع راق من الإنجليزيّة. ومع ذلك تختلف مواقف النّاس، في حالات مثل هذه: يعتبر الكثير من أهل شيكاغو الأشكالَ الجارية بحركة (*ah*)، سخيفةً متكلَّفة. ويتجادل المتكلّمون بالإنجليزيّة المعياريّة دائما في أيّ الشّكلين "أحسن": (*it's I*) [هذا أنا، هو أنا]، أو (*it's me*) [هذا أنا، هو أنا]، (*forehead*) [جبهة، جبين، صدر]، أو (*forrid*) [جبهة، جبين، صدر]. وإذ لا يكترث المتجادلون بالاتّفاق على تعريف لصفة "أحسن"، لا تقف هذه الخصومات عند نهاية أبدا. فهذا موضوع سيشغلنا مرّة ثانية.

وبالإضافة إلى ذلك، توجد داخل اللّغة المعياريّة فروق ترتبط ارتباطا واضحا بكثافة التّواصل: الطّبقات الاقتصاديّة المختلفة – لنقُل، الطّبقة شديدة الغِنى وما يطلق عليه "الطّبقة الوسطى" بمحتلف الدّرجات فيها– مختلفة في الكلام. فتكون الفروق حينئذ في التّربية أي في تقاليد العائلة وطريقة التّمدرس كلتيهما. وتخترق هذه الفروقَ تقسيماتٌ أقلُّ شأنا تجري في الشّغل التّقنيّ: الأنواع المختلفة من الحِرفيّين والتّجّار والمهندسين ورجال القانون والأطبّاء والعلماء والفنّانون وما إلى ذلك، مختلفون في الكلام بعض

الشّيء. وللرّياضات والهوايات على الأقلّ مفرداتها الخاصّة. وسنهتمّ لاحقا بعامل الشّرائح العُمريّة. فهو قوّة جبّارة لكنّها تعمل بطريقة تكاد تكون غير مرئيّة، وتتجلّى نادرا في المستوى الّذي يعنينا الآن، ربّما استثنِي منه ولعُ الشّباب بالسّوقيّ406 من الكلام.

وأكثر الفوارق استقرارا وبروزا، حتّى في الولايات المتّحدة وحتّى في لغتنا المعياريّة، هي الفوارق الجغرافيّة. فلنا في الولايات المتّحدة ثلاثة أنواع جغرافيّة كبرى من الإنجليزيّة: إنجليزيّة نيو إنغلاند407 والغربيّة– الوسطى408 والجنوبيّة. وداخل هذه الأنواع فوارق محلّيّة أصغر: يستطيع المتكلّمون بالإنجليزيّة المعياريّة من الجهات ذات التّوطين الأقدم في البلاد، أن يعرفوا دائما الموطنَ الأصليّ لمتكلّم ما في حدود دقيقة جدّا. فمجال التّنوّع في الإنجليزيّة المعياريّة في أمريكا شاسع، خاصّة من زاوية طريقة النّطق409: تُقبَل وجوه النّطق المختلفة اختلافا كبيرا، من قبيل، لنقل، النّطقين في كارولاينا الشّماليّة410 وشيكاغو411، بالتّساوي على أنّها معياريّة. فلا يُطلَب نطق موحّد إلاّ في الأعمال المسرحيّة، وهنا يستعمل الممثّلون نطقا بريطانيّا عوضا عن نطق أمريكيّ. وفي أنجلترا أنواع جهويّة مماثلة ولكن لا تسنَد إليها قيمة متساوية. و تعطَى أعلى درجات الاعتراف الاجتماعيّ لإنجليزيّة الجنوب الّتي يُطلَق عليها إنجليزيّة "المدرسة العموميّة"412. وتتمتّع مستويات التّدريج المهولةُ انطلاقا من هذه الدّرجة في اتّجاه أنواع المعيار الإقليميّة413 بصفة قاطعة، بشرف أقلّ إذ تخرج عن النّوع المفضّل مطلقَ التّفضيل. فالاعتراف الاجتماعيّ بمتكلّم بالإنجليزيّة المعياريّة من سكوتلند414ا أو يوركشاير415 أو لانكَشاير416 يرتبط في جزء منه بالمدى الّذي يقارب به نطقُه النّوعَ الجنوبيّ الّذي يكون للطّبقة العليا. ففي بريطانيا، ولكن نادرا في الولايات المتّحدة، ترتبط التّلوينات الإقليميّة للإنجليزيّة المعياريّة ارتباطا وثيقا بالفروق في المستوى الاجتماعيّ.

.6 .3

ويظهر في الكلام غير المعياريّ تنوّع أكبر من الكلام المعياريّ. فعلى قدر ارتفاع المنزلة الاجتماعيّة الّتي تكون للمتكلّم غير المعياريّ، يكون قربه من اللّغة المعياريّة. وفي القمّة يكون المتكلّمون الانتقاليّون الّذين يستعملون شكلا من الكلام يقارب المعياريّ لا تخالطه إلاّ بضع أشكال من الكلام غير

406 slang
407 New England
408 Central-Western English
409 pronounciation
410 North Carolina
411 Chicago
412 « Public School English» (Received English (RE))
413 provincial
414 Scotland
415 Yorkshire
416 Lancashire

المعياريّ، وربّما نُطِق بلهجة ريفيّة خالصة. وعند المستوى السّفليّ يكون المتكلّمون الرّيفيّون الخُلّص أو البروليتاريّون الّذين لا يدّعون شيئا من استعمال الأشكال المعياريّة.

وإلى جانب هذا التّدريج المسترسل، يكون لكلّ واحدة من الجماعات المتنوّعة من المتكلّمين غير المعياريّين، أشكالها الكلاميّة الخاصّة بها. وللجماعات المهنيّة من قبيل صيّادي السّمك، وعمّال الألبان، والخبّازين وصنّاع الجعة وما إلى ذلك، على أيّ حال، لغتهم التّقنيّة الخاصّة417 بهم. وتستعمل الجماعات من الأقلّيّات المنقطعة بأيّ طريقة من المجموعة الكبرى، بصفة خاصّة، أنواعا من الكلام موسومة بجلاء. وعلى هذا الوجه كان البحّارة يستعملون نوعا من الإنجليزيّة غير المعياريّة خاصّا بهم. وللمتشرّدين والخارجين عن القانون أشكال كلاميّة خاصّة بهم، وكذا أهل السّرك وأصحاب فنون الفُرجة الجوّالون. وفي المتكلّمين غير المعياريّين بالألمانيّة، يختلف المسيحيّون418 واليهود419، وفي بعض الأماكن الكاثوليك420 والبروتستانتيّون421، في الكثير من الأشكال اللّغويّة عندهم. إذا كانت الجماعة الخاصّة على نقيض المجموعة الكبرى، يمكنها أن تستعمل خصوصيّاتها في الكلام لهجةً سرّيّة، كما يفعل الغجر المتكلّمون بالإنجليزيّة. وقد طوّر المجرمون في مختلف البلدان لهجات سرّيّة من هذا القبيل.

ولكنّ أكبر تنوّع في الكلام غير المعياريّ تنوّع جغرافيّ. والفوارق الجغرافيّة الّتي نسمعها حتّى في الإنجليزيّة المعياريّة في الولايات المتّحدة، تكون أكثر بروزا عندما نصغي إلى المتكلّمين غير المعياريّين. فتكون هذه الخصائص المحلّيّة بيّنة في المناطق النّائية داخل الجهات ذات التّوطين الأقدم في البلاد، بيانا يمكننا له أن نصفها بكونها لهجات محلّيّة.422

وفي المجموعات اللّغويّة المتوطّنة منذ القديم، من النّوع الّذي يُمَثّل له بفرنسا أو بالجزء البريطانيّ من جماعة المتكلّمين بالإنجليزيّة، يكون للّهجات المحلّيّة دور أكبر بكثير. ففي المجموعات من هذا القبيل، يمكن أن تنقسم اللّغة غير المعياريّة، قسمة تقريبيّة ودون حدّ فاصل بالتّدقيق، لنكون على يقين، إلى كلام دون المعياريّ423، قابل للفهم على الأقلّ، وإن لم يكن متجانسا، على امتداد البلاد، وإلى لهجة محلّية424 تختلف من مكان إلى مكان، إلى حدّ أنّ المتكلّمين الّذين يعيش الواحد منهم على مسافة ما من الآخر قد لا يتفاهمون. وينتمي الكلام دون المعياريّ ، في مثل هذه البلدان، إلى "الشّريحة السّفلى من الطّبقة الوسطى" –أي أكثر النّاس طموحا في عملة التّجارة والميكانيكيّين أو عمَلة البلديّة،– وإلى لهجات محلّيّة يتكلّمها الرّيفيّون وأشدّ النّاس فقرا في المدن.

417 technical language
418 Christians
419 Jews
420 Catholics
421 Protestants
422 local diamect(s)
423 sub-standard speech
424 local dialect

واللّهجات المحلّية ذات أهمّيّة قصوى عند اللّسانيّ، لا من حيث يوفّر له تنوّعها الكبير الكثيرَ من العمَل، بل من حيث لا يمكن أن يُفهَم أصل النّوعين المعياريّ ودون المعياريّ من الكلام وتاريخهما إلاّ في ضوء اللّهجات المحلّيّة. وقد انتهى الأمر باللّسانيّين خلال العقود الأخيرة خاصّة إلى إدراك أنّ جغرافية اللّهجات425 تزوّدهم بالمفتاح لمسائل كثيرة.

ففي بلد مثل فرنسا أو إيطاليا أو ألمانيا– وهي في هذا الصّدد حالات مدروسة أكثر من حالة بريطانيا– لكلّ قرية، أو على أقصى تقدير لكلّ مجموعة من قريتين أو ثلاث، لهجتها المحلّيّة المخصوصة. وعادة ما تكون الفوارق بين اللّهجات المحلّيّة المتجاورة صغيرة ولكنّها ممّا يمكن تبيّنه. وللقرويّين استعداد للإخبار عمّا به يختلف كلام جيرانهم عن كلامهم، وغالبا ما يسخرون من جيرانهم بسبب تلك الخصوصيّات. والفوارق، من مكان إلى مكان، صغيرة، ولكنّها تتراكم بتقدّم المرء في سفره في أيّ واحد من الاتّجاهات، إلى حدّ لا يستطيع فيه المتكلّمون، لنقل عند نهاية الحدود المقابلة من البلد، أن يفهم الواحد منهم الآخر، وإن لم يكن خطّ واضح يعيّن الحدود اللّغويّة بين الأمكنة الّتي يعيشون فيها. تسمّى كلّ منطقة جغرافيّة ذات مقاطع انتقاليّة متدرّجة *مجالا لهجيّا*426.

وداخل كلّ مجال لهجيّ يمكننا أن نرسم خطوطا بين الأماكن الّتي تختلف في أيّ سمة من سمات اللّغة. وهذه الخطوط تسمّى فواصل لهجيّة427. فإذا ما كان لقرية ما خصيصة كلاميّة فريدة، يكون الفاصل اللّهجيّ المتأسّس على تلك الخصيصة، ببساطة خطّا حول تلك القرية. ومن جهة أخرى، إذا كانت الخصيصة ممتدّة على جزء كبير من المجال اللّهجيّ، يظهر ذلك الفاصل القائم على أساس تلك الخصيصة في شكل خطّ طويل يقسِم المجال اللّهجيّ إلى قسمين. ففي ألمانيا، على سبيل المثال، تَنطق اللّهجات الشّماليّة كلمة (*bite*) [عضّ] بصوت (t)، كما نفعل في الإنجليزيّة، ولكنّ اللّهجات الجنوبيّة تنطقها بصوت (s) (كما في (*beiszen*) [عضّ، قرص...] في الألمانيّة المعياريّة). فيكون الفاصل اللّهجيّ الّذي يفصل بين هذين الشّكلين خطّا طويلا غير منتظم يذهب شرقا وغربا عبر المنطقة اللّغويّة الألمانيّة. وفي شمال أنجلترا وشمالها الشّرقيّ يمكن للمرء أن يحدّد منطقة يكون فيها الماضي من الفعل (*bring*) [أحضر، جلب]، على صيغة (*brang*). فالأطالس اللّهجيّة428، أي مجموعات الخرائط الّتي تُرسَم عليها منطقة بفواصلها اللّهجيّة، أدوات عمل مهمّة بالنّسبة إلى اللّسانيّ.

ويختلف موقف المتكلّمين إزاء اللّهجات المحلّيّة بعض الشّيء في البلدان المختلفة. ففي أنجلترا للّهجات المحلّيّة شرف قليل، والمتكلّم من الطّبقة العليا لا يقلقه أمرها ولكنّ من يترقّى اجتماعيّا من النّاطقين بالأمومة بلهجة محلّيّة يحاول أن يتخلّص منها تماما، حتّى وإن كان ذلك مقابلَ شكل من أشكال

425 dialect geography
426 dialect area
427 isogloss(es)
428 dialect atlas(es)

اللّغة دون المعياريّة ليس غير. ومن جهة أخرى، ظهر عند الألمان، في غضون القرن الماضي، نوع من الولع الرّومنطيقيّ باللّهجات المحلّيّة، في حين يخجل بها المتكلّم من الطّبقة الوسطى الّذي لا يكون واثقا من منزلته الاجتماعيّة وثوقا متينا، ويحرص بعض الألمان من أبناء الطّبقة العليا على استعمال اللّهجة المحلّيّة الجارية في مسقط رؤوسهم. ويبلغ هذا الأمر في ألمانيّة سويسرا أقصاه: حتّى السّويسريّ ابن الطّبقة العليا الّذي يعرف الألمانيّة المعياريّة، يستعمل اللّهجة المحلّيّة وسيلة تواصل عادية في عائلته ومع جيرانه.

.7 .3

يمكن ترتيب أنواع الكلام الرّئيسيّة الجارية في مجموعة لغويّة معقّدة ترتيبا تقريبيّا كما يلي:

(1) المعياريّ الأدبيّ[429]، يجري في الخطاب الرّسميّ وفي الكتابة (مثال: *I have none*)؛

(2) المعياريّ العامّيّ[430]، كلام الطّبقة الغنيّة (مثال: (*I haven't any*) أو (*I haven't got any*) في أنجلترا، إذا ما نُطق بأصوات إنجليزيّة "المدرسة العموميّة" الجنوبيّة وبتنغيمها.[431]

(3) المعياريّ الإقليميّ[432]، في الولايات المتّحدة الأمريكيّة، وقد لا يتميّز من (2)، تتكلّمه الطّبقة "الوسطى"، قريب جدّا من (2)، لكنّه يختلف اختلافا طفيفا من إقليم إلى إقليم (مثال: (*I haven't any*) أو (*I haven't got any*) كما تُنطق في أنجلترا بأصوات وتنغيمات تنحرف عن إنجليزيّة "المدرسة العموميّة" المعياريّة)؛

(4) دون المعياريّ[433]، يختلف اختلافا واضحا عن (1) و(2) و(3)، في البلدان الأوروبّيّة تتكلّمه الشّريحة السّفلى من الطّبقة الوسطى، وفي الولايات المتّحدة يتكلّمه جميع النّاس تقريبا ما عدا المتكلّمين بالنّوع (2–3)، ويختلف طوبوغرافيّا دون فارق محلّيّ حادّ (مثال: (*I ain't got none*))؛

(5) اللّهجة المحلّيّة[434]، جارية في الطّبقة الأقلّ حظّا، ولم تتطوّر إلاّ تطوّرا طفيفا في الولايات المتّحدة، وتستعمَل كذلك في سويسرا لغةً منزليّةً عند الطّبقات الأخرى؛ وتختلف تقريبا من قرية إلى قرية، تنويعاتها كثيرة جدّا إلى حدّ أنّ المتكلّمين بها لا يفهم الواحد منهم الآخر في الأغلب، ولا يفهمها المتكلّمون بالأنواع (2–3–4) (مثال: (*a hae nane*)).

.8 .3

429 literary standard
430 colloquial standard
431 intonation
432 provincial standard
433 sub-standard
434 local dialect

لقد بيّن لنا عرضنا للفوارق داخل مجموعة لغويّة أنّ الأعضاء في مجموعة لغويّة يمكن أن يتكلّموا بوجوه متشابهة جدّا إلى حدّ أنّ كلّ واحد منهم يستطيع أن يفهَم أيّ واحد آخر، أو يمكن أن يختلف اختلافا كبيرا إلى حدّ أنّ الأشخاص الّذين يعيشون على مسافة ما قد لا يستطيع الواحد أن يفهم الآخر. ومن نماذج الحالة الأولى قبيلة هنديّة من مئات قليلة من الأشخاص، ومن نماذج الثّانية مجموعة لغويّة ذات انتشار واسع مثل الإنجليزيّة حيث لا يفهم أمريكيّ ومتكلّم بلهجة يوركشاير الواحد منهما كلام الآخر. بيد أنّنا لا نستطيع فعليّا أن نرسم أيّ خطّ فاصل بين الحالتين لأنّ جميع الأنواع من التّدريج كائنة بين الفهم وعدم التّوصّل إلى الفهم. فقد يرتبط فهم الأمريكيّ واليوركشايريّ[435] الواحد منهما الآخر، بذكاء كلّ من الفردين المعنيّين، وبتجربتهما العامّة في اللّهجات أو اللّغات الأجنبيّة، وبقابليّتهما في تلك اللّحظة، وبالمدى الّذي توضّح فيه الوضعيّة قيمة الملفوظ الكلاميّ، وما إلى ذلك. ومرّة أخرى، هناك تدرّجات غير ذات نهاية بين الكلام المحلّي والمعياريّ، فالواحد من الشّخصين أو كلاهما يمكن أن يقدّم تنازلات تعين على الفهم، وهذ التّنازلات تجري دوما في اتّجاه اللّغة المعياريّة.

وجميع ذلك يمنعنا من رسم خطّ واضح حول حدود الكثير من المجموعات اللّغويّة. والحالات الواضحة هي تلك الّتي تتتاخم فيها لغتان بينهما عدم تفاهم متبادل، كما هو، لنقُل، حال الإنجليزيّة والإسبانيّة في الجنوب الغربيّ من بلادنا. فتكون هنا لغة كلّ شخص بالأمومة – إن أغفلنا طلبا للتّبسيط لغات الهنود والمهاجرين حديثا– إمّا الإنجليزيّة أو الإسبانيّة، ويمكننا أن نسطّر خطّا وهميّا، أي حدّا لغويّة[436]، يفصل بين المتكلّمين بالإنجليزيّة والمتكلّمين بالإسبانيّة. ولا يظهر هذا الحدّ اللّغويّ في شكل خطّ بسيط ثابت بين مجموعتين متماسكتين طوبوغرافيّا. فيكون هناك مستوطنات متكلّمة بالإنجليزيّة متناثرة خارجه، في شكل جزر كلاميّة[437]، في محيط إسبانيّ كلّيّا، وعلى عكس ذلك جزر كلاميّة إسبانيّة تحيط بها مجموعات ناطقة بالإنجليزيّة. وتعيش العائلات والأفراد من كلّ واحدة من الجماعتين ضمن أبناء الأخرى فيكون من الواجب أن تُحاط بدائرة صغيرة منفصلة في حدّ اللّغة الّتي أقمناه. فحدّ اللّغة الّذي أقمناه إذن لا يتكوّن من خطّ كبير غير منتظم فقط، بل يتكوّن كذلك من دوائر مغلقة صغيرة حول الجزر الكلاميّة لا يتضمّن بعضها إلاّ عائلة وحيدة أو شخصا وحيدا. ومهما يكن من أمر فإنّ حدّ اللّغة هذا يمثّل، رغم تعقّده الهندسيّ وعدم ثباته من يوم إلى آخر، تمييزا واضحا. وصحيح أنّ الباحثين اللّسانيّين قد وجدوا شبها كافيا بين الإنجليزيّة والإسبانيّة يثبت به، بما لا يدع مجالا للشّكّ، أنّ تينك اللّغتين مترابطتان، ولكنّ هذا التّشابه والتّرابط على غاية من البعد ليؤثّر في المسألة الّتي تشغلنا هنا.

ويمكن أن يقال الشّيء نفسه، على سبيل المثال، عن الألمانيّة والدّانماركيّة[438]. فيمكننا أن نرسم عبر شبه جزيرة جوتلاند[439] مباشرة شمالَ مدينة فلانسبورغ[440]، حدّا بين اللّغتين، وقد يظهِر هذا الحدّ،

435 Yorkshireman
436 language boundary
437 speech-island(s)
438 Danish

على سلّم أصغر، نفس السّمات الّتي تكون للحدّ الفاصل بين الإنجليزيّة والإسبانيّة في الجنوب الغربيّ من بلادنا. غير أنّ الشّبه بين اللّغتين، وفي هذه الحالة، قريب قربا كافيا ليجعلنا ننتبه إلى إمكانيّات أوسع. فاللّغتان لا يفهم أهل الواحدة منهما الأخرى، ولكنّهما متشابهتان شبها قريبا جدّا لا حاجة فيه إلى دراسة لسانيّة لرؤية تلك العلاقة. وإن قارن المرء بين أشياء من هذا القبيل في المطلق، لا يكون الفارق أكبر من الفارق بين، لنقل، لهجة ألمانيّة محلّيّة جارية في سلاسفيك441 وأخرى جارية في سويسرا. وتبين الألمانيّة والهولنديّة، حيث تتتاخمان، عن فارق لا يفوق الفوارق الّتي يمكن أن توجد في صلب مجموعة كلاميّة وحيدة بينها فوارق محلّيّة – ولا تدخّل للتّدريجات الوسيطة إلاّ في هذه الحالة الأخيرة، في حين لا نجد بين الألمانيّة والهولنديّة لهجات وسيطة.

وتتجلّى طبيعة هذا التّمييز النّسبيّةُ الصّرف بوضوح في حالات أخرى. فنحن نتحدّث عن الفرنسيّة والإيطاليّة، وعن السّويديّة والنّورويجيّة، وعن البولونيّة442 والبوهيميّة443، على أنّها لغات متباينة لأنّ هذه المجموعات متباينة سياسيّا وتستعمل لغات معياريّة مختلفة، ولكنّ الفوارق في الأشكال الكلاميّة المحلّيّة عند الحدود في جميع هذه الحالات طفيفة نسبيّا وليست أكبر ممّا نجده في صلب كلّ واحدة من هذه المجموعات اللّغويّة. ويتلخّص من السّؤال في ما يلي: ما هي درجة الاختلاف بين شكلين كلاميّين متّصلين الّتي تبرّر الاسم الّذي يطلق على حدود لغة؟ ومن الجليّ أنّنا لا نستطيع أن نوازن الفوارق وزنا دقيقا كما نفعل هنا. ففي بعض الحالات، لا تنطبق، بكلّ تأكيد، عاداتنا في التّسمية على الظّروف اللّغويّة. فاللّهجات المحلّيّة لا تبرّر أيّ خطّ يفصل بين ما نسمّيه ألمانيّة وما نسمّيه الهولنديّة الفلامانكيّة: مجال الكلام الهولنديّ الألمانيّ يمثّل وحدة من زاوية لغويّة ولكنّ الانقسام سياسيّ بالأساس؛ وهو لغويّ بمعنى أنّ الوحدتين السّياسيّتين تستعملان لغتين رسميّتين مختلفتين فقط. وفي المجمل، ليس لمصطلح مجموعة لغويّة إلاّ قيمة نسبيّة. فإمكانيّة التّواصل بين الجماعات أو حتّى بين الأفراد، تترتّب على درجات تشمل جميع ما بين الصّفر صعودا إلى أقصى درجات التّوافق دقّة. ومن الواضح أنّ الدّرجات الوسيطة تساهم مساهمة كبيرة في رفاه الإنسان وتقدّمه.

.3 .9

وتزداد إمكانيّات التّواصل نشاطا وتنطمس الحدود بين المجموعات اللّغويّة إلى حدّ بعيد، بفعل عامل آخر مهمّ جدّا، يعني ذلك استعمال النّاس للّغات الأجنبيّة. وليس هذا إنجازا حديثا على الإطلاق؛ ففي الشّعوب ذات الحضارة البسطى، من قبيل بعض القبائل من الهنود الأمريكيّين، يتكلّم الأشخاص ذوو الاختلاط الجيّد في الأغلب أكثر من لغة واحدة من لغات القبائل المجاورة. وعامل التّكلّم بلغة أجنبيّة غير

439 Jutland peninsula
440 Flensburg
441 Sleswick
442 Polish
443 Bohemian

قابل للقيس إذ يتدرّج الإتقان فيه نزولا حتّى ثرثرة على غاية من التّفاهة لا تكون به تقريبا استعمالا حقيقيّا للّغة. فيمكن أن يصنّف المتعلّم على أنّه *متكلّم أجنبيّ*444 بلغة ما، طالما أمكنه أن يتواصل بها. وكنّا قد رأينا أنّ الفائدة من بعض اللّغات، من قبيل الإنجليزيّة أو لغة المالاي، تعود في جزء منها إلى انضمام المتكلّمين الأجانب. فاللّغة الإنجليزيّة، في الأغلب الغالب، تجري كما هو الأمر عند الطّبقة المثقّفة في الهند، أداة تواصل بين المتكلّمين الأجانب الّذين لا يفهم الواحد منهم لغة الآخر بالأمومة. وينقطع بعض النّاس تماما عن استعمال لغتهم بالأمومة لصالح لغة أجنبيّة. يجري ذلك بتواتر في صلب المهاجرين في الولايات المتّحدة. فإذا لم يستقرّ المهاجر في مستوطنة فيها أشخاص آخرون من بني جنسيّته الأصليّة، وخاصّة إذا تزوّج من خارج جنسيّته الأصليّة، قد لا يجد الفرصة مطلقا لاستعمال لغته بالأمومة. وقد يبدو أنّ هذا الأمر، في حال الأشخاص من ذوي التّعلّم المحدود خاصّة ، يؤول بعد زمن إلى نسيان بالجملة: والنّاس من هذا القبيل يفهمون لغاتهم بالأمومة عندما تتوفّر لهم فرصة سماعها جارية في الكلام، ولكن لا يمكنهم التّكلّم بها بطلاقة أو حتّى بشكل مفهوم. لقد أحدثوا نقلة لغويّة445؛ ووسيلتهم الوحيدة في التّواصل، الآن، هي الإنجليزيّة، وما هي بالنّسبة إليهم بلغة الأمومة بل هي لغة متبنّاة446. وفي بعض الأحيان، يكون هؤلاء الأشخاص، مع ذلك، قد اكتسبوا الإنجليزيّة بشكل منقوص جدّا فيكونون تبعا لذلك في موضع من لا يحسن التّكلّم بأيّ لغة.

وتتوفّر حالة أخرى من النّقلة اللّغويّة أكثر انتشارا، في صلب أطفال المهاجرين. يتكلّم الأهل في الأغلب الغالب لغتهم بالأمومة في المنزل، فيجعلونها لغة أطفالهم بالأمومة، ولكنّ الأطفال، حالما يبدؤون اللّعب خارج المنزل أو الذّهاب إلى المدرسة، يمتنعون عن التّكلّم بلغتهم العائليّة، ثمّ يفلحون بمرور الزّمن في نسيان كلّ شيء ما عدا بعض عبارات الثّرثرة منها ولا يتكلّمون إلاّ بالإنجليزيّة. فبالنّسبة إليهم، صارت الإنجليزيّة ما يمكن أن نسمّيه لغة *الكهولة*.447 وهم، في العموم، يتكلّمونها بطلاقة، يعني بطريقة لا يمكن تمييزها من لغة المتكلّمين الأصيلين من حولهم– ولكنّهم في بعض الحالات يستصحبون بعض الخصوصيّات الأجنبيّة من لغتهم بالأمومة. وهذه الأخيرة يتكلّمونها بطريقة سيّئة جدّا أو لا يتكلّمونها بتاتا، ولكنّ فهمهم السّلبيّ عندما يسمعونها، أفضل بعض الشّيء. ويبدو أنّ دراسة لحالات مماثلة في بلاد الغال (وايلز)448 حيث ينتقل أطفال الأهل النّاطقين باللّغة الغاليّة (الويلزيّة)449 إلى الإنجليزيّة، تبيّن أنّ هذه العمليّة تؤخّر نموّ الطّفل.

444 foreign speaker
445 shift of language
446 adopted language
447 adult language
448 Wales
449 Welsh

.10 .3

وفي الحالة القصوى من تعلّم اللّغة الأجنبيّة، يبلغ المتكلّم درجة عالية من الإتقان إلى حدّ لا لا يمكن فيه تمييزه من المتكلّمين بالأمومة من حوله. يحدث ذلك في بعض المناسبات في النّقلة اللّغويّة في الكهولة ، وباطّراد في نقلة اللّغويّة في طور الطّفولة الّتي وصفناها قبيل هذا. وفي الحالات الّتي لا يكون فيها تعلّم اللّغة الأجنبيّة بالوجه الكامل مصحوبا بفقدان لغة الأمومة، يؤول الأمر إلى ازدواجيّة لغويّة450، أي تملّك لغتين تملّكا شبيها بتملّك لغة الأمومة. يكون للقليل من النّاس، بعد طور الطّفولة المبكّرة، قدر كاف من الحرّيّة العضليّة والعصبيّة أو ما يكفي من الفرص والتّفرّغ، لبلوغ مرتبة الكمال في تملّك لغة أجنبيّة. وفوق ذلك، هذا النّوع من الإزدواجيّة اللّغويّ أكثر شيوعا ممّا يمكن أن يفترضه المرء، في جميع الأحوال من قبيل تلك الّتي للمهجرين في بلادنا أو نتيجة للسّفر أو الدّراسة في البلدان الأجنبيّة أو الفرص المماثلة. وبطيعة الحال، لا يمكن للمرء أن يحدّد درجة الكمال الّتي يصير فيها متكلّم أجنبيّ جيّد ثنائيَّ اللّغة451: فالتّمييز نسبيّ.

وفي الأغلب الشّائع، يكتسب شخص ثنائيّ اللّغة لغته الثّانية في الطّفولة المبكّرة. يحدث هذا بانتظام في المجموعات البشريّة قرب حدّ لغويّ، أو حيث تعيش عائلة في شكل جزيرة لغويّة أو حيث يكون الأبوان من لغتين مختلفتين. والكثير من العائلات الأوروبّيّة الثّريّة يجعلون أطفالهم ثنائيّي اللّغة بتوظيف ممرّضات أو مربّيات أجنبيّات. فالسّويسريّ الألمانيّ المثقّف ثنائيّ اللّغة بمعنى أنّه يتكلّم كلاّ من اللّهجة المحلّيّة والألمانيّة المعياريّة ذات التّباين الكبير. وفي الولايات المتّحدة، ينجح المهاجرون من ذوي الثّقافة العالية، غالبا، في جعل أطفالهم ثنائيّي اللّغة، وهذا التّربية تقابل النّقلة اللّغويّة الّتي تجري ضمن الجماعات من ذوي الغنى المحدود. وفي جميع هذا الحالات، في ما يبدو، يكون للّغتين دوران مختلفان نوعا من الاختلاف في حياة ثنائيّ اللّغة. فاللّغة العاديّة هي لغة الأهل، في حين تصلح الأخرى في غايات أشمل وأوسع، ولكن قد يكون للأمر تصاريف أخرى. ويمكن أن يدلّ الانتظام الظّاهر الّذي يرى فيه المرء ناسا ثنائيّي اللّغة ضمن الفنّانين ورجال العلم، على الأثر الجيّد للازدواجيّة اللّغويّة في نموّ الطّفل؛ ومن جهة أخرى، قد يعني ببساطة أنّ الازدواجيّة اللّغويّة ناتجة عن ظروف محيطة مواتية في العموم خلال الطّفولة.

هوامش الفصل الثّالث:

[1]– هي لغات هنديّة أوروبّيّة يُتكلّم بها في الهند، ولعلّه ينبغي أن نضيف الغُجيراتيّة بـ 10 ملايين تقريبا.

450 bilinguamism
451 bilingual

[2]– لغات درافيديّة452 جارية في الهند.

452 Dravidian Language(s)

الفصل الرّابع:

لغات العالم

.1 .4

لا يُعرَف عند العلماء معرفةً مقبولة إلاّ عدد قليل من اللّغات الجارية اليوم. فلنا معلومات غير دقيقة عن بعضها ولا نملك شيئا منها عن بعضها الآخر. ونعرف الأطوار القديمة لبعض لغات اليوم ولبعض اللّغات الّتي ما عاد النّاس يتكلّمونها، من خلال الوثائق المكتوبة؛ غير أنّ وهذه الوثائق لا تعرّفنا إلاّ بجزء ضئيل جدّا من أشكال الكلام في الماضي. وبعض اللّغات المنقرضة تعرَف من خلال أشدّ الوثائق نقصا، من قبيل قلّة من الأسماء الأعلام، ولغاتٌ أكثر بكثير لا تعرَف إلاّ باسم الشّعوب الّتي تكلّمتها، وعدد منها آخر مهول انقرض دون شكّ ولا أثر له. وسوف يتنهي وجود أكثر من لغة واحدة يتكلّمها النّاس الآن في أفريقيا وجنوب أمريكا، دون أن تُوثَّق.

وتجعل معرفتنا المنقوصة تحديدَ العلاقات الّتي يمكن أن توجد بين لغات كثيرة، أمرا مستحيلا. وفي العموم لا يقوى الدّارسون الّذين يشتغلون بلغات معروفة معرفة طفيفة، على إقامة العلاقات بناء على أدلّة غير كافية. ونعني بالعلاقة بين اللّغات، بطبيعة الحال، مظاهر التّشابه الّتي لا يمكن أن تفسَّر إلاّ بافتراض كون تلك اللّغات أشكالا متباينة من لغة وحيدة أقدم. وتتجلّى مظاهر التّشابه من هذا القبيل في التّناسبات الصّوتيّة مثل تلك الّتي ذكِرت في الفصل الأوّل، تناسبات لا يمكن تحديدها إلاّ على أساس معطيات شاملة دقيقة. فعلى قدر قلّة المعرفة باللّغات وقلّة التّجربة عند الدّارس، يكبر الخطر في بناء افتراضات غالطة عن القرابة. وحتّى أكثر الاكتشافات إيجابيّة، يُتبيَّن في الغالب بعد الفحص أنّها مبنيّة على أساس دليل غير كاف.

.2 .4

الإنجليزيّة يتكلّمها بالأمومة عدد أكبر من أيّ لغة أخرى، ما عدا الصّينيّة الشّماليّة، في ما أظنّ؛ وإن اعتبرنا العامل المهمّ المتمثّل في المتكلّمين الأجانب، تكون الإنجليزيّة أوسع اللّغات انتشارا. وقد قُدِّر عدد المتكلّمين بالأمومة بالإنجليزيّة لسنة 1920 بما يقارب 170 مليونا (§ 3. 2). ويستعمل جميع هؤلاء تقريبا الإنجليزيّة المعياريّة أو دون المعياريّة؛ واللّهجات المحلّيّة ذات انتشار محدود وهي في أغلبها لا يفهم المتكلّم بالواحدة منها الأخرى.

والإنجليزيّة مرتبطة دون شكّ باللّغات الجرمانيّة الأخرى، ولكنّها في الآن نفسه مختلفة اختلافا جليّا عنها جميعا. ويخبرنا التّاريخ أنّها قدمت إلى بريطانيا لغةً للغزاة، الأنغليّون[453] والسّكسون[454]

453 Angle(s)
454 Saxon(s)

واليوتيّون455 الّذين غزوا الجزيرة في القرن الخامس من تاريخنا. ويفسَّر الفرق الجليّ بين الإنجليزيّة والكلام الجرمانيّ على امتداد السّاحل القارّيّ من بحر الشّمال، بالانفصال مدّة ألفيّة ونصف من الأعوام. وتؤكّد ذلك أقدم الوثائق المكتوبة بالإنجليزيّة الّتي يعود تاريخها إلى القرنين الثّامن والتّاسع، لأنّ اللّغة الّتي كتبت بها كانت قريبة الشّبه من لغة أقدم الوثائق الّتي كتِب بها الكلام الجرمانيّ القارّيّ والّتي تعود تقريبا إلى التّاريخ نفسه. فانشقاق الإنجليزيّة مثال كلاسيكيّ عن الوجه الّذي به تنقسم منطقة لهجيّة بفعل الهجرة.

والتّشابه أقرب بين الإنجليزيّة ولهجات المنطقة الفريزيّة456 الّتي يتكلّمها 350.000 شخص تقريبا على السّاحل وفي الجزر السّاحليّة على امتداد بحر الشّمال. ويظهر هذا التّشابه بجلاء في أقدم النّصوص الفريزيّة الّتي تعود إلى النّصف الثّاني من القرن الثّالث عشر. نستنتج أنّ الإنجليزيّة فرع من منطقة لهجيّة أنجلوفريزيّة457 (أو إنغويونيّة458) كانت مترامية الأطراف قبل الهجرة إلى بريطانيا.

وخارج المنطقة الفريزيّة، لا تظهِر المنطقةُ النّاطقة بالجرمانيّة في اليابسة من القارّة الأوروبّيّة (باستثناء اسكندنافيا) أيّ انشقاقات حادّة. وأقرب ما يكون من الشقّ حزمة ثقيلة من الفواصل اللّهجيّة تجري شرقا وغربا عبر ألمانيا: ينطق من كان شمال الحزمة الأصوات (*p*)، (*t*)، (*k*) كما تنطق في كلمات مثل (*hope*) [أمل، رجاء]، (*bite*) [عضّ]، (*make*)[جعل، عمل، فعل]؛ ومن كان جنوب الحزمة ينطق (*f*)، (*s*)، (*kh*)، كما تنطق في الكلمات الألمانيّة المعياريّة (*hoffen*) [أمل، رجاء]، (*beiszen*) [عضّ]، (*machen*) [جعل، عمل، فعل]. ويُعرَف الكلام من النّوع الشّماليّ بالألمانيّة السّفلى459، والكلام الجنوبيّ بالألمانيّة العليا460. وبما أنّ الفواصل اللّهجيّة المختلفة لا تتطابق، لا يمكن أن يُرسَم التّمييز بوضوح إلاّ إذا ما لجأ المرء إلى تحديد اعتباطيّ. وكان هذا الفرق قد تجلّى في أقدم الوثائق عندنا الّتي يعود تاريخها إلى تاريخ الوثائق الإنجليزيّة نفسه تقريبا.

وتُظهِر أنواع مختلفة من البراهين أنّ التّباين في النّوع الجنوبيّ يعود إلى التّغيّرات الّتي حدثت في الجنوب خلال القرنين الخامس والسّادس من تاريخنا. ولهجات الجرمانيّة الغربيّة القارّيّة، كما تسمّى مقابل الأنجلوفريزيّة، كان لها توسّع هائل في اتّجاه الشّرق خلال القرون الوسطى؛ ويوجد في شرق المنطقة الرّئيسيّة وفي جنوبها الشّرقيّ، جزر كلاميّة كثيرة، من نوع الألمانيّة العليا خاصّة، من قبيل اليديشيّة461 في بولونيا وروسيا. ويتكلّم اليوم الجرمانيّةَ القارّيّة الغربيّة ما يزيد عن 100 مليون شخص. وقد طوّرت لغتين معياريّتين كبيرتين، الهولنديّة الفلامانكيّة الّتي تستعمَل في بلجيكا وهولندا وتتأسّس على اللّهجات

455 Jute(s)
456 Frisian area
457 Anglo-Frisian
458 Ingweonic
459 Low German
460 High German
461 Yiddish

السّاحليّة الغربيّة من نوع الألمانيّة السّفلى، والألمانيّة العليا الجديدة462 الّتي تتأسّس على اللّهجات الغربيّة الوسطى من القطاع الّذي اكتُسِب بالتّوسّع القروسطيّ.

وتتشابه الأنجلوفريزيّة والجرمانيّة القارّيّة الغربيّة463 تشابها قريبا كافيا لتُعتبرا به وحدة جرمانيّة غربيّة، مقابل الجماعة الاسكندنافيّة464 (أو الجرمانيّة الشّماليّة465) الّتي تقلّ عنها عددا. وداخل هذه الجماعة، تختلف الإيسلنديّة466 احتلافا بيّنا عن البقيّة، مع ما في الأعوام الألف من الانفصال إذ استُعمِرت إيسلندا من النّرويج467 الغربيّ. يتكلّم الإيسلنديّة اليومَ 100.000 شخص تقريبا. ولغة جزر الفارو468، بما يقارب23000 متكلّم، قريبة من الإيسلنديّة. وباقي المنطقة، بما في ذلك الدّانمارك والنّرويج والسّويد وغوتلاند469 وجزء من السّاحل الفنلنديّ، لا يُظهِر أيّ انشقاق جليّ. ويبلغ عدد المتكلّمين فيها 15 مليون تقريبا. وتتمثّل أقدم الوثائق الّتي لدينا عن الجرمانيّة الشّماليّة في نقوش470 قد يعود بعضها إلى القرن الرّابع بعد وفاة المسيح؛ وأقدم المخطوطات471 يعود تاريخها إلى القرن الثّاني عشر، لكنّ العبارات في النّصوص، وخاصّة في حالة بعض الأدب الإيسلنديّ، قد تكون أقدم من ذلك بقرون عديدة. واللّغات المعياريّة اليومَ هي الإيسلنديّة والدّانماركيّة472 والدانونورويجيّة473 والنورويجيّة اللاّندساميّة474 والسّويديّة.

ولنا بعض المعلومات عن اللّغات الجرمانيّة الّتي ما عاد النّاس يتكلّمونها من قبيل لغات القوطيّين475 والوندال476 والبورغنديّين477 واللّومبارديّين478. وقد حُفِظت أجزاء من ترجمة الإنجيل إلى لغة الفيزيقوط479 القوطيّة أنجزها الأسقف أولفيلا480 في القرن الرّابع، في مخطوطات من القرن السّادس، منها خاصّة، مخطوط 'سيلفار كودكس' (الإنجيل الفضّيّ).481 في حين كانت لغة اللّومبارديّين تبدو على أنّها من نوع الجرمانيّة الغربيّة، كانت اللّغات الأخرى، بما فيها القوطيّة، أقرب من الاسكندنافيّة

462 New High German
463 Continental West Germanic
464 Scandinavian
465 North Germanic
466 Icelandic
467 Norway
468 Faroe Island(s)
469 Gotland
470 inscription(s)
471 manuscript(s)
472 Danish
473 Dano-Norwegian
474 Norwegian Landsmaal
475 Goths
476 Vandals
477 Burgundians
478 Lombards
479 Visigoths
480 Bishop Ulfila (Ulfilas, (311-382)
481 Silver Codex (Codex Argenetus)

وكانت تصنّف في العادة على أنّها جماعة جرمانيّة شرقيّة. ويبدو أنّ المستوطنين الجرمانيّين الشّرقيّين قد حافظوا على لغتهم في القرِم482 وفي ما عدا ذلك في البحر الأسود إلى حدود القرن الثّامن عشر.

وجميع اللّغات الّتي ذُكِرت إلى حدّ الآن تتشابه إلى حدّ قريب، مقابل سائر اللّغات، وهي تكوّن، وفقا لذلك، أسرة من اللّغات الجرمانيّة. هي أشكال حديثة متباينة من لغة وحيدة كانت قبل التّاريخ نعطيها اسم الجرمانيّة البدائيّة483 (§ 1. 6).

.3 .4

لا تظهر على السّطح قرابة الأسرة الجرمانيّة، من حيث هي كلّ واحد، ببعض اللّغات الأخرى والأسر اللّغويّة في أوروبا وآسيا، ولكنّ دراسات القرن الماضي كانت قد أثبتتها، وتكوّن جميع هذه اللّغات، مجتمعة، الأسرة الهنديّة الأوروبّيّة (§ 1. 6).

ونجد اليوم إلى الغرب من اللّغات الجرمانيّة بقايا من الأسرة الكلتيّة484. والإيرلنديّة485 معروفة عندنا بفضل مخطوط أدبيّ من القرن الثّامن من تاريخنا؛ وبعض النّقوش القليلة على الحجر قد تكون أقدم منها بكثير. يتكلّم الإيرلنديّة ما يقارب 400.000 شخص، وما يقارب 150.000 شخص الاسكتلنديّة الغيليّة486 المتفرّعة عنها، وبضع مئات يتكلّمون المانكسيّة487، لغةً منزليّة جنبا إلى جنب مع الإنجليزيّة. ويتمثّل فرع آخر من الأسرة الكلتيّة في الفاليّة488 والبروطونيّة489يتكلّم كلاّ منهما مليون شخص وكلاهما معروف من خلال وثائق مكتوبة من القرن الثّامن. والأخيرة جارية في السّاحل الشّماليّ الشّرقيّ من فرنسا، نقِلت هناك من بريطانيا، ربّما في وقت مبكّر من القرن الرّابع. وقد انقرضت حوالي العام 1800، لغة أخرى من هذا الفرع، هي الكُرْنِيّة490 الّتي تعود أقدم الوثائق فيها إلى القرن التّاسع. ويظهِر التّاريخ والأدلّة من أسماء الأمكنة أنّ الكلتيّة كانت في الأزمنة المبكّرة جارية في قسم كبير من أوروبا بما في ذلك ما يطلَق عليه اليوم بوهيميا والنّمسا وجنوب ألمانيا وشمال إيطاليا وفرنسا. وقد عوّضتها في هذه المناطق اللّغةُ اللاّتينيّة نتيجة للفتوحات الرّومانيّة، واللّغاتُ الجرمانيّة نتيجة للهجرات الكبرى في القرون المبكّرة من تاريخنا. ولنا قليل من النّقوش المنقوصة، يعود تاريخها تقريبا إلى 100 قبل الميلاد في اللّغة الكلتيّة القديمة في بلاد الغول.

482 Crimea (Crimée)
483 Primitive Germanic
484 Celtic family
485 Irish
486 Scotch Gaelic
487 Manx
488 Welsh
489 Breton
490 Cornish

وتقع أسرة البلطيق491 في الشّمال الشّرقي من اللّغات الجرمانيّة. وكانت قد كتِبت في اللّغتين المتبقّيتين، اللّيتوانيّة492 يتكلّمها تقريبا 2.5 مليون شخص واللاّتفيّة493 يتكلّمها تقريبا 1.5 مليون شخص، وثائق يعود تاريخها إلى القرن السّادس عشر. وبفضل الاستقلال السّياسيّ في ليتوانيا ولاتفيا، تطوّرت كلّ من هاتين الجماعتين اللّهجيّتين إلى لغتين معياريّتين مَتينتين. وثالثة اللّغات من هذه الجماعة، وهي البروسيّة القديمة494، معروفة عندنا من خلال وثائق قليلة مكتوبة من القرنين الخامس عشر والسّادس عشر؛ وقد انقطعت عن الجريان في القرن السّابع عشر.

ونجد إلى جنوب لغات البلطيق، وإلى الشّرق والجنوب الشّرقي من اللّغات الجرمانيّة، الأسرة السّلافيّة495 الشّهيرة. وقد غلب توسّع الألمانيّة شرقا في القرون الوسطى على لغات متنوّعة من الفرع السّلافيّ الغربيّ496. وتقاوم واحدة من هذه اللّغات، هي اللُّوزاطيّة497 (الونديّة498، الصُّربيّة499)، من أجل البقاء في شكل جزيرة لهجيّة يتكلّمها تقريبا 30.000 شخص في سكسونيا العليا500. وبقيت لغة أخرى، هي البولابيّة501، حيّة خلال القرن الثّامن عشر وخلّفت قليلا من النّصوص المكتوبة. وانقرضت اللّغات الباقية منها وما بقي منها أثر إلاّ في أسماء الأماكن المُؤلْمنَة502. ونتيجة لهذا الصّراع، تظهر المنطقتان اللّهجيّتان السّلافيّتان الغربيّتان الكبيرتان المتبقّيتان تشكّلا جغرافيّا غريبا: شريطا ضيّقا من الجزر الكلاميّة يتمدّد شمالا من المنطقة البولونيّة الرّئيسيّة على طول فيستولا503 متّجها إلى دانزيغ504، وتنفصل البوهيميّة في اتّجاه الغرب في نوع من شبه الجزيرة505 داخل مجال الألمانيّة. ويتكلّم البولونيّة، وهي موثّقة منذ القرن الرّابع عشر، ما يفوق 20 مليون شخص. وتضمّ المنطقة البوهيميّة مقسومةً على أساس اللّغتين المعياريّتين إلى التّشيكيّة506 والسّلوفاكيّة507، 12 مليون متكلّم تقريبا؛ وتعود أقدم الوثائق فيها إلى القرن الثّالث عشر. ولا تتكوّن السّلافيّة الشّرقيّة508 إلاّ من منطقة لهجيّة شاسعة واحدة، هي الرّوسيّة، يتكلّمها 110 مليون شخص على الأقلّ، وبوثائق مكتوبة تعود إلى القرن

491 Baltic family
492 Lithuanian
493 Lattish
494 Old Prussian
495 Slavic family
496 West Slavic branch
497 Lusatian
498 Wendish
499 Sorbian
500 Upper Saxony
501 Polabian
502 germanized
503 Vistula
504 Danzig
505 peninsula
506 Czech
507 Slovak
508 East Slavic

الثّاني عشر. والفرع السّلافيّ الجنوبيّ509 منفصل عن الفروع الأخرى بتدخّل الهنغاريّين510 دخيلا غير ذي علاقة بها. يتكوّن هذا الفرع من البلغاريّة511 يتكلّمها 5 ملايين متكلّم، ومن السّربيّة-الكرواتيّة512 يتكلّمها 10 ملايين، ومن السّلوفينيّة513 يتكلّمها ما يقارب 1.5 مليون. وتتمثّل أقدم الوثائق المكتوبة عن الكلام السّلافيّ في وثائق من البلغاريّة القديمة514 تعود إلى القرن التّاسع، محفوظة في شكل مخطوطات مكتوبة على الأقلّ بعد ذلك بقرن وفي نصّ منقوص مكتوب بالسّلوفينيّة القديمة، من القرن العاشر. ويجد بعض الدّارسين شبها قريبا نسبيّا بين جماعة البلطيق وجماعة السّلافيّة فيجمعونهما معا في جماعة البلطيّة السّلافيّة515 فرعا من الأسرة الهنديّة الأوروبّيّة.

وإلى الجنوب من اللّغات الجرمانيّة، تجري اللّغات الرّوْمنيّة: تضمّ منطقة البرتغاليّة516– الإسبانيّة517–الكاتلونيّة518 (بثلاث من اللّغات المعياريّة مشارا إليها بهذه الأسماء) في مجموعها 100 مليون متكلّم، ومنطقة الفرنسيّة يتكلّمها 45 مليون، والإيطاليّة بما يفوق 40 مليون، واللاّدينيّة519 (الرّاييتورومانيّة520) في سويسرا يتكلّمها 16.000 شخص تقريبا. وهناك جماعة أخرى قد انقرضت، هي الدّلماسيّة521: وقد اختفت لهجة من لهجاتها، هي الرّاغوسيّة522، في القرن الخامس عشر، وظلّت واحدة أخرى، هي الفِليُويّة523، حيّة إلى حدود القرن التّاسع عشر. وتقع إلى الشّرق، على البحر الأسود، منقطعة عن المناطق الغربيّة بتدخّل السّلافيّة الجنوبيّة، المنطقة الرّومانيّة524 الّتي يقدّر أنّ لها 14 مليون متكلّم. وجميع اللّغات الرّومنيّة، بطبيعة الحال، أشكال حديثة من اللاّتينيّة، اللّهجة القديمة لمدينة روما525. وتعود أقدم الوثائق عندنا عن اللاّتينيّة إلى حوالي 300 قبل الميلاد. وقد كانت اللاّتينيّة في العهود القروسطيّة والحديثة، وسيطا اصطناعيّا في الكتابة وفي الخطاب العلميّ. وترينا النّقوش القديمة، في إيطاليا، بعض اللّغات من أخوات اللاّتينيّة، خاصّة الأوسكانيّة526 والأومبريّة527. وتنتمي هاتان اللّغتان مع اللّغات الأخرى الّتي حلّت محلّها اللاّتينيّة اثناء التّوسّع الرّومانيّ، جنبا إلى جنب مع اللاّتينيّة،

509 South Slavic
510 Hungarians
511 Bulgarian
512 Serbo-Croatian
513 Slovene
514 Old Bulgarian
515 Balto-Slavic
516 Portuguese
517 Spanish
518 Catalan
519 Ladin
520 Rhaeto-Romanic
521 Dalmatian
522 Ragusan
523 Veliote
524 Roumanian
525 Rome
526 Oscan
527 Umbrian

إلى الأسرة الإيطاليكيّة528. ويعتقد بعض العلماء أنّ الإيطاليكيّة والكلتيّة مترابطتان بمظاهر تشابه خاصّة، بوجه تكوّنان له جماعة إيطاليكيّة كلتيّة فرعيّة في صلب الأسرة الهنديّة الأوربّيّة. وإلى شرق البحر الأدرياتيكيّ529، جنوبَ الصّربيّة الكرواتيّة، تقع المنطقة الألبانيّة530. ويتكلّم الألبانيّة، ولم تُعرف من خلال الوثائق إلاّ منذ القرن السّابع عشر، مجموع سكّان يعدّون 1.5 مليون. ورغم أنّ الألبانيّة مليئة بالكلمات المقترضة531 من اللّغات المجاورة، فإنّ النّواة الأصيلة من أشكالها تظهِر أنّها فرع مستقلّ من السّلالة الهنديّة الأوروبّيّة.

يتكلّم اليونانيّة، اليوم، 7 ملايين متكلّم تقريبا في لهجات محلّيّة كثيرة وفي لغة معياريّة منتشرة. واللّهجات الحديثة بتمامها تقريبا منحدرة من اللّغة المعياريّة (تلك المسمّاة بالكويني532) الّتي غلبت في القرون الأولى من التّاريخ المسيحيّ وقد حلّت محلّ لهجات المحلّيّة والإقليميّة في العهود القديمة. ونعرف هذه اللّهجات الإغريقيّة القديمة من خلال نقوش كثيرة بداية من القرن السّابع قبل الميلاد، ومن قطع كتابيّة على ورق البرديّ533 بداية من القرن الرّابع قبل الميلاد ومن أدب غزير (متناقل بالتّأكيد في مخطوطات متأخّرة عن ذلك بزمن طويل) تعود أقدم المصنّفات فيه، أي الأشعار الهوميريّة534، إلى 800 قبل الميلاد على أقلّ تقدير.

ونجد في آسيا الصّغرى فرعا من السّلالة الهنديّة الأوروبّيّة، هي الأرمينيّة، يتكلّمها اليوم 3 أو 4 ملايين شخص؛ وتعود أقدم الوثائق المكتوبة عندنا إلى القرن الخامس قبل الميلاد.

ويتمثّل الغصن الآسيويّ العظيم المتفرّع من الأسرة الهنديّة الأوروبّيّة، في جماعة اللّغات الهنديّة الإيرانيّة535. يتكوّن هذا الغصن من جماعتين فرعيّتين هما الإيرانيّة536 والهنديّة537 (أو الهنديّة الآريّة538)؛ وهما اليومَ مختلفتان كثيرا، ولكنّهما متشابهتان في ضوء أقدم الوثائق عندنا إلى حدّ يمكننا به أن نعتبرهما بكلّ يقين، منحدرتين من لغة أصل هنديّة إيرانيّة بدائيّة.

والمناطق اللّهجيّة الرّئيسيّة للإيرانيّة الحديثة هي الفارسيّة539 (بلغة معياريّة ذات منزلة رفيعة، يتكلّمها 7 أو 8 ملايين من النّاس تقريبا) والجماعة القزوينيّة540، والكرديّة541، ثمّ إلى الشّرق لهجات

528 Italic family
529 Adriatic
530 Albanese
531 loan-word(s)
532 Koiné
533 papyrus
534 Homeric poem(s)
535 Indo-Iranian
536 Iranian
537 Indic
538 Indo-Arian
539 Persian
540 Caspian group
541 Kurdish

بامير542، والأفغانيّة543 (الباشتون544) بما يقارب 4 ملايين متكلّم، والبلوتشيّة545؛ ثمّ بعيدا إلى الغرب فرع منعزل هو الأُوسّيتيّة546 في القوقاز547 يتكلّمها حوالي 225.000 شخص. وتتمثّل أقدم الوثائق عندنا عن الإيرانيّة في النّقوش الحجريّة بالفارسيّة القديمة الّتي تتحدّث عن الملك داريوس548 العظيم وأخلافه (بداية من القرن السّادس حتّى الرّابع قبل الميلاد)، وفي النّصوص المقدّسة المكتوبة باللّغة الأفستيّة549 المتعلّقة بالدّيانة الزّرادشتيّة550 (فَارْسي551) يُحتَمَل أن تكون أقدم القِطع منها قد كُتِبت في بدايات 600 قبل الميلاد، وإن كانت المخطوطات الّتي لدينا حديثة جدّا تتضمّن نصّا قد أُدخِلت عليه تنقيحات إملائيّة عميقة. والأطوار الانتقاليّة، في ما عدا الفارسيّة (الفهلويّة552)، معروفة بدرجة أقلّ. ولكنّ اكتشاف قطع من مخطوط في تركستان الصّينيّة553 في مطلع هذا القرن وفّر لنا معرفةً بلغات إيرانيّة أخرى من القرون الوسطى أطلِق عليها البارثيّة554 والسُّغديّة555 والسّاكيّة556.

ويضمّ الغصن الفرعيّ الآخر من الهنديّة الإيرانيّة، وهو الهنديّة، مجموعا من المتكلّمين يزيد على 230 مليون يتوزّعهم عدد من المناطق اللّهجيّة تمسح الجزء الأعظم من الهند وتضمّ لغات كبيرة من قبيل الماراثيّة557 (19 مليون) والغوجريّة558 (10 ملايين)، والبندجابيّة559 (16 مليون)، والرّجستانيّة560 (13 مليون) والهنديّة الغربيّة561 (38 مليون) والهنديّة الشّرقيّة562 (25 مليون)، والأوريّة563 (10 ملايين)، والبِهاريّة564 (36 مليون) والبنغاليّة565 (50 مليون). ولغة الغجر566 (الرّومانيّ567) فرع مهاجر من المنطقة البيصاشيّة568 في الشّمال الغربيّ من الهند.

542 Pamir dialect(s)
543 Afghan
544 Pushto
545 Baluchi
546 Ossete
547 Caucasus
548 King Darius the Great
549 Avestan
550 Zoroastrian
551 Farsi
552 Pehlevi
553 Chinese Turkestan
554 Parthian
555 Sogdian
556 Sakian
557 Marathi
558 Gujerati
559 Panjabi
560 Rajasthani
561 Western Hindi
562 Eastern Hindi
563 Oriya
564 Bihari
565 Bengali
566 Gipsies
567 Romani
568 Paiçachi

وتُطلعنا أقدم الوثائق المكتوبة عندنا عن الكلام الهنديّ، وهي نقوش للملك أصوشا569 يعود تاريخها إلى القرن الثّالث قبل الميلاد، على عدد من اللّهجات الهنديّة في ما يسمّى بطور البراكريتيّة570 (أو الهنديّة الوسيطة571)؛ واللّغات الهنديّة في الطّور البراكريتيّ معروفة عندنا كذلك من خلال نقوش متأخّرة ونصوص مخطوطة، ومن هذه الأخيرة نجد اللّغة الباليّة572، وهي لغة الكتب المقدّسة البوذيّة573. والغريب أنّ طورا من الكلام الهنديّ أقدمَ من ذلك بكثير، هو طور السّنسكريتيّة574 (أو الهنديّة القديمة575)، معروف عندنا كذلك من خلال وثائق متأخّرة نوعا من التّأخّر. والنّصوص الّتي عندنا، من هذا الطّور، هي مجموعات من التّراتيل الفيديّة576؛ وقد جُعِل تاريخ النّظم الأصليّ لأقدم الأقسام من أقدم مجموعة، وهي الرّيغ فيدا577، بكلّ تحفّظ في حدود 1200 قبل الميلاد. تكوّن هذه التّراتيل الجزء الأساسيّ من الكتب المقدّسة في الدّيانة البراهمانيّة578. وهناك نوع ثان من الكلام الهنديّ القديم مباين للأوّل قليلا، معروف عندنا من خلال البراهمانا579، وهي نصوص نثريّة من الدّيانة البراهمانيّة، ومن خلال مصنّف بانيني في النّحو (§ 1. 5) والأعمال الملحقة به. وكانت هذه اللّغة، المعروفة بالسّنسكريتيّة، جارية في حدود القرن الرّابع قبل الميلاد، عند الطّبقة العليا في بعض الأماكن من الهند الشّماليّة الغربيّة. ودخلت هذه اللّغة، وقد كانت لهجة معياريّة ثمّ بعد ذلك لغة أدبيّة وتعليميّة، على التّدريج، حيّز الاستعمال الرّسميّ على امتداد كامل الهند البراهمانيّة. وتظهر أوّل مرّة في النّقوش حوالي 150 قبل الميلاد وتحلّ بعد ذلك بقرون قليلة حلولا مطلقا محلّ اللّهجات من النّوع البراكريتيّ، وما انفكّت تُستخدَم منذ ذلك الزّمن حتّى الوقت الحاضر، مكتوبة وفق قواعد نحو بانيني، وسيطا لكمّ هائل من المؤلّفات الفنّيّة والعلميّة. وبالإضافة إلى الفروع الّتي ذكرنا إلى هذا الحدّ، وجميعها ممثَّل في لغات ما زالت جارية في أيّامنا، لا بدّ من أن تكون أغصان أخرى من الهنديّة الأوروبّيّة القديمة قد وُجِدت، بعضُها ذو صلة قريبة بالفروع الّتي بقيت حيّة وأخرى متوسّطة بينها وربّما كان بعضها الآخر منفصلا عنها تماما. ولنا معرفة قليلة عن اللّغات من هذا القبيل. فحول البحر الأدرياتيكيّ، كانت اللّغات الإلّيريّة580 جارية في العهود القديمة: الإلّيريّة الّتي لا نملك منها إلاّ قليلا من الأسماء الأعلام، والفينيّتيّة581 المعروفة من خلال نقوش يمتدّ تاريخها من القرن الرّابع إلى القرن الثّاني قبل الميلاد، والمِسّابيّة582 في

569 King Açocha
570 Prakrit
571 Middle Indic
572 Pali
573 Buddhist (m)
574 Sanskrit
575 Old Indic
576 Vedic hymn(s)
577 Rig Veda
578 Brahmin religion
579 Brahmana's
580 Illyrian
581 Venetic
582 Messapian

إيطاليا الجنوبيّة بنقوش تؤرّخ من 450 إلى 150 قبل الميلاد. وليس لنا عن الطّراسيّة583 في الجزء الغربيّ من شبه جزيرة البلقان، إلاّ عدد قليل من الأسماء والكلمات ونقش يتيم (من حوالي 400 قبل الميلاد)؛ ويبدو أنّها كانت على قرابة شديدة بالفريغيّة584، وهي لغة من آسيا الصّغرى585 نعرفها من خلال مجموعة نقوش تعود إلى القرن الثّامن قبل الميلاد ومن خلال مجموعة أخرى من القرون الأولى من تاريخنا. ويبدو أنّ المقدونيّة586 كانت ذات قرابة شديدة بالإغريقيّة. وقد تكون اللّيغوريّة587 (حول ريفيرا588 حاليّا) والصّقلّيّة589 في جزيرة صقلّيّة590، قريبتين جدّا من الإيطاليكيّة. واللّغة التّوكاريّة591، في آسيا الوسطى592، معروفة عندنا من خلال قطع من مخطوط من القرن السّادس بعد الميلاد عُثِر عليه في تركستان الصّينيّة.

ولا بدّ أن تكون الهنديّة الأوربّيّة البدائيّة593، بدورها، مرتبطة بلغات أخرى، لكن باستثناء واحد، هو أن تكون هذه اللّغات إمّا قد انقرضت أو بطريقة أخرى تغيّرت إلى حدّ تنطمس له القرابة. ويتمثّل الاستثناء الوحيد في اللّغة الحثّيّة594، وهي لغة قديمة في آسيا الصّغرى معروفة عندنا من خلال نقوش مسماريّة تبدأ حوالي 1400 قبل الميلاد. وتمكّننا هذه العلاقة، وإن كانت بعيدة، من إعادة بناء بعض من ملامح الهنديّة الأوروبّيّة البدائيّة في ما قبل التّاريخ، وبعض السّمات من لغة أمّ مفترضة للهنديّة الحثّيّة البدائيّة595.

.4 .4

وبانتشار مختلف اللّغات من السّلالة الهنديّة الأوروبّيّة على امتداد أقطارها الشّاسعة الحاضرة، يكون من الثّابت أنّها قد طمست الكثير من أشكال الكلام غير المترابطة. ومن هذه البقيّة، اللّغة الباسكيّة596 يتكلّمها اليوم نصف مليون شخص تقريبا في جبال البيريني597 الغربيّة. تعود أقدم النّصوص عندنا في الباسكيّة إلى القرن السّادس عشر. وهي الشّكل الوحيد المتبقّي من الإيبيريّة

583 Thracian
584 Phrygian
585 Asia Minor
586 Macedonian
587 Ligurian
588 Riviera
589 Sicilian
590 Sicily
591 Tocharian
592 Central Asia
593 Primitive Indo-European
594 Hittite
595 Primitive Indo-Hittite
596 Basque
597 Pyrenees

القديمة598 الّتي كانت تجري قديما في جنوب فرنسا وإسبانيا، والمعروفة عندنا من خلال النّقوش وأسماء الأماكن.

و لا نملك عن لغات أخرى من هذا القبيل، وقد انقرضت الآن، إلاّ معلومات شحيحة. وفي إيطاليا، تركت لنا الإتروريّة599 الّتي كان لها تأثير قويّ في النّاس اللاّتينيّين، نقوشا غزيرة تعود إلى بواكير القرن السّادس قبل الميلاد. لقد كتبت بالأبجديّة الإغريقيّة ويمكن قراءتها ولكنّها لا تفهَم. وتُظهِر النّقوش القديمة المكتوبة باللّغة الرّيتيّة600 أنّ هذه اللّغة فرع من الإتروريّة. وتظهر نقيشة من عام 600 قبل الميلاد تقريبا من جزيرة ليمنوس601 وسلسلةُ نقوش من القرنين الرّابع والثّالث قبل الميلاد معظمها من سرديس602 في آسيا الصّغرى، أنّ الإتروريّة كانت ذات قرابة باللّمنيّة603 واللّيديّة604، ولم تفسّر من النّصوص إلاّ ما كان في اللّغتين المذكورتين منذ حين.

ومن الكريتيّة القديمة605، لنا العديد من النّقوش مكتوبة بالأبجديّة الإغريقيّة ولكن في لغة مجهولة، اثنان من القرن الرّابع قبل الميلاد وواحد (من مدينة برايسوس606) أقدم بعض الشّيء. ومن فترة أقدم من تلك بكثير، حوالي 1500 قبل الميلاد، لنا نقوش كريتيّة بكتابة تصويريّة607 في قسم منها وبنظام مبسّط مشتقّ من هذا النّظام في قسم آخر.

ولنا من آسيا الصّغرى، نقوش غزيرة باللّغة اللّيسيّة608 من القرنين الخامس والرّابع قبل الميلاد، وبعض النّقوش أقلّ اتّساعا باللّغة الكاريّة609 من القرن السّابع قبل الميلاد. وقد كتِبت الأولى بالأبجديّة الإغريقيّة وفُسِّرت جزئيّا، وقد تكون كتابة الأخيرة من المصدر نفسه ولكن لم تفكّ مغالقها إلى اليوم. وفي سوريا والجزء المحاذي لها من آسيا الصّغرى، نُسبت إلى الحثّيّين نقوش غزيرة بالكتابة التّصويريّة تعود إلى 1000 قبل الميلاد تقريبا حتّى 550 قبل الميلاد تقريبا، ولكن ما من سبب للاعتقاد بأنّ هذه النّقوش الّتي لم تفكّ مغالقها كانت من عمل النّاس الّذين عملوا الوثائق المسماريّة الحثّيّة الّتي عندنا (§4. 3).

وتخبرنا النّقوش المسماريّة على الصّخر والطّين من الشّرق الأدنى610 عن لغات منقرضة من الزّمن القديم: السّومريّة611 في بلاد ما بين النّهرين من 4000 قبل الميلاد، والعيلاميّة612 في بلاد

598 Ancient Iberian
599 Etruscan
600 Rhaetian
601 Lemnos (island of)
602 Sardis
603 Lemnian
604 Lydian
605 Crete (ancient)
606 Praisos
607 picture-writing
608 Lycian
609 Carian
610 Nera East
611 Sumerian
612 Elamitic

فارس613 من 2000 قبل الميلاد، ووثائق نزرة تخبرنا عن القوسيّة614 شرق بلاد ما بين النّهرين615، من 1600 قبل الميلاد، وعن الميتانيّة616، شرق بلاد ما بين النّهرين، 1400 قبل الميلاد تقريبا، وعن اللّغة الفانيّة617 (قرب بحيرة فان) من القرنين التّاسع والثّامن قبل الميلاد، وعن لغات كثيرة لم تفكّ مغالقها من داخل الإمبراطوريّة الحثّيّة في أسيا الصّغرى. وأمّا عن اللّغات الأخرى الممثَّلة في الوثائق من هذا النّوع، فكنّا قد ذكرنا الفارسيّة القديمة والحثّيّة (§ 4. 3) وسوف نتحدّث بعد هذا مباشرة عن البابليّة الأشوريّة618، وهي لغة ساميّة619.

.5 .4

ويمكن أن تكون واحدة أو أكثر من الأسر اللّغويّة الموجودة اليومَ المحاذية للهنديّة الأوروبّيّة، ذات قرابة بعيدة بها؛ ويبدو أنّ الأسرتين الحاميّة السّاميّة620 والفنلنديّة الأوغريّة621 تظهران شبها بالهنديّة الأوروبّيّة ولكن رغم المجهود الكبير لم يتوصَّل إلى أيّ حجّة قاطعة.

تتكوّن تأسرة السّاميّة الحاميّة من أربعة فروع يشبه منها الواحد الآخر ولكن من بعيد: السّاميّة622 والمصريّة623 والبربريّة624 والكوشيّة625.

ويظهر الفرع السّاميّ في غصنين. يتكوّن الشّرقيّ، وقد انقرض الآن، من البابليّة الأشوريّة626، وهي معروفة عندنا من خلال نقوش على الحجر والطّين بالكتابة المسماريّة منذ 2500 قبل الميلاد تقريبا وما بعدها. وقد حلّت الآراميّة627 محلّ هذه اللّغة قبل بداية التّاريخ المسيحيّ. وتنقسم الفرع الشّرقيّ من السّاميّة، مرّة أخرى، إلى غصنين رئيسيّين شماليّ وجنوبيّ. يظهر الأوّل في العبارات الكنعانيّة628 في ألواح مكتوبة بالكتابة المسماريّة عثِر عليها في تلّ العمارنة629، يعود تاريخها إلى 1400 قبل الميلاد تقريبا. وفي الموابيّة630 الّتي كتبت بها نقيشة الملك ميشا631 المشهور، تعود إلى القرن التّاسع قبل

613 Persia
614 Cossean
615 Mesopotamia
616 Mitanni
617 Van (language of)
618 Babylonian-Assyrian
619 Semitic language(s)
620 Semitic-Hamitic
621 Finno-Ugrian
622 Semitic
623 Egyptian
624 Berber
625 Cushitic
626 Babylonian- Assyrian
627 Aramaic
628 Canaanite
629 Tel-el-Amarna
630 Moabite
631 King Mesha

الميلاد. والفينيقيّة632، معروفة أوّل الأمر من خلال نقوش من القرن التّاسع قبل الميلاد، لم تكن جارية فقط في فينيقيا633 حيث انقرضت قبل العهد المسيحيّ، بل كانت جارية كذلك في قرطاج634 المستعمرة الفينيقيّة حيث استمرّت في الجريان بضعة قرون بعد ذلك. والعبريّة، وقد عرِفت من خلال نقوش ذات عمر مساو، ومن خلال مخطوط تعاليم العهد القديم الّذي يمكن أن يكون أقدم جزء منه قد ألّف حوالي 1000 قبل الميلاد. وقد حلّت الآراميّة محلّها في القرن الثّاني بعد الميلاد، ولكنّها بقيت مستعمَلة في الكتابة خلال العصور الوسطى؛ وقد نشأت محاولات، في الآونة الأخيرة، لإعادة إحيائها، اصطناعيّا، في شكل لغة منطوقة. وأخيرا، الآراميّة تتكوّن من مجموعة من اللّهجات، عُرِفت أوّل مرّة من خلال نقوش من القرن الثّامن بعد المسيح. وانتشرت الآراميّة في موجة توسّع جارفة خلال القرون الّتي كانت قبيل العهد المسيحيّ، على كامل سوريا وعلى مساحات كبيرة من آسيا، منافسة للإغريقيّة ومعوّضة للغات كثيرة منها العبريّة والأشوريّة. وعلى امتداد ألفيّة (بداية من حواي 300 قبل الميلاد، حتّى 650 قبل الميلاد تقريبا)، كانت الأراميّة تُستخدَم بصفة رئيسيّة لغة رسميّة ولغة الكتابة في الشّرق الأدنى؛ وكان لها بهذه المنزلة تأثير عظيم في نظم الكتابة الآسيويّة. وقد عُوِّضت، بدورها، بانتشار العربيّة، ويتكلّمها اليوم بضع 200.000 من النّاس في بقاع معزولة. ويتمثّل الغصن الجنوبيّ من السّاميّة الغربيّة635 في لغات عديدة ماتزال مزدهرة. العربيّة الجنوبيّة636، معروفة من خلال نقوش يتردّد تاريخها ما بين 800 قبل الميلاد حتّى القرن السّادس بعد الميلاد، ماتزال جارية في لهجات كثيرة على طول السّاحل الجنوبيّ من الجزيرة العربيّة637 وفي جزيرة سقطرى638. والعربيّة الّتي تتمثّل أقدم وثيقة فيها في نقش يعود تاريخه إلى حوالي 238 بعد المسيح، مَدينة بتوسّعها منذ القرن السّابع من التّاريخ المسيحيّ لفتوحات العرب المسلمين، يتكلّمها اليوم 37 مليون شخص تقريبا، وأبعد من ذلك، كانت تستخدَم لمدّة قرون لغةَ لإسلام المقدّسة ولغةَ الأدب واللّغة الرّسميّة. والأثيوبيّة639، على ساحل أفريقيا الشّرقيّ (الحبشة640)، معروفة عندنا أوّل ما عرِفت من خلال نقوش تبدأ عند القرن الرّابع بعد الميلاد. ولغات هذه الجماعة هي: التِّجريّة641 والتِّغرينيّة642 والأمهريّة643.

وتُدرَج المصريّة والبربريّة والفروع الكوشيّة من اللّغات السّاميّة الحاميّة تحت تسمية اللّغات الحاميّة.

632 Phoenician
633 Phoenicia
634 Carthage
635 West Semitic
636 South Arabic
637 Arabia
638 Sokotra (Socotra)
639 Ethiopian
640 Abyssinya
641 Tigre
642 Tigrinia (Tigrinya, Tigrigna)
643 Amharic

المصريّة موثّقة لنا في النّقوش الهيروغليفيّة644 بداية من 4000 قبل الميلاد؛ ويظهر الشّكل الأخير من هذه اللّغة، المعروف بالقبطيّة، في مخطوط أدبيّ من العهد المسيحيّ. وقد انقرضت المصريّة في القرن السّابع عشر بحلول العربية محلّها.

وفرع البربريّة من السّاميّة الحاميّة، معروف منذ العصور القديمة من خلال نقوش في اللّغة اللّوبيّة645 من القرن الرّابع قبل الميلاد؛ وتتمثّل اليوم في لغات متنوّعة، من قبيل الطّوارق646 والقبايليّة647 اللّتين صمدتا ضدّ العربيّة في شمال أفريقيا، ويقال إنّ مجموع المتكلّمين بها يبلغ 6 أو 7 ملايين شخص.

والفرع الرّابع من الحاميّة السّاميّة، هو الكوشيّة، جنوب مصر، تضمّ عددا من اللّغات منها الصّوماليّة648 والغلّيّة649 هذه الّتي يتكلّمها 8 ملايين تقريبا.

.6 .4

ويمتدّ جنوبَ المنطقتين العربيّة والبربريّة في شمال أفريقيا، حزام عريض من لغات عديدة، عبر القارّة من المنطقتين الأثيوبيّة والكوشيّة في الشّرق إلى خليج غينيا في الغرب. ولا يعرَف إلاّ القليل عن لغات هذا الحزام العريض الّتي يتكلّمها عدد من السّكّان يحتمَل أن يكون 50 مليونا. ويعتقد بعض الدّارسين، على أساس أدلّة نزرة جدّا، أنّ جميع هذه اللّغات مترابطة؛ ويربط آخرون بعض هذه اللّغات بالحاميّة أو بعضَها بلغات البانطو. ومن اللّغات الّتي يجري ذكرها في الأغلب، يمكن أن نشير إلى الوُلوفيّة650 والفُليّة651 في السّنغال652، والغريبو653 والإيويّة654 واليوروبيّة655 على امتداد ساحل غينيا؛ والهوسا656 في الجهة الوسطى؛ وإلى الشّرق النّوبيّة657 على مساحة شاسعة حول الخرطوم658، وجنوب هذه لغة الدّنكا659، و أبعد من ذلك إلى الجنوب لغة الماساي660.

644 hieroglyphic
645 Lybian
646 Tuareg
647 Kabylie
648 Somali
649 Galla
650 Wolof
651 Ful
652 Senegal
653 Grebo
654 Ewe
655 Yoruba
656 Hausa
657 Nubia
658 Khartoum
659 Dinka
660 Masai

وجنوب هذا الحزام الممتدّ من غينيا إلى السّودان، نجد أسرة لغات البانتو الشّاسعة الّتي كانت قبل غزو الأزروبّيين تغمر جميع الأرجاء المتبقّية من أفريقيا باستثناء منطقة وحيدة في الجنوب الغربيّ. واللّغات من أسرة البانتو الّتي يصل عدد المتكلّمين بها إلى ما مجموعه 50 مليون شخص، عديدة جدّا، ومن أشهرها اللّوغنديّة661 والسّواحليّة662 والكافّريّة663 والزّولو664 والتَّبَليّة665 والسّوبيّة666 والهريرو667.

وكان الجزء الجنوبيّ الغربيّ من أفريقيا الّذي لم يكن من النّاطقين بالبانطو، ينتمي قبل مجيء الأوروبّيّين، إلى منطقتين لغويّتين لا علاقة بينهما: منطقة البوشمان668 تضمّ 50.000 متكلّم، ومنطقة الهوتّنتوت669 تضمّ 250.000 متكلّم تقريبا.

4. 7.

وبالعود إلى قارّة أوراسيا670، نجد إلى شرق اللّغات الهنديّة الأوروبّيّة وفي تناوب طوبوغرافيّ معها، الأسرة الفِنلنديّة الأوغريّة671 الشّهيرة. وتتكوّن هذه الأسرة من ستّة أغصان كبرى. أوّلها الفنلنديّة اللاّبيّة672 في الأجزاء الشّماليّة من النّورويج والسّويد وفنلندا673، يتكلّم اللاّبيّة674 ما يقارب 30.000 شخص. وتكوّن سائر اللّغات من الغصن الفنلنديّ اللاّبيّ جماعة أشدّ تقاربا، هي الجماعة الفنلنديّة (أو البلطيقيّة الفنلنديّة675). وأكبر اللّغات من هذا النّوع هي الفنلنديّة، وقد وثّقت بطريقة متقطّعة بداية من القرن الثّالث عشر وفي كتب مطبوعة بداية من 1544. والفنلنديّة لغة بالأمومة لما يقارب 3 ملايين متكلّم. والأستونيّة676، وأقدم توثيق لها يعود إلى التّاريخ نفسه تقريبا، يتكلّمها 3 ملايين شخص. وللفنلنديّة والأستونيّة لغتان معياريّتان تجريان لغتين رسميّتين واحدة في جمهوريّة فنلندا677 وواحدة جمهوريّة أستونيا678. واللّغات الأخرى من الغصن البلطيقيّ، الكاريليّة679 والأولونتسيّة680

661 Luganda
662 Swahili
663 Kaffir
664 Zulu
665 Tebele
666 Subya
667 Herero
668 Bushman
669 Hottentot
670 Eurasia (Eurasie)
671 Finno-Ugrian
672 Finnish-Lapponic
673 Finland
674 Lappish
675 Baltic-Finnish
676 Esthonian
677 Finland
678 Esthonia
679 Carelian
680 Olonetsian

واللّوديّة681 والفسبيّة682 واللّيفونيّة683 والإنغريّة684 والفوتيّة685، لغات أصغر بكثير والبعض منها على شفا الانقراض. وتقع أربعة غصون أخرى من السّلالة الفنلنديّة الأوغريّة في بقاع متفرّقة على امتداد روسيا الأوروبّيّة والآسيويّة. هي الموردفينيّة686 (مليون متكلّم)، والكرميسيّة687 (375.000)، والبرميّة688 متكوّنةً من الفوتيّة689 (420.000) والزّوريّة690 (258.000)، ولهذا الأخيرة وثائق مكتوبة من القرن الرّابع عشر؛ والأوبيّة الأوغريّة691 متكوّنةً من الأوستياكيّة692 (18.000) والفوغوليّة693 (5000). والغصن السّادس من الفنلنديّة الأوغريّة هو الهنغاريّة694 أتى بها الغزاة في نهاية القرن التّاسع إلى أوروبّا الوسطى. وبالإضافة إلى كلمات نزرة في الوثائق اللاّتينيّة، تعود أقدم وثيقة في الهنغاريّة إلى القرن الثّالث عشر. ويتكلّم الهنغاريّة، بلغتها المعياريّة المزدهرة وبعدد من اللّهجات المحلّيّة، ما يقارب 10 ملايين شخص.

وإلى الشّرق من منطقة الأوستياكيّة، على طول نهر يانساي695، يتكلّم ما يقارب 180.000 شخص لغات تنتمي إلى أسرة السّامويّة696. وهذه اللّغات متفرّقة على منطقة شاسعة وتظِهر الكثير من التّنوّع المحلّيّ. ويعتقد بعض الباحثين أنّ السّامُويّة والفنلنديّة الأوغريّة مترابطتان.

.8 .4

وتمسح أسرة اللّغات التّركيّة697 (التّركيّة التّرتاريّة698 أو الألطاييّة699) منطقة رئيسيّة شاسعة، تمتدّ من آسيا الصّغرى، وقد فتحها في نهاية القرون الوسطى العثمانيّون الأتراك، حتّى روافد نهر يانِساي العليا. ويتكلّم هذه اللّغات، بما فيها من فويرقات صغيرة، 39 مليون شخص تقريب؛ والتّركيّة700، والتّرتاريّة701، والكيرغيزيّة702 والأوزبكيّة703 والأذربيجانيّة704 أكثر أسماء اللّغات المعروفة. وأقدم

681 Ludian
682 Vespian
683 Livonian
684 Ingrian
685 Votican
686 Mordvine
687 Cheremiss
688 Permian
689 Votyak
690 Zyrian
691 Ob-Ugrian
692 Ostyak
693 Vogule
694 Hungarian
695 Yenisei (river)
696 Samoyede (family)
697 Turkish (family)
698 Turco-Tartar (family)
699 Altaic (family)
700 Turkish (language)
701 Tartar

النّصوص عندنا، نقوش سيبيريّة705 تعود إلى القرن الثّامن بعد الميلاد ومعجم في مفردات تركيّة عربيّة من القرن الحادي عشر، ومعجم في مفردات لاتينيّة فارسيّة تركيّة من القرن الرّابع عشر. واللّغة الياكوتيّة706 منفصلة عن سائر اللّغات من الجماعة، ولكن ليست مختلفة كثيرا عنها، يتكلّمها ما يزيد عن 200.000 شخص في أقصى الشّمال من سيبيريا. ويعتقد بعض الدّارسين أنّ التّركيّة التّرتاريّة مرتبطة بالأسرة المنغوليّة707 وأسرة المانشيّة708؛ ويدّعي آخرون، على أساس أرضيّة أكثر وَهَنا، وجود علاقة بين جميع هذه اللّغات والفنلنديّة الأوغريّة والسّمُويّة (في ما يسمّونه الأسرة الأورياليّة الألطايّيّة709).

وتقع اللّغات المنغوليّة، في معظمها، شرق اللّغات التّركيّة التّرتاريّة، في منغوليا؛ لكن نتيجةً لعادات التّرحّل والصّيد لهذه القبائل في ما مضى، توجَد مجموعات متناثرة في بقاع مختلفة من آسيا، وحتّى من روسيا الأوروبّيّة. ويقدّر مجموع المتكلّمين بها بثلاثة ملايين. وتتمثّل أقدم وثيقة مكتوبة معروفة، في نقش يعود إلى زمن جنكيز خان710 في القرن الثّالث عشر.

وتقع الأسرة التّونغوسيّة المانشيّة711 شمال منغوليا، عازلة الياكوتيّة عن بقيّة اللّغات في المنطقة التّركيّة التّرتاريّة. يتكلّم التّونغوسيّةَ 70.000 شخص يسكنون في مواقع كثيرة من رقعة كبيرة نسبيّا في سيبيريا. ولا يعلَم بالتّحديد العدد الفعليّ للمكتلّمين بالمانشيّة، إذ لا يتكلّم أغلب من يعرَفون بالمانشيّين في الصّين إلاّ الصّينيّة. ويقدّره دوني712 بعدد دون المليون بكثير. وقد طُبِع بالمنشويّة منذ 1647، باعتبارها لغة أدبيّة ورسميّة. وتعود عادة كتابة المخطوطات إلى تاريخ أقدم من ذلك بكثير.

وتتكوّن الأسرة الهنديّة الصّينيّة713 (أو الصّينيّة التّيبيتيّة714) العظيمة من ثلاثة أغصان. واحد منها هي الصّينيّة، يتكلّمها 400 مليون شخص؛ وتكوّن حقيقة منطقة لهجيّة شاسعة تتضمّن الكثير من اللّهجات أو اللّغات الّتي لا يفهم أبناء الواحدة منها كلام الآخرين. وقد صُنِّفت هذه اللّغات واللّهجات في أربع جماعات رئيسيّة: جماعة المندرينيّة715 (الصّينيّة الشّماليّة716، بما فيها لغة مدينة بيكين717؛ والصّينيّة الوسطى718 بما فيها مدينة نانكينغ719؛ والصّينيّة الغربيّة720 في سيشوان721)، وجماعة

---

702 Kirgiz
703 Uzbeg
704 Azerbaihani
705 Siberian
706 Yakut
707 Mongol (family)
708 Manchu (family)
709 Ural-Alataic (family)
710 Gengis Khan
711 Tunguse-Manchai (family)
712 Deny
713 Indo-Chinese (family)
714 Sino-Tibetain
715 Mandarin
716 North Chinese
717 Peking
718 Middle Chinese

السّاحل الأوسط (شنغهاي722، النّينغبيّة723، الهانغكيّة724)، وجماعة كيانغسي،725 وجماعة الصّينيّة الجنوبيّة726 (الفوتشيّة727، الأمُويّة السّواتيّة728، الكنتونيّة الهكّيّة729). وأقدم النّصوص عندنا، نقوش يُحتمَل أن يعود بعضها إلى 2000 قبل الميلاد، ولكن بما أنّ الصّينيّة تستعمل رمزا مفردا لكلّ كلمة، بتعبير محدود عن الأصوات، حتّى الوثيقة الّتي تقبل الفهمَ لا تخبرنا بشيء أو تكاد عن اللّغة: ولذلك لا تبدأ معرفتنا بالكلام الصّينيّ قبل العام 600 بعد الميلاد تقريبا. والغصن الثّاني من الهنديّة الصّينيّة هو الأسرة الطّاييّة730 الّتي تتضمّن اللّغة السّياميّة731 يتكلّمها 7 ملايين شخص تقريبا، وأقدم وثيقة منها نقش يعود إلى 1293 بعد الميلاد. والغصن الثّالث هي التّبيتيّة البورمانيّة732، متمثّلة في جماعات أربع: تعتَبَر اللّغة بالاسم نفسه في الجماعة التّيبيتيّة733، بوثائق تعود إلى القرن التّاسع بعد المسيح، أهمّ اللّغات. وللبورميّة734 في الجماعة البورميّة، يتكلّمها 8 ملايين شخص، منزلة مشابهة؛ وتتكوّن الجماعتان الأخريان، البودو–ناغا–كاشينيّة735 وجماعة اللّولو736، من لهجات أقلّ.

وتتكوّن الأسرة القطبيّة العليا737 في أقصى الشّمال الشّرقيّ من قرن آسيا، من التّشوكتشيّة738 يتكلّمها 10.000 شخص تقريبا، ومن الكُرياكيّة739 بعدد مساو من المتكلّمين والكَمْتْشَداليّة740 بألف من المتكلّمين.

وتكوّن على طول نهر يانيساي، اللّغة اليانيساي–أوستياكيّة741 بألف من المتكلّمين نقريبا والكُطّيّة742 قد تكون انقرضت في هذا الوقت، أسرة مستقلّة.

---

719 Nanking
720 West Chinese
721 Szechuan
722 Shaghai
723 Ningpo
724 Hangkow
725 Kiangsi
726 South Chinese
727 Foochow
728 Amoy-Swatow
729 Cantonese-Hakka
730 Thai (family)
731 Siamese
732 Tibeto-Burman
733 Tibetan
734 Burmese
735 Bodo- Naga-Kachin (language)
736 Lo-Lo (language)
737 Hyperborean (famil)
738 Chukchee
739 Koryak
740 Kamchadal
741 Yenisei-Ostyak
742 Cottian

ولم تُوجَد أيّ علاقة لعدد كبير من اللّغات الأخرى من آسيا الشّرقيّة. وتجري اللّغة الغلياكيّة743 في الجزء الشّماليّ من جزيرة سخالين744 وحول منبع نهر آمور745. ويتكلّم لغة الآينو746 حوالي 20.000 شخص في اليابان، وللّغة اليابانيّة747 56 مليون متكلّم، بوثائق مكتوبة تعود إلى بداية القرن الثّامن، وللكوريّة748 17 مليون من المتكلّمين.

.4 .9

وبالعود في اتّجاه الجنوب الشّرقي من أوروبا، نجد في منطقة القوقاز، عددا كبيرا من اللّغات المتنوّعة. وبصرف النّظر عن الأوسّيتيّة وهي لغة إيرانيّة (§ 4. 3)، يجري تقسيم هذه اللّغات في العموم إلى أسرتين، القوقازيّة الشّماليّة749 والقوقازيّة الجنوبيّة750، بعدد من المتكلّمين بين مليون ومليونين في كلّ واحدة منهما. وأشهر واحدة من هذه اللّغات، الجيورجيّة751 الّتي تنتمي إلى الجماعة الأخيرة وتبدأ الوثائق المكتوبة فيها من القرن العاشر بعد الميلاد.

وفي الهند، جنوب اللّغات الهنديّة الآريّة، تقع الأسرة الدّرافيديّة الشّهيرة، تتضمّن، إلى جانب لغات كثيرة أقلّ شأنا، المناطق الكلاميّة الكبيرة (واللّغات الأدبيّة المعياريّة) من التّاميل752 (18 مليون)، والمالايالم753 (6 ملايين)، والكاناريّة754 (10 ملايين، أقدم النّقوش من القرن الخامس بعد الميلاد)، والتّيلوغيّة755 (24 مليون). وتجري لغة درافيديّة يتيمة، هي البراهويّة756 (174.000 متكلّم)، بعيدا جدّا عن البقيّة في جبال البالوشستان757؛ ويبدو أنّها من بقايا عصر احتلّ فيه الدّرافيديّون أرضا أوسع بكثير، قبل أن يكستحها الكلام الهنديّ الآريّ والإيرانيّ.

ويتكلّم بلغات أسرة المونداا758 3 ملايين شخص في قسمين منفصلين من الهند، أي في السّفح الجنوبيّ من الهِملايا759 وحول هضبة شوتا ناغبور760 في وسط الهند.

743 Gilyak
744 Sakhalin (island)
745 Amour (river)
746 Ainu
747 Japanese
748 Korean
749 North Caucasian
750 Soutj Caucasian
751 Georgian
752 Tamil
753 Malayalam
754 Canarese
755 Telugu
756 Brahui (Brahvi)
757 Baluchistan
758 Munda (family)
759 Himalayas
760 Chota Nagpur (plateau)

وتقع الأسرة المون خَميريّة761 في بقاع متفرّقة من الجنوب الشّرقيّ من آسيا، بما فيها جزر نيكوبار762 وبعض الجهات من شبه جزيرة المالايو763. وأقدم الوثائق عندنا نقوش باللّغة الكمبوديّة764 تعود إلى القرن السّابع بعد الميلاد. تضمّ هذه الأسرة في الزّمن الحاضر لغة ذات ثقافة عظيمة، هي الأنّاميّة765، يتكلّمها 14 مليون شخص. ويعتقد بعض العلماء أنّ أسرة الموندا766 والأسرة المون خميريّة مرتبطتان بالأسرة المالايويّة البولينيزيّة767 (مكوّنة بذلك ما يطلَق عليه أسرة اللّغات الأوستريّة768).

وتمتدّ الأسرة المالايوِيّة البولينيزيّة (أو الأوسترونيزيّة769) من شبه الجزيرة المالايويّة عبر المحيط الهادئ حتّى جزيرة الفصح770. تتكوّن من أربعة أغصان. يضمّ الغصن المالايويّ (أو الإندونيسيّ771) اللّغة المالايويّة بما يقارب 3 ملايين من المتكلّمين بالأمومة وباستعمال واسع في التّجارة والحضارة؛ وفوق ذلك تشمل لغاتِ الجزرِ الكبيرة في الشّرق من قبيل الفورموزيّة772، والجاويّة773 (20 مليون)، والصّندانيّة774 (6.5 مليون)، والمَدُوريّة775 (3 ملايين)، والباليّة776 (1 مليون)، ولغات فيليبّينيّة كثيرة من بينها البيسايا777 (2.75 مليون)، والتّاغالوغ778 (1.5 مليون)؛ وفرعا بعيدا هو اللّغة المالغاشيّة779، لغة مدغشقر780، يتكلّمها 3 ملايين شخص تقريبا. ويضمّ الغصن الثّاني من المالايويّة البولينيزيّة، وهو الميلانيزيّ781، لغات كثيرة من جماعات الجزر الصّغرى، من قبيل لغات جزر سليمان782 واللّغة الفيدجيّة783. ويضمّ الغصن الميكرونيزيّ784 لغات غيلبارت785 ومارشال786

761 Mon-Khmer (family)
762 Nicobar (islands)
763 Malay (peninsula)
764 Cambogian
765 Annamite (language)
766 Munda (family)
767 Malayo-Polynesian
768 Austric (family)
769 Austronesian (family)
770 Easter Island
771 Indonesian
772 Formosan
773 Javanese
774 Sundanese
775 Maduran
776 Balinese
777 Bisaya
778 Tagalog
779 Malagasy
780 Madagascar
781 Melanisian (family)
782 Solomon Islands
783 Fidjian (language)
784 Micronesian (branch)
785 Gilbert
786 Marshall

وكارولين787 ذات المساحة المحدودة، ولغات الجزر في أرخبيل ماريانّ788 وجزيرة ياب789. والرّابع، وهو الغصن البولينيزيّ، يضمّ الماؤوريّة790 اللّغة الأصيلة في نيوزيلاندا791، ولغات الجزر الواقعة أبعد إلى الشّرق في المحيط الهادئ من قبيل السّاموانيّة792 والتّاهيتيّة793 والهوابيّة794 ولغة جزيرة الفصح.

وحظّ الأسر اللّغويّة الأخرى في هذا الجزء من الأرض من الدّرس قليل جدّا؛ من ذلك الأسرة البابوانيّة795 في غينيا الجديدة796 وما جاورها من الجزر واللّغات الأستراليّة797.

.10 .4

وتبقى القارّة الأمريكيّة.

يقدّر أنّ الأراضي الواقعة شمال المكسيك كان يسكنها، قبل وصول الإنسان الأبيض، ما يقارب 1.500.000 من الهنود. وعلى هذه الأرض نفسها لا يمكن أن يكون عدد المتكلّمين باللّغات الأمريكيّة اليوم أكثر من ربع مليون، باكتساح من الإنجليزيّة لا ينفكّ يزداد سرعة أكثر من ذي قبل. وبما أنّ هذه اللّغات لم تُدرس دراسة كافية من ذي قبل، لا يمكن تجميعها في أسر إلاّ تجميعا مؤقّتا: تتراوح التّقديرات ما بين خمسة وعشرين وخمسين من الأسر اللّغويّة الّتي لا قرابة بينها مطلقا بالنّسبة إلى المنطقة الواقعة شمال المكسيك. ومعظم هذه المناطق تغطّيها سلالات لغويّة كبيرة، ولكنّ بعض المناطق، خاصّة المنطقة الواقعة حول بوجيت ساوند798 وفي المنطقة السّاحليّة من كاليفورنيا، كانت تُحشَر ضمن مجموعات لغويّة صغيرة غير مترابطة. ومن المعلوم أنّ ستّا على الأقلّ من السّلالات اللّغويّة كانت قد انقرضت. ومن الأسر الّتي ما تزال حيّة يمكن أن نشير إلى قليل من كبراها. في أقصى الشّمال، تكوِّن أسرةُ الإسكيمو799 الّتي تمتدّ من غرينلاند800 عبر بافّينلاند801 وألاسكا802 حتّى الجزر الألوسيّة803، جماعةً لهجيّة متماسكة جدّا.

787 Caroline
788 Marianne archipelagos
789 Yap (Island of)
790 Maori
791 New Zealand
792 Samoan
793 Tahitian
794 Hawaiian
795 papuan (family)
796 New Guinea
797 Australian (languages)
798 Puget Sound
799 Eskimo (family)
800 Greenland
801 Baffinland
802 Alaska
803 Alutian Island

تمتدّ الأسرة الألغونيّة804 على الجزء الشّماليّ الشّرقيّ من القارّة وتتضمّن لغات كندا الشّرقيّة والغربيّة (الميكماكيّة805، المونتانيّة806، الكري807)، ولغات نيو إنجلاند808 (البينوبْسْكوتيّة809، ماسّاشوستّس810، النّاطيكيّة811، النّرّجَنساتيّة812، والموهيكانيّة813، وما إلى ذلك، بما فيها الدُّولاواريّة814 إلى الجنوب)، ولغات منطقة البحيرات الكبرى (الأوجِبويّة815، البوتاواتوميّة816، المينومينيّة817، السّاوُكِيّة818، الفُوكسِيّة819، الكيكابيّة820، البِيوريّة821، الإلّيونيّة822، المياميّة823، وما إلى ذلك)، وكذلك بعض اللّغات المنفصلة إلى الغرب: بلاكفوت824، الشّايان825، والآراباهو826.

وتمتدّ الأسرة الأثاباسكيّة827 على الشّمال الغربيّ من كندا ما عدا الشّريط السّاحليّ (الشِّبْوِيانيّة828، البيفريّة829، الدُّغريبيّة830، السّارسيّة831، إلخ.)، وعلى عدد من الجماعات المنفصلة في كاليفورنا (من قبيل الهوبا832 والماطوليّة833)، وعلى منطقة ثالثة شاسعة في الجنوب، اللّغتان الأباتشيّة834 والنّافاهويّة835. وكانت الأسرة الإيروكوِيّة836 جارية في منطقة تحيط بها الألغونيّة، تضمّ من جملة ما تضمّ، اللّغة الهيرونيّة837 (أو الفِياندوتيّة838)، واللّغات المنتمية إلى نوع

804 Algonquian (family)
805 Micmac
806 Montagnais
807 Cree
808 New England
809 Penobscot
810 Massachusetts
811 Natick
812 Narraganset
813 Mohican
814 Delaware
815 Ojibwa
816 Potawatomi
817 Menomini
818 Sauk
819 Fox
820 Kickapoo
821 Peoria
822 Illinois
823 Miami
824 Blackfoot
825 Cheyenne
826 Arapaho
827 Athabascan (family)
828 Chipewyan
829 Beaver
830 Dogrib
831 Sarsi
832 Hupa
833 Matole
834 Apache
835 Navajo
836 Iroquoian (family)
837 Huron

الإيروكويّة (الموهاوكيّة839، الأونايديّة840، الأونونداغيّة841، الكايوغيّة842، السّينيكاويّة843، التُّوسْكَروريّة844)؛ وفي منطقة معزولة إلى الجنوب، تجري الشّيروكيّة845. وتضمّ الأسرة الميسكوجيّة846، من جملة ما تضمّ من اللّغات، الشّوكتاويّة847 والشّيكاساويّة848 والكريكيّة849 والسّيمينوليّة850. وتتضمّن أسرة السّيو851 لغات كثيرة من قبيل الدّاكوتيّة852 والطِّيطونيّة853 والأوغلاليّة854 والأسّينيبوانيّة855 والكنزاهيّة856 والأوماهيّة857 والأوزاجيّة858 والآيُوِيّة859 والمِيسّوريّة860 والونّيباغو861 والمندانيّة862 والكْراويّة863. وقد اقترح بعضهم أسرةً أوتوآزتيكيّة864، على أساس قرابة محتمَلة، لتضمّ ثلاثة أغصان: الأسرة البيمانيّة865 (شرق خليج كاليفورنيا)، والأسرة الشُّوشْنيانيّة866 (في القسم الجنوبيّ من كاليفورنيا وشرقا بما فيها اليوتيّة867، والبايوتيّة868، والشّوشونيّة869، والكومانشيّة870 والهوبيّة871)، والأسرة النّاوَتليّة872 الكبيرة في المكسيك، بما فيها الأزتيكيّة873، وهي لغة حضارة قديمة.

---

838 Wyandot
839 Mohawk
840 Oneida
841 Onondaga
842 Cayuga
843 Seneca
844 Tuscarora
845 Cherokee
846 Muskogean (family)
847 Choktaw
848 Chickasaw
849 Creek
850 Seminole
851 Siouan (family)
852 Dakota
853 Teton
854 Oglala
855 Assiniboine
856 Kansa
857 Omaha
858 Osage
859 Iowa
860 Missouri
861 Winnebago
862 Mandan
863 Crow
864 Uto-Aztecan (family)
865 Piman (family)
866 Shoshonean (family)
867 Ute (language)
868 Paiute
869 Shoshone
870 Comanche
871 Hopi
872 Nahuatlan (family)
873 Aztec

وعدد المتكلّمين باللّغات الأمريكيّة في ما تبقّى من أمريكا غير محدّد على وجه الدّقّة: يجعل تقدير حديث العددَ في المكسيك بمفردها في حدود 4.5 ملايين وللبيرو والبرازيل بما يفوق 3 ملايين في الواحدة منهما، وبمجموع يفوق 6 ملايين بين المكسيك وأمريكا الوسطى بمفردهما، وبما يفوق 8.5 ملايين في أمريكا الجنوبيّة. ولا يُعرَف شيء تقريبا عن اللّغات وعن العلاقات في ما بينها، وقد أقيمت بضع عشرين أو أكثر من الأسر المستقلّة بعضها عن بعض في المكسيك وأمريكا الوسطى، وقرابة الثّمانين في أمريكا الجنوبيّة. ويمكن أن نذكر في المناطق الأولى، بالإضافة إلى النّاوتليّة، أسرةَ المايا874 في اليوكاتان875 من حيث كانت حاملة لحضارة قديمة. ونلاحظ في أمريكا الجنوبيّة، في الشّمال الغربيّ منها، الأسرتين الأراواكيّة876 والكَريبيّة877، اللّتين غلبتا في ما مضى على جزر الهند الغربيّة878. والأسرة التّوبيّة الغوارانيّة879 ممتدّة على طول ساحل البرازيل، والأراوكانيّة880 في الشّيلي881 والكتشويّة882 لغة الحضارة الإنكيّة883. وقد طوّر كلّ من الأزتيك والمايا884 نظامين كتابيّين، وبما أنّ النّظامين كليهما كانا هيروغليفيّين إلى حدّ كبير ولم تفكّ مغالقهما إلاّ جزئيّا، لا توفّر لنا هذه الوثائق أخبارا عن أقدم أشكال الكلام.

874 Maya (family)
875 Yucatan
876 Arawak (family)
877 Carib (family)
878 Indies
879 Tupi-Guarani (family)
880 Araucanian
881 Chile
882 Ketchuan
883 Inca (civilization)
884 Maya (civilization)

الفصل الخامس:

الصّوتم

5. 1. ميّزنا في الفصل الثّاني بين ثلاثة أحداث متعاقبة في عمل قول ما: (أ)، وضعيّة المتكلّم، (ب)، تلفّظه بأصوات كلاميّة ووقعها على طبلة الأذن من السّامع و(ج)، استجابة السّامع. ومن هذه الأنواع الثّلاثة من الأحداث، تتضمّن (أ) و (ج) جميعَ الوضعيّات الّتي يمكن أن تدفع شخصا إلى الكلام وجميعَ الأعمال الّتي يمكن للسّامع أن ينجزها استجابة لذلك؛ باختصار، يكوّن (أ) و(ب) العالَم الّذي نعيش فيه. ومن جهة أخرى، يمثّل (ب)، أي الصّوت الكلاميّ، مجرّدَ وسيلة تمكّننا من الاستجابة لوضعيّات قد تتركنا بلا أثر في خلاف ذلك، أو من الاستجابة بوجه أكثر إحكاما لوضعيّات قد تدفع إلى استجابات أقلّ فائدة في خلاف ذلك. ومن حيث المبدأ، لا يهتمّ دراس اللّغة إلاّ بالكلام الفعليّ (ب). ودراسة وضعيّات المتكلّمين والسّامعين ((أ) و(ج)) تساوي مجموع المعرفة البشريّة. ولو توفّرت لنا معرفة دقيقة بوضعيّة كلّ متكلّم وباستجابة كلّ سامع – وهذا قد يجعلنا قاصرين عن العلم بكلّ شيء– لسجّلنا ببساطة تينك الواقعتين على أنّهما المعنى ((أ)–(ج)) لكلّ ملفوظ كلاميّ معطى (ب)، ولفصلنا فصلا واضحا دراستنا من سائر المجالات المعرفيّة. فكون الملفوظات الكلاميّة ذات دور كبير في وضعيّة متكلّم وفي استجابة سامع، يمكن أن يعقّد الأشياء، ولكنّ هذه الصّعوبة قد لا تكون مهمّة. فاللّسانيّات، في هذا المستوى المثاليّ، تتمثّل في مبحثين رئيسيّين: الصّوتيّات، حيث درسنا الحدث الكلاميّ دون الرّجوع إلى معناه، بالبحث فقط في الحركات المنتِجة للصّوت عند المتكلّم، وفي الموجات الصّوتيّة وفي عمل طبلة الأذن عند السّامع، والدّلالة، حيث درسنا علاقة هذه السّمات بسمات المعنى، مبيّنين أنّ نوعا مخصوصا من الصّوت الكلاميّ جرى التّلفّظ به في أنواع مخصوصة من الوضعيّات ودفع سامعا إلى أداء أنواع مخصوصة من الاستجابة.

ولكن، في الواقع، معرفتنا بالعالم الّذي نعيش فيه على غاية من النّقص إلى حدّ أنّنا لا نستطيع أن نقيم أحكاما دقيقة في شأن المعنى لشكل كلاميّ إلاّ نادرا. فالوضعيّات (أ) الّتي تقود إلى إنشاء ملفوظ، واستجابات السّامع (ج)، تتضمّن أشياء كثيرة لم يسيطر عليها العلم.

وحتّى إذا ما عرفنا أكثر بكثير ممّا نعرف عن العالم الخارجيّ، يظلّ من المفروض علينا أن نعتبر استعدادات المتكلّم والسّامع. فلا يمكننا أن نتنبّأ في وضعيّة بعينها، إن كان شخص ما سيتكلّم، أو إن فعل ذلك، بأيّ الكلمات سيستعمل ولا نستطيع أن نتكهّن بالوجه الّذي به سيستجيب لكلام بعينه.

وصحيح أنّنا لسنا معنيّين بكلّ فرد عنايتَنا بالمجموعة البشريّة كاملة. فلا نبحث في العمليّات العصبيّة الدّقيقة عند شخص ينطق بكلمة، لنقُل، (*apple*) [تفّاحة]، ولكن نكتفي عوضا عن ذلك بأن نحدّد على العموم أنّ كلمة (*apple*)، عند الجميع من أفراد المجموعة، تدلّ على نوع مخصوص من

الغلال. ولكن، ما إن نحاول معالجة هذا الأمر بدقّة حتّى نجد أنّ اتّفاق المجموعة أبعد ما يكون عن الكمال وأنّ كلّ شخص يستعمل الأشكال الكلاميّة بطريقة فريدة.

.2 .5

لا يمكن لدراسة اللّغة أن تقوم دون افتراضات خاصّة إلاّ إذا لم نول الاهتمام لمعنى ما يتكلّم به. يعرَف هذا الطّور من الدّراسة اللّغويّة بالصّوتيّات (الصّوتيّات التّجريبيّة، الصّوتيّات المخبريّة). ويمكن لعالِم الأصوات أن يدرس إمّا الحركات المنتجة للأصوات عند المتكلّم (الصّوتيّات الفيزيولوجيّة) أو الموجات الصّوتيّة النّاتجة (الصّوتيّات الفيزيائيّة أو الأكوستيّة).؛ وليس لنا إلى حدّ الآن من وسيلة لدراسة عمل طبلة الأذن عند السّامع.

تبدأ الصّوتيّات الفيزيولوجيّة بالفحص الدّاخليّ. فمنظار الحنجرة، على سبيل المثال، أداة على شكل مرآة تمكّن الملاحظ من رؤية الحبال الصّوتيّة عند شخص آخر أو حباله هو. وهو يعطّل، مثل سائر الأدوات من هذا القبيل، الكلام العاديّ ولا يصلح إلاّ في مراحل محدودة من الملاحظة. وتوفّر الأشعّة السّينيّة خدمة مفيدة حيثما أمكن تجاوز محدوديّتها، فيمكن تصوير أوضاع اللّسان، على سبيل المثال، إن جعل المرء لُسَيّنا معدنيّا دقيقا أو سلسلة على امتداد ظهر اللّسان. وتعطي أدوات أخرى تسجيلا محوّلا. فعلى سبيل المثال، يوضع حنك اصطناعيّ مطليّ بمادّة ملوِّنة في الفم، وبعد أن ينطق المتكلّم بصوت، يكون التّعرّف على المواضع الّتي لامس فيها اللّسان الحنكَ بزوال المادّة الملوِّنة. وفي أغلب الأدوات من هذا القبيل، تربط بصيلة885 على جزء من أعضاء النّطق عند المتكلّم، لنقل تقّاحة آدم، فتحوِّل هذه الآليّة الحركات النّطقيّة إلى حركات صاعدة ونازلة تكون من قلم نقّاط886 موصول بقطعة من الورق. ويكون الحفاظ على القطعة الورقيّة متحرّكة باستمرار بسرعة ثابتة على وتيرة واحدة بوجه تظهر فيه حركة الصّعود والنّزول من القلم النّقّاط على الورق في شكل خطّ متموّج. وتسمّى أداة التّسجيل هذه الكيموغراف887. ويحصل المرء في الصّوتيّات الأكوستيّة على بصمات الأمواج الصّوتيّة. والتّسجيلات من هذا القبيل، معهودة عندنا في شكل إسطوانات فونوغرافيّة888، ولم يفلح علماء الأصوات إلى حدّ الآن في تحليل أغلب السّمات المتوفّرة في هذه التّسجيلات.

ويعود الفضل في قسم كبير من معلوماتنا المتعلّقة بالأصوات الكلاميّة إلى الطّرق الّتي عرضنا منذ حين. غير أنّ الصّوتيّات المخبريّة لا تمكّننا من ربط الصّوت الكلاميّ بالمعنى؛ فهي لا تدرس الأصوات الكلاميّة إلاّ من حيث هي حركات عضليّة أو اضطرابات في الهواء، دون اعتبار استعمالها في التّواصل. ونتبيّن في هذا المستوى أنّ الأصوات الكلاميّة معقّدة تعقيدا لا نهائيّا ومتنوّعة تنوّعا لا نهائيّا.

885 bulb
886 pen-point
887 kymograph
888 phonograph-disk(s)

وحتّى الكلام القصير مسترسل: يتكوّن من تتابع من الحركات والأمواج الصّوتيّة لا ينقطع. ومهما كان عدد الأجزاء المتعاقبة الّتي نقسّم إليها التذسجيل المتوفّر عندنا لغايات الدّراسة الدّقيقة، يظلّ تحليل أمضى في الدّقّة دائما ممّا يمكن تصوّره. فملفوظ كلاميّ ما هو ما يسمّيه أهل الرّياضيّات مسترسِلا[889]، ويمكن تصوّره على أنّه متكوّن من أيّ عدد ممكن من الأجزاء المتعاقبة.

والملفوظات الكلاميّة متنوّعة تنوّعا لانهائيّا. وتخبرنا التّجربة اليوميّة بأنّ الأشخاص المختلفين يتكلّمون بطرق مختلفة، إذ يمكننا التّعرّف على النّاس بأصواتهم. فعالم الأصوات لا يجد ملفوظين متشابهين تمام الشّبه.

ويعود اشتغال اللّغة، بكلّ جلاء، إلى التّشابه بين الملفوظات المتعاقبة. فالملفوظات الّتي نَصِفُها في الحياة العاديّة بأنّها متكوّمة من الأشكال الكلاميّة "نفسها"،– لنقل، ملفوظات متعاقبة من الجملة (*I'm hungry*) [أنا جائع(ة)]– تتضمّن، بكلّ وضوح، بعض السّمات الثّابتة من الموجة الصّوتيّة، مشتركة بين جميع الملفوظات من ذلك الشّكل الكلاميّ "نفسه". ولا يمكن أن نفسّر استعمالنا العاديّ للّغة إلاّ بناء على هذا الافتراض. لكنّ عالم الأصوات لا يمكنه أن يتأكّد من هذه السّمات الثّابتة ما دام يهمل معنى ما يقال. لنفترض، على سبيل المثال، أنّ له تسجيلات تتعلّق بملفوظ يمكننا أن نعيّنه ممثّلا للمقطع (*man*) [رجل]، منطوقا به وفق خطاطتين نغْميّتين[890] مختلفتين. فإذا كانت لغة هذين الملفوظين هي الإنجليزيّة، يكون من المفروض علينا أن نقول أنّ كلاّ منهما قد تضمّن الشّكل الكلاميّ نفسَه، أي الكلمة (*man*). ولكن إن كانت اللّغةُ الصّينيّةَ، يمكن للتّسجيلين أن يمثّلا شكلين كلاميّين مختلفين، إذ ترتبط في الصّينيّة الاختلافات في الخطاطة النّغميّة بمعان مختلفة: فالكلمة (*man*) منطوقة بنغْمَة عالية صاعدة[891]، على سبيل المثال، تعني ('deceive') [خيّب]، والكلمة (*man*) منطوقة بنغمة نازلة[892] تعني (slow) [أبطأ، بطء]. فطالما لا نولي المعنى أيّ عناية، لا يمكننا الحكم بأنّ شكلين ملفوظين هما "نفس الشّيء" أو "مختلفان". ولا يستطيع عالم الأصوات أن يخبرنا عن أيّ السّمات مفيدة للتّواصل وأيّ السّمات لا مادّيّة[893]. فسمة ما مفيدة في بعض اللّغات قد تكون غير ذات قيمة في لغات أخرى.

.3 .5

فكون الملفوظين بالمقطع (*man*) بخطاطتين نغميّتين مختلفتين، الشّكل الكلاميّ "نفسه" في الإنجليزيّة، ولكنّهما شكلان كلاميّان "مختلفان" في الصّينيّة، يبيّن لنا أنّ اشتغال اللّغة يرتبط بتمييزنا بحكم التّعوّد والمواضعة بين بعض السّمات الصّوتيّة وبإهمال سائرها جميعا. تمثّل سمات الصّوت في أيّ

889 continuum
890 pitch-scheme(s)
891 high rising pitch
892 falling pitch
893 immaterial feature(s)

ملفوظ، كما يمكن تسجيلها في المخبر، السّمات الأكوستيّة الخام894 لذلك الملفوظ. فيكون قسم من السّمات الأكوستيّة الخام غيرَ ذي قيمة (غير تمييزيّ895)، ولا يكون إلاّ قسم منها مرتبطا بالمعنى (تمييزيّ896) وضروريّا في التّواصل. ويكمن الفرق بين السّمات التّمييزيّة وغير التّمييزيّة في الصّوت، بصفة كلّيّة، في عادة المتكلّمين. فالسّمة الّتي تكون تمييزيّة في لغة، قد تكون غير تمييزيّة في لغة أخرى.

وبما أنّنا لا نستطيع أن نتبيّن السّمات التّمييزيّة في ملفوظ ما إلاّ عندما نعرف المعنى، فإنّنا لا نستطيع تعيينها باعتماد المستوى الصّوتيّ الصِّرف. فنحن نعرف أنّ الفرق بين الشّكلين الإنجليزيّين (*man*) [رجُل]، و(men) [رجال]، فرق تمييزيّ لأنّنا نعرف من خلال الحياة العاديّة أنّ ذينك الشّكلين يستعملان في ملابسات مختلفة. ومن الممكن أنّ علما آخر غير اللّسانيّات يمكنه أن يحدّد هذا الفرق بعبارات دقيقة، حتّى أنّه يوفّر تفسيرا للحالة الّتي نستعمل فيها (man) للتّعبير عن عدد يفوق الفرد الواحد (*man wants but little here below*) [لا يحبّ الرّجل إلاّ القليل النّزر هنا]. ولكن لا يمكن الاهتداء، على أيّ حال، إلى هذا الفارق بالتّعويل على مجرّد الملاحظة الصّوتيّة: الفرق بين الحركتين في (*man*) و(*men*) غير تمييزيّ في بعض اللّغات.

وللاهتداء إلى السّمات التّمييزيّة في لغة ما، يجب أن نهجر أرضيّة الصّوتيّات الصّرف وأن نتصرّف كما لو أنّ العلم قد تقدّم بما يكفي لتعيين جميع الوضعيّات والاستجابات الّتي تقيم معنى الأشكال الكلاميّة. ففي حال لغتنا نحن، نثق بمعرفتنا اليوميّة لتخبرنا بأنّ الأشكال الكلاميّة هي "نفسها" أو "مختلفة". فنجد، حينئذ، أنّ كلمة (*man*) منطوقةً بخطاطات نغميّة متنوّعة تظلّ في الإنجليزيّة دائما الكلمةَ "نفسها"، مقترنة بمعنى وحيد هو نفسه دائما، لكن (*man*) و(*men*) (أو (*pan*) و(*pen*)) كلمتان "مختلفتان بمعنيين مختلفين. وفي حال لغة أجنبيّة، يجب علينا أن نتعلّم أشياء من هذا القبيل بالمحاولة والخطإ، أو أن نحصل على المعاني من شخص يعرف تلك اللّغة.

فدراسة الأصوات الكلاميّة المفيدة897 هي الصّوتميّة898 أو الصّوتيّات العمَليّة899. فالصّوتميّة تنطوي على اعتبار المعاني. ولا يمكن لمعاني الأشكال الكلاميّة أن تعرّف تعريفا علميّا إلاّ إذا كانت جميع فروع العلم، بما في ذلك علم النّفس، خاصّة، والفيزيولوجيا، قريبة من الكمال. وحتّى يحين ذلك الزّمن، تتأسّس الصّوتميّة ومعها الطّور الدّلاليّ في دراسة اللّغة، على فرضيّة، هي الفرضيّة الجوهريّة في اللّسانيّات: وجب أن نفترض *أنّ بعض الملفوظات في كلّ مجموعة كلاميّة متشابهة في الشّكل والمعنى.*

894 gross acoustic feature(s)
895 non-distinctive
896 distinctive
897significant
898 phonology
899 practical phonetics

.4 .5

ويظهر كمّ يسيرٌ من التّجريب أنّ السّمات الدّالّة لشكل كلاميّ محدودة من حيث العدد. وفي هذا الصّدد، تختلف السّمات الدّالّة عن السّمات الأكوستيّة الخام الّتي تُكوِّن، كما رأينا، كلاّ مسترسلا يمكن أن ينقسم إلى أيّ عدد مرغوب فيه من الأجزاء. ولكي نتعرّف على السّمات التّمييزيّة للأشكال في لغتنا نحن، لا نحتاج إلاّ إلى تحديد أيّ السّمات الصّوتيّة "مختلف" لغايات تواصليّة. لنفترض، على سبيل المثال، أنّنا نبدأ بكلمة (*pin*) [دبوس]: سرعان ما تكشف بعض التّجارب في النّطق بالكلمات بصوت مرتفع ما يلي من التّماثلات والاختلافات:

(1) تنتهي (*pin*) بنفس الصّوت الّذي تنتهي به (*fin*) [زعنفة]، (*sin*) [خطيئة]، (*tin*) [علبة]، ولكنّها تبدأ بصوت مختلف. وهذا النّوع من التّماثل معهود عندنا بسبب عاداتنا في استعمال القافية في الشّعر.

(2) تتضمّن (*pin*) الصّوت (*in*)، ولكن تضيف شيئا آخر في البداية؛

(3) تنتهي (*pin*) بنفس الصّوت الّذي تنتهي به (*man*) [رجل]، (*sun*) [شمس]، (*hen*) [دجاجة]، ولكنّ المماثلة أقلّ ممّا هي عليه في (1) و(2)؛

(4) تبدأ (*pin*) بنفس الصّوت الّذي تبدأ به (*pig*) [خنزير]، (*pill*) [حبّة دواء]، (*pit*) [حفرة]، ولكنّها تنتهي بطريقة مختلفة؛

(5) تبدأ (*pin*) بنفس الصّوت الّذي تبدأ به (*pat*) [تربيتة]، (*push*) [دفع]، (*peg*) [وتد]، ولكنّ المماثلة أقلّ ممّا هي عليه في (4)؛

(6) تبدأ (*pin*) وتنتهي بنفس الصّوت الّذي تبدأ به وتنتهي (*pen*) [قلم]، (*pan*) [مقلاة]، (*pun*) [تورية]، ولكن الجزء الأوسط مختلف؛

(7) تبدأ (*pin*) وتنتهي بطريقة مختلفة عن (*dig*) [حفَر]، (*fish*) [سمكة]، (*mill*) [طاحونة]، ولكنّ الجزء الأوسط هو نفسه.

وبهذه الطّريقة، يمكننا أن نجد الأشكال الّتي تماثل جزئيّا كلمة (*pin*)، بأن نغيّر أيّ جزء من أجزاء الكلمة الثّلاثة. فيمكن أن نغيّر أوّلا واحدا، ثمّ آخر من الأجزاء الثّلاثة ويكون لنا دائما تماثل جزئيّ: إن غيّرنا الجزء الأوّل ثمّ الجزء الثّاني، نحصل على سلسلة من قبيل (*pin-tin-tan*). وإن غيّرنا الجزء الأوّل ثمّ الجزء الثّالث، نحصل على سلسلة من قبيل (*pin-pan-pack*). وإن غيّرنا الأجزاء الثّلاثة جميعها لا يبقى أيّ تماثل، كما في (*pin-tin-tan-tack*).

ولا تبين تجربة أوسع عن المزيد من الأجزاء الّتي تقبل التّعويض في كلمة (*pin*): نستنتج، إذن، السّمات التّمييزيّة لهذخ الكلمة ثلاث وحدات غير قابلة القسمة. وكلّ واحدة من هذه الوحدات تجري كذلك في توليفات أخرى، ولكنّها لا تقبل أن تحلّل أكثر من ذلك إلى تماثلات جزئيّة: كلّ واحدة من ذلك الثّالوث وحدة900 دنيا901 لسمة صوتيّة تمييزيّة902، هي صوتم903. نقول، إذن، إنّ كلمة (*pin*)، تتكوّن من ثلاثة صواتم: يجري الأوّل منها كذلك في (*pet*) [حيوان أليف]، (*pack*) [حزمة]، (*push*) [دفَع]، وفي الكثير من الكلمات الأخرى؛ والثّاني كذلك في (*fig*) [تين]، (*hit*) [ضرب]، (*miss*) [فقد]، وفي الكثير من الكلمات الأخرى؛ والثّالث كذلك في (*tan*) [دبغ]، (*run*) [جرى]، (*hen*) [دجاجة]، وفي الكثير من الكلمات الأخرى. وفي حالة (*pin*)، تمثّل كتابتنا الألفبائيّة الصّواتم الثّلاثة بحروف ثلاثة هي (*p*) و(*i*) و(*n*)، ولكنّ مواضعاتنا الكتابيّة دليل فقير؛ ففي كلمة (*thick*)، على سبيل المثال، تشير كتابتنا إلى الصّوتم الأوّل بثنائيّة حرفيّة (*th*)، وإلى الثّالث بثنائيّة حرفيّة (*ck*). ويمكّن بعض التّدريب الملاحظَ من التّعرّف على صوتم ما، حتّى عند ظهوره في أجزاء مختلفة من الكلمة، كما في (*pin*)، (*apple*)، (*mop*) [مكنسة]. وفي بعض الأحيان، لا يكشف رصيدنا من الكلم، كشفا فوريّا عن التّماثلات904 والاختلافات905. فكلمة (*then*) [إذن]، على سبيل المثال، تتكوّن بجلاء من ثلاثة صواتم، لكن يمكننا أن نتساءل (خاصّة، بتأثير من طريقتنا في الكتابة) إن كان الصّوتم البدئيّ906 هو نفسه أو لم يكن كما هو في كلمة (*thick*) [سميك]. وحالما نقع على الزّوج (*thigh*) [فخذ] و(*thy*) [لَك]، أو على (*mouth*) [فم] و(*mouthe*) [قال]، نرى أنّهما مختلفان.

.5 .5

إذن، من السّمات الأكوستيّة الخام لأيّ ملفوظ، ما يكون تمييزيّا يتكرّر في شكل ثابت نسبيّا يمكن التّعرّف عليه في الملفوظات المتعاقبة. تظهر هذه السّمات التّمييزيّة في كُتَل أو حِزَم907، نسمّي كلّ واحدة منها صوتما. ولقد دُرِّب المتكلّم طويلا على إحداث حركات منتجة للأصوات بوجه تكون به السّمات الصّوتميّة حاضرة في الموجات الصّوتيّة، ودُرِّب طويلا على أن لا يستجيب إلاّ لتلك السّمات وأن يهمِل ما تبقّى من كتلة السّمات الأكوستيّة الخام الّتي تبلغ أذنه.

ويكون من العبث أن نحاول إنتاج السّمات التّمييزيّة نقيّةً خلوا من المصاحِبات908 غير التّمييزيّة. فعلى سبيل المثال، لا يكون لكلمة إنجليزيّة، على هذا النّحو، أيّ خطاطة نغميّة تمييزيّة –أي

900 unit
901 minimum
902 distinctive
903 phoneme
904 resemblance(s)
905 difference(s)
906 initial
907 bundle(s)
908 accompaniments

أنّ سمات النّغْمة الّتي تظهر عليها في أيّ ملفوظ، ليست تمييزيّة– ولكن بطبيعة الحال لا يمكن أن ننطق كلمة من قبيل (*man*) خالية من سمات النّغمة: يكون لها في أيّ ملفوظ تجري فيه، خطاطة نغميّة ما– حتّى ما يكون منها صاعدا909 ونازلا910 وعاليا911 ووسطا912 ومنخفضا913، وما إلى ذلك. فالصّواتم في لغة ما، ليست أصواتا بل مجرّد سمات للصّوت الّذي دُرِّب المتكلّمون على إنتاجه والتّعرّف عليه في درَج الصّوت الكلاميّ الفعليّ – تماما كما يدَرّب السّوّاق على التّوقّف عند الإشارة الحمراء سواء أكانت إشارة ضوئيّة كهربائيّة أم مصباحا أو علما أو ما لم يكن كذلك، رغم أنّه لا وجود لحمرة مفصولة في ذاتها عن هذه الإشارات الفعليّة.

وبالفعل، عندما نتأمّل عن كثب، خاصّة، لغة غريبة عنّا نلاحظ غالبا اتّساع المجال من السّمات غير التّمييزيّة، والاتّساق الضّعيف نسبيّا في السّمات التّمييزيّة. فيبدو لنا أنّ الهنديّ المينومينيّ914، في كلمة من قبيل تلك الدّالّة على 'الماء"، والّتي نقدّمها هنا في شكل (*nipēw*)، ينطق الحرف الوسطيّ أحيانا (*p*)، وأحيانا (b). فالسّمة الصّوتميّة (أي الأساسيّة) في لغته، هي مجرّد انغلاق915 الشّفتين دون تسرّب النّفَس من الأنف. وكلّ ما عدا ذلك بما فيها السّمات الّتي بها تميّز الإنجليزيّة بين (*p*) و(*b*)، غير تمييزيّة. ومن جهة أخرى، تنتِج هتّة خفيفة من النّفَس قبيل الحرف، أو عوض ذلك، انقباضةٌ خفيفة في الحنجرة – وربّما أفلتت كلتاهما عن أذن سامع إنجليزيّ– في اللّغة المينومينيّة صوتمين مختلفين تمام الاختلاف، كلّ واحد منهما يقابل الصّوتم الصّريح (*p-b*).

وبنفس الطّريقة، قد يجد ملاحظ صينيّ غير ذي معرفة مسبقة بعض العنَت قبل أن ينتبه إلى أنّ الكلمات الإنجليزيّة يكون لها المعنى نفسه (أي هي "نفسُها") بصرف النّظر عن خطاطتها النّغميّة.

وتعامَل السّمات غير التّمييزيّة، جزئيّا، معاملة تقليديّة جدّا. فعندما يحاكي متكلّم أجنبيّ القيمَ الصّوتميّة الّتي في لغتنا حتّى يجعَل كلامه مفهوما، ولكنّه لا يوزّع السّمات غير التّمييزيّة وفق ما تعوّدنا عليه، نقول إنّه يتكلّم لغتنا بمهارة كافية ولكن بلكنة أجنبيّة. ففي الإنجليزيّة، على سبيل المثال، ننتج الصّواتم البدئيّة في كلمات من قبيل (*pin*) [دبوس]، (*tin*) [علبة]، (*kick*) [ركل]، بنفخة طفيفة من النّفَس (هتّة)، بعد فتح الانغلاق، ولكن عندما تسبقها (*s*)، كما في (*spin*) [عزل]، (*stick*) [عصا]، (*skin*) [جلد]، نهجر عادةً تلك النّفخة من النّفَس. وبما أنّ هذا الفرق غير تمييزيّ، يظلّ متكلّم أجنبيّ لا ينجح في محاكاته مفهوما، ولكن كلامه يبدو غريبا عندنا. والمرجّح أنّ الفرنسيّين يفشلون في هذا الأمر لأنّ الصّواتم الّتي تماثل (*p*)، (*t*)، (*k*)، عندنا، تنطق في الفرنسيّة دائما دون هتّة. ومن جهة أخرى، يرجّح

909 rising
910 falling
911 high
912 middle
913 low
914 Menomini Indian
915 closure

كذلك أن لا يعجِب إنجليزيّ أو أمريكيّ يتكلّم الفرنسيّة بمهارة كافية يُفهَم لها، سامعيه باستعمال الهتّة بعد (*p*)، (*t*)، (*k*).

وتظهر السّمات غبر التّمييزيّة في جميع الوجوه من التّوزيع916. ففي معظم الأنواع من الإنجليزيّة الأمريكيّة، غالبا ما يقلّص صوتم (*t*) في كلمات من قبيل (*water*) [ماء] أو (*butter*) [زبدة]، إلى لمسة لحظيّة من أسلة اللّسان917 للنّتوء خلف اللّثة العليا: وفي عادتنا، يكفي الصّوت النّاتج بهذ الطّريقة ليمثّل الصّوتم. وهذا البديل918 مجهول في أنجلترا، ويكون من ألرجح أن يؤوّر هناك بديلا من الصّوتم (*d*). وعلى هذا النّحو، قد يجد الأمريكيّ أنّه لا يُفهَم عندما يطلب (*water*) [ماءً].

وفي الحالة العاديّة، يوجد حدّ تنتهي عنده قابليّة السّمات غير التّمييزيّة للتّبدّل: تجري المحافظة على الصّوتم متميّزا من جميع الصّواتم الأخرى في لغته. وعلى هذا، ننطق بالحركة في كلمة من قبيل (*pen*) [قلم]، بطرق كثيرة جدّا، ولكن ليس بأيّ طريقة تنتمي إلى الحركة في (*pin*) [دبوس]، ولا بأيّ طريقة تنتمي إلى الحركة في (*pan*) [مقلاة]. فتكون المحافظة على الأنواع الثّلاثة مفصولا بعضها عن بعض فصلا صارما.

.6 .5

ويظهر كونُ مظاهر التّميز الّتي تكون صوتميّة في لغة أو لهجة غيرَ ذات قيمة في أخرى، وكون الحدود بين الصّواتم المختلفة مختلفةً باختلاف اللّغات واللّهجات، في أعلى درجات الجلاء ، عندما نسمع لغة أو لهجة أجنبيّة، أو نحاول أن نتكلّم بها. لقد رأينا منذ حين مثالا لما به يحدث أن لا تُفهَم الإنجليزيّة الأمريكيّة في أنجلترا. ففي الإنجليزيّة الأمريكيّة، تكون الحركة في كلمات من قبيل (*fob*) [ساعة جيب]، (*bomb*) [قنبلة]، (*hot*) [حارّ]، أقرب بكثير إلى الحركة في كلمات من قبيل (*far*) [بعيد]، (*balm*) [بلسم]، (*pa*)، منها جارية في الإنجليزيّة البريطانيّة؛ وفي بعض الأنواع من الإنجليزيّة الأمريكيّة، يكون بالفعل لمجموعتي الكلمات نفس الحركة. وفوق ذلك، لقد فقد الإنجليزيّ من الجنوب، صوت (*r*) في كلمات من قبيل (*far*). ولم يستطع سائق سيّارة الأجرة في لندن عندما طلبت منه أن يحملني إلى (*Comedy Theatre*)، وكنت قد سهوت فنطقت بالشّكل الأمريكيّ من الحركة الأولى في (*comedy*) [كوميديا]، وهي الحركة الّتي لا يأخذها الإنجليزيّ إلاّ على أنّها ممثّلة لصوتم الحركة في كلمة من قبيل (*car*)– وعلى هذا، كنت أطلب في الواقع أن يحملني إلى (*Carmody Theatre*)، وهو مكان لا يوجد.

عندما نحاول أن نتكلّم بلغة أو بلهجة أجنبيّة، يكون من الأرجح أن نعوّض صواتمها بأكثر الصّواتم من لغتنا أو لهجتنا نحن، مماثلة لها. وفي بعض الأحيان، يتداخل919 صوتمنا بالأمومة

916 distribution(s)
917 tongue-tip
918 variant(s)
919 overlap

والصّوتم الأجنبيّ فتكون لذلك محاكاتنا له صائبة في وقت، ولكنّها في وقت آخر تكون خارج مدى الصّوت الأجنبيّ. وعلى هذا، ينتج الأمريكيّ الّذي ينطق بالكلمة الفرنسيّة (*même*) [نفس]، بحركة الكلمة الإنجليزيّة (*ma'm*) [سيّدتي]، صوتا يستجيب للمواصفات المعهودة للصّوتم الفرنسيّ، حينا، وفي أغلب الأحيان، صوتا يختلف اختلافا بيّنا عن الحركة الّتي اعتاد الفرنسيّ سماعها.

وما ينقذ الموقف في مثل هذه الحالات، إنّما هو عدم الدّقّة التّكميليّة عند المتكلّم بالأمومة. فعندما نسمع أصواتا كلاميّة أجنبيّة نستجيب لها كما لو أنّها تضمّنت خصائص بعض الصّواتم المماثلة لها أكوستيّا من لغتنا بالأمومة. فالاختلاف يشوّشنا، فنقول إنّ الشّخص الأجنبيّ يتكلّم دون تمييز أو بلكنة920 غريبة، ولكنّنا لا نعرف أين يقع الاختلاف. ففي مثالنا، وفقا لذلك، يفهم الفرنسيّ في الأغلب نطق الشّخص الأمريكيّ لكلمة (*même*)، حتّى إذا ما تضمّنت صوتَ حركة لا يحدُث أبدا في نطق ذلك الشّخص الفرنسيّ نفسه. لكن، قد يُساء فهمنا إذا انحرف أداؤنا بعيدا جدّا عن الصّوتم الأجنبيّ، وخاصّة إذا قرب كثيرا من صوتم آخر من تلك اللّغة الأجنبيّة؛ وعلى هذا، تكون بعض البدائل من (*ma'm*) عند الشّخص الأمريكيّ الّتي يستعملها للكلمة الفرنسيّة (*même*)، غير مفهومة لأنّ الفرنسيّ يقبلها على أنّها تحقيقات لصوتم آخر قد يجري، على سبيل المثال، في كلمات من قبيل (*lame*) [شفرة قاطعة].

ويكون الخلط أخطر عندما يشبه واحد أو ثلاثة من الصّواتم الأجنبيّة صوتما ما من الصّواتم الأصيلة في لغتنا. ويدرّبنا تعلّم اللّغة في أطوار الطّفولة على إهمال الفروق الّتي ليست صوتميّة في لغتنا. فالمتكلّم بالإنجليزيّة لا يسمع أيّ فرق بين الأشكال المينومينيّة (*a'käh*) [نعم، بالفعل]، و(*ahkäh*) [إناء]، والجزء الأوّل من كلمة (*akähsemen*) [برقوق]. ففي الأوّل من هذه الأشكال، ايكون لصّوتم الّذي يماثل صوت (*k*) عندنا، مسبوقا بانقباضة خفيفة في الحنجرة (همزة921) أشرت إليها هنا بعلامة الفاصلة العليا922. وفي الثّاني يكون صوت (*k*) مسبوقا بنفخة طفيفة من النّفس (هتّة)، أشرت إليها بعلامة (*h*)؛ وهذه السّمات غائبة في الشّكل الثّالث. وقد دُرِّب المتكلّم بالإنجليزيّة في الطّفولة على أن لا يستجيب لانقباضة في الحنجرة أو لبحّة طفيفة قبل حرف صامت: إذا ما أحدث واحد من بني لغتنا ضجيجا من هذا القبيل، لا نعيره أيّ اهتمام.

والمينومينيّ، من جهته، لا يمكنه أن يميّز الفوارق بين (*t*) و(*d*) عندنا. فالكلمتان من قبيل (*bad*) [فراش] و(*bat*) [خفّاش]، متشابهتان صوتيّا عنده. يظهر ذلك، على سبيل المثال، في كون المنيمونيّين قد ترجموا كلمة (*Swede*) [سويديّ]، إلى لغتهم كما لو كانت (*sweet*) [حلو]، بكلمة(*sayēwent*) [واحد هو حلو(ذو حلاوة)]. وهناك صوتم مينومينيّ يماثل كلاّ من (*t*) و(*d*) عندنا، ويتلفّظ المتكلّم المينومينيّ، دون شكّ، في الغالب ببدائل لهذا الصّوتم تقع في مجال الصّوتم (*t*) عندنا،

920 accent
921 glottal stop
922 apostrophe

وفي بعض الأحيان ببدائل تقع في مجال صوتم (*d*) عندنا، ولكنّ تدريبه في طور الطّفولة علّمه أن يهمل تلك الفروق الصّوتيّة.

وعندما نحاول الكلام بلغة أجنبيّة، ننتج في مثل هذه الأحوال صواتم أجنبيّة عديدة بصوتم مفرد من صواتمنا. ويستجيب المتكلّم بالأمومة، بدوره، لصوتمنا كما لو أنّه كان واحدا من صواتمه. وعلى هذا، لا يسمع الألمانيّ فرقا بين الصّوتم البدئيّ في (*tin*) [علبة]، والصّوتم البدئيّ في (*thin*) [نحيل]، إذ يماثل كلاهما صوتما له من صواتمه بالأمومة. وعندما يتكلّم الإنجليزيّة، يستعمل هذا الصّوتم الألمانيّ. ونستجيب لذلك الصّوتم، ونحن نستمع إليه، كما لو أنّه كان صوتم (*t*) الّذي عندنا. ونكون محقّين، على أيّ حال، عندما نستنتج أنّه لا يميّز (*tin*) من (*thin*). وبنفس الطّريقة يستجيب المتكلّم بالإنجليزيّة، عندما يسمع الألمانيّةَ، لصوتمين مختلفين من تلك اللّغة كما لو أنّهما كانا مطابقين للصّوتم الإنجليزيّ الوارد بدئيّا في كلمات من قبيل (*cat*) [قطّ]، وسوف يفشل تبعا لذلك في التّمييز بين كلمات مختلفة كثيرا في عادات الألمان.

وفي حالات أخرى، يكون الصّوتم الواحد الّذي نستبدل به صواتم عديدة من اللّغة الأجنبيّة، أكوستيّا في منزلة وسطى، فنبدو للمتكلّم بالأمومة كما لو أنّنا نبادل الأصوات. فعلى سبيل المثال، للكثير من الألمان (من قبيل الألزاسيّين) صوتم واحد فقط من ذوات المنزلة الوسطى في الصّفات الأكوستيّة، في مجال (*p*) و(*b*) عندنا، وعند الكلام بلغتنا يستعملون ذلك الصّوتم لكلّ من الصّوتمين عندنا. وعندما يفعلون ذلك في كلمة مثل (*pie*) [فطيرة]، يفجأنا التّحريف الحادث في اتّجاه (*b*) ونستجيب كما لو كانت الكلمة (*buy*) [اشترى]. ومن جهة أخرى، عندما يستعملون الصوتم الوسيط923 عندهم في كلمة مثل (*buy*)، يفجأنا التّحريف الحادث في اتّجاه (*p*) ونستجيب كما لو سمعنا الكلمة (*pie*). ومن هذا، يبدو لنا (أو لشخص فرنسيّ) أنّ الألمانيّ يستطيع النّطق بكلّ من(*p*) و(*b*)، ولكنّه لا ينفكّ يخلط بين الاثنين بطريقة عجيبة.

وتنشأ أكبر مشكلة حيث توظّف لغة ما توظيفا دلاليّا جملة من السّمات الّتي لا وظيفة من هذا القبيل لها في لغتنا. فلا يمكن لمتكلّم بالإنجليزيّة يسمع الصّينيّة (أو أيّ لغة من بعض اللّغات الأخرى القليلة)، أن يفهم أو يتكلّم بإفهام حتّى يكتشف الفوارقَ في النّغمة النّسبيّة924 الّتي تحدّد المعنى في كلّ مقطع، ويدرّب نفسَه على سماعها وعلى محاكاتها. فهو لا يستجيب لها أوّلَ الأمر، لأنّه كان قد دُرِّب وهو طفل على أن لا ينتبه إلى الخطاطات النّغميّة المختلفة الّتي تجري في الملفوظات المتعاقبة بكلمةٍ مثل (*man*) [رجُل]؛ ومن جهة أخرى، كان الطّفل الصّينيّ قد دُرِّب على الاستجابة لأنواع عديدة من هذا القبيل من الخطاطات النّغميّة.

923 intermediate phoneme
924 relative pitch

وعندما يكون للّغة الأجنبيّة صوتم واحد فقط من نوع أكوستيّ عامّ يكون فيه للغتنا أكثر من صوتم واحد، يبدو لنا في الغالب كما لو أنّ اللّغة الأجنبيّة تستعمل أصواتا مختلفة جدّا دون تمييز معقول. فعلى هذا، يطرق آذاننا صوتمُ (*p-b*) في المينومينيّة أو الألزاسيّة، مرّة على أنّه (*p*) ومرّة على أنّه (*b*).

ولبعض النّاس قدرة على سماع الأصوات الكلاميّة الأجنبيّة وعلى محاكاتها؛ فنقول عن هؤلاء الأشخاص إنّهم مقلّدون جيّدون أو ذوو "أذن جيّدة". وأغلب النّاس الآخرين، إن سمعوا ما يكفي من لغة أجنبيّة وإن عُلّموا إيّاها بعناية، يتعلّمون، في الزّمن المناسب، الفهمَ والإفهام. ويكتسب علماء الأصوات العمليّة أحيانا براعة كبيرة في التّمييز الدّقيق بين جميع كيفيّات النّطق بالأصوات الغريبة وفي محاكاتها. وفي هذا، دون شكّ، يكمن بعض الخطر على العمل اللّسانيّ. فقد يلتفت عالِم الأصوات، وقد تعلّم التّمييز بين أنواع كثيرة من الأصوات، إلى لغة ما، جديدة أو مألوفة، ويلحّ على تسجيل جميع الفويرقات الّتي تعلّم تمييزها، حتّى إذا كانت في تلك اللّغة غيرَ تمييزيّة ولا تحمل شيئا. ولذلك يمكن لعالِم الأصوات، وقد تعلّم، لنقل، في دراسة الصّينيّة، أن يسمَع الفرق بين صوت مهتوت (*p*)، (*t*)، (*k*) (كما يجري عندنا عادة في كلمات مثل (*pin*)، (*tin*)، (*kick*))، وصوت مماثل له غير مهتوت (كما يفعل الفرنسيّ ذلك، وكما يجري عندنا عادة في كلمات مثل (*spin*)، (*stick*)، (*skin*))، أن يثقِل تسجيلَه للإنجليزيّة بإثبات الهتّة حيثما سمعها والحال أنّ حضورها أو غيابها لا صلة له بمعنى ما يقال. وتكمن نقطة الاعتراض الرّئيسيّة على هذا الإجراء في عدم تماسكه. فتجهيزات عالم الأصوات شخصيّة[925] وعرَضيّة[926]، فهو يسمع تلك السّمات الأكوستيّة[927] الّتي يكون التّمييز بينها في اللّغات الّتي رصدها. وحتّى هذا التّسجيل الأكثر "دقّة" محدود بإهمال عدد لا يحصى من سمات الأصوات غير التّمييزيّة؛ وتلك الّتي تظهر فيه منتقاة بعوامل شخصيّة وعرَضيّة. ولا اعتراض على وصف يكون من عالم لسانيّ لجميع السّمات الأكوستيّة الّتي يمكنه سماعها، شريطة أن لا يخلط هذه بالسّمات الصّوتميّة. وعليه أن يتذكّر أنّ سماعه للسّمات غير التّمييزيّة مرتبط بتجهيزاته الشّخصيّة العرضيّة، وأنّ وصفه إيّاها مهما بلغ من الدّقّة لا يمكنه أن يضاهي من بعيد قيمة تسجيل تنجزه الآلة.

ولا يكون مفيدا من التّسجيل العلميّ إلاّ صنفان. يتمثّل واحد منهما في التّسجيل الآليّ للسّمات الأكوستيّة الخام، من قبيل ما يُنتَج في مخبر علم الأصوات. ويتمثّل الآخر في التّسجيل باعتماد الصّواتم، بإهمال جميع السّمات الّتي ليست تمييزيّة في اللّغة. وفي انتظار أن تتقدّم معارفنا بالأكوستيك إلى ما يجاوز حالها الرّاهنة، لا يمكن أن يُستعمَل إلاّ النّمط الأخير من التّسجيل، في القيام بأيّ دراسة تضع في اعتبارها معنى ما يقال.

925 personal
926 accidental
927 acoustic feature(s)

وبالفعل، يعرف عالم الأصوات المخبريّة عادة، من موارد أخرى، الطّابع الصّوتميّ في الأصوات الكلاميّة الّتي يدرسها؛ ولا يبلور عادة مسائله من زاوية أكوستيّة صرف فقط، بل من زاوية يستعيرها من الصّوتيّات العمَليّة، عوضا عن ذلك.

.7 .5

نحتاج لتكوين سجلّ928 لملاحظاتنا إلى رموز كتابيّة توفّر رمزا واحدا لكلّ صوتم في اللّغة الّتي نكون بصدد تسجيلها. ومجموعة الرّموز من هذا القبيل، تكوّن الألفبائيّة الصّوتيّة929، ويمثّل تسجيل الكلام باعتماد هذه الرّموز كتابة صوتيّة930 (أو كتابة931، ببساطة).

وقد كان مبدأ تخصيص رمز لكلّ صوتم، معتمَدا في الكتابة الألفبائيّة التّقليديّة عندنا، ولكنّ الكتابة التّقيلديّة عندنا لا تحقّق ذلك بما يكفي لغايات الدّراسة اللّسانيّة. فنحن نكتب (*sun*) [شمس]، و(*son*) [ابن] بطريقتين مختلفتين رغم أنّ الصّواتم هي نفسها، ولكن نكتب (*lead*) [رصاص، قيادة] (اسم) و(*lead*)[قاد] (فعل) بشكل واحد رغم كون الصّواتم مختلفة. والكلمات (*oh*) [أوه]، و(*owe*) [يدين]، و(*so*) [إذن]، و(*sew*) [خاط]، و(*sow*) [زرع]، و(*hoe*) [عزق، جرف]، و(*beau*) [جميل]، و(*though*)[رغم]، تنتهي جميعها بالصّوتم نفسه، وتُكتَب بأشكال متنوّعة. وتنتهي الكلمات (*though*) [رغمَ]، و(*bough*) [غُصْن]، و(*through*) [خِلال]، و(*cough*) [سعل]، و(*tough*) [قويّ]، و(*hiccough*) [فُواق]، بصواتم مختلفة ولكنّها تكتب جميعا بالأحرف (*-ough*). والحرف (*x*) عندنا غير ضروريّ لأنّه يمثّل الصّواتم نفسها على شكل (*ks*) (كما في (*tax*) [ضريبة]) أو (*gz*) (كما في (*examine*) [فحص])؛ والحرف (*c*) عندنا غير ضروريّ لأنّه يمثّل الصّوتم نفسه على شكل (*k*) (كما في (*cat*) [قطّ]) أو (*s*) (كما في (*cent*) [صنتيم])؛ ورغم وجود الحرف (*j*) عندنا للصّوتم البدئيّ في (*jam*) [مربّى]، نستعمل كذلك الحرف (*g*) (كما في (*gem*) [جوهرة]) لذلك الصّوتم عينه. وللإنجليزيّة المعياريّة، كما تجري في شيكاغو، اثنان وثلاثون صوتما: لا تكفي الحروف السّتّة والعشرون في الألفبائيّة عندنا، لإقامة سجلّ صوتيّ. ونستعمل لبعض الصّواتم توليفات من حرفين (حرف مزدوج932)، مثل (*th*) للصّوتم البدئيّ في (*thin*) [نحيف]، و(*ch*) للصّوتم البدئيّ في (*chin*) [ذقْن]، و(*sh*) للصّوتم البدئيّ في (*shin*) [قصبة السّاق]، و(*ng*) للصّوتم النّهائيّ في (*sing*) [غنّى]. يؤدّي جميع ذلك إلى تضارب أوسع: في (*then*) [إذن]، نستعمل (*th*) لصوتم مختلف، وفي (*hothouse*) [بيوت مكيّفة]، للصّوتمين اللّذين يكون التّمثيل لهما في العادة بالحرفين المنفصلين (*t*) و(h)؛ وفي (*Thomas*) [طوماس]، يكون لعلامة (*th*) قيمة الصّوتم الّذي يكتَب في العادة بحرف (*t*). وفي (*singer*) [مغنّ]، نستعمل (*ng*) لصوتم مفرد، كما في (*sing*) [غنّى]، ولكن في

928 record
929 phonetic alphabet
930 phonetic transcription
931 transcription
932 digraph

(*finger*) [أصبع]، يمثّل الحرفان (*ng*) هذا الصّوتمَ ينضاف إليه الصّوتم الّذي يُكتَب عادة بحرف (*g*)، كما في (*go*) [ذهب]. وليست الكتابة الألفبائيّة التّقليديّة دقيقة إلاّ في لغات قليلة، من قبيل الإسبانيّة والبوهيميّة والبولونيّة والفنلنديّة حيث أعيدت صياغتها أو نُقِّحت من قبل أشخاص استنبط كلّ منهم النّظام الصّوتميّ في لغته.

.8 .5

وعلى اعتبار العيوب في الكتابة التّقليديّة ونقص العدد الكافي من الحروف في الألفبائيّة (الّتي تسمّى "اللاّتينيّة") عندنا، استنبط العلماء الكثير من الألفبائيّات الصّوتيّة.

تنطلق بعض هذه الخطاطات بصفة مطلقة من عاداتنا في الكتابة. ويمثّل نظام "الكلام المرئيّ933" الّذي نشأه بالّ، أشهرها لسبب رئيسيّ يتمثّل في أنّ هنري سويت934 (1845–1912) استعمله. تتمثّل رموز هذه الألفبائيّة في رسوم مبسّطة ومنمّطة لأعضاء النّطق في وضع التّلفّظ بمختلف الصّواتم. ولكنّ "الكلام المرئيّ" صعب في الكتابة ومكلف جدّا في الطّباعة.

وينطلق نظام آخر من الإرث التّاريخيّ، هو نظام يسبرسن935 "التّدوين الأمّيّ"936. يكون التّمثيل هنا لكلّ صوتم بمجموعة كاملة من الرّموز تتكوّن من حروف إغريقيّة وأرقام عربيّة بحروف لاتينيّة عوارضَ937 عليها. ويشير كلُّ حرف إغريقيّ إلى عضو وكلُّ رقم إلى درجة الانفتاح؛ وعلى هذا، يعيّن (α) الشّفتين و يشير (0) إلى الانحباس، بوجه يظهر له الرّمز (α0) في الصّياغة الجارية لأيّ صوتم تكون الشّفتان منغلقتين عند إنجازه، من قبيل الصّواتم (*p*)، (*b*)، (*m*)، عندنا. والصّياغة المخصّصة للصّوتم الإنجليزيّ (*m*)، كما في (*man*)، هي (α0 δ2 ε1) حيث تعني (δ2) أنّ الحنك الخلفيّ منخفض، وتعني (ε1) أنّ الحبال الصّوتيّة تنزّ. ومزايا هذه الطّريقة في التّدوين بيّنة، ولكن، بطبيعة الحال، المقصود منها ليس تسجيل ملفوظات بأكملها.

وأغلب الألفبائيّات الصّوتيّة أشكال محوّرة من الألفبائيّة التّقليديّة. فهي تعوّض النّقص في الحروف العاديّة بأدوات من قبيل الحروف التّاجيّة الصّغيرة، وحروف من الألفبائيّة الإغريقيّة، وأشكال محرّفة من الحروف التّقليديّة، وحروف تحمل علامات صغيرة، هي العلامات الدّياكريتيّة938، ملتصقة بها (مثل (ā) و(ä)). وهناك ألفبائيّات كثيرة من هذا النّوع، من قبيل ألفبائيّة لابسيوس939، الّتي تستعمَل للّغات الإفريقيّة، وألفبائيّة لوندالّ940 الّتي تُستعمَل للّهجات السّويديّة، وألفبائيّة بريمر 941 الّتي تُستعمَل

933 Visible Speech (Bell)
934 Henri Sweet (1845-1912)
935 Jesperson
936 Analphabetic Notation
937 exponent(s)
938 diacritical sign(s) (diacritique(s))
939 Lepsius
940 Lundell

للّهجات الألمانيّة، وألفبائيّة الجمعيّة الأنتروبولوجيّة الأمريكيّة942 الّتي تُستعمَل للّهجات الهنديّة الأمريكيّة. ونعتمد في هذا الكتاب ألفبائيّة الجمعيّة الصّوتيّة العالميّة943؛ وقد طوّر هذا الفبائيّة كلّ من إلّيس944 وسويت945 وباسّي946 ودانيال جونس947. ويتوفّر شكل غفل من الألفبائيّة الصّوتيّة في قسم "مفاتيح النّطق948" من أغلب القواميس. وقد ازدهرت أدوات مماثلة في الكتابة التّقليديّة في بعض اللّغات، هي أدوات من قبيل النّقطتين فوق علامة الحركة في الكتابة الألمانيّة ((ä)، (ö)، (ü))، أو العلامات الدّياكريتيّة في الكتابة البوهيميّة ((č) لكتابة (*ch*) عندنا، و(š) لكتابة (*sh*) عندنا). وتثري الألفبائيّتان الرّوسيّة والصّربيّة الألفبائيّة الإغريقيّة بعدد من الحروف الإضافيّة.

ومن حيث المبدأ، لا تفاضل بين الألفبائيّات الصّوتيّة، إذ كلّ ما نحتاج إليه هو بضعة عشرات من الرّموز كافية لتوفير رمز لكلّ صوتم مهما كانت اللّغة الّتي نسجّلها. غير أنّها جميعا، خلال تطبيقها، تشكو من عيوب خطيرة. فعندما اختُرعت، ما كان مبدأ الصّوتم معروفا معرفة واضحة. فقد أراد المخترعون لألفبائيّاتهم أن تكون ثريّة طيّعة بما يكفي لتوفير رمز لكلّ نوع أكوستيّ يمكن أن يُسمَع في أيّ لغة. ومن البيّن، اليومَ، أنّ تسجيلا من هذا القبيل، ليس إلاّ تسجيلا ميكانيكيّا للأمواج الصّوتيّة الّتي لا يتشابه فيها اثنان من الملفوظات مطلقا.

وعمليّا، انزلق المبدأ الصّوتميّ بوجه من الوجوه إلى مأزق: كان المرء يكتب، في العادة، رمزا لكلّ صوتم، ولكنّ هذه الرّموز كانت على درجة عالية من التّمييز ومثقلة بما يتكدّس فيها من العلامات الدّياكريتيّة، لغاية تحديد القيم الأكوستيّة "الدّقيقة". فالأصناف الّتي تُوصِل إلى تبيّنها بهذه الطّريقة هي ببساطة تلك الّتي كان علماء الأصوات قد لاحظوها من قبلُ. وقد صمّم هنري سويت نظاما بسيطا نسبيّا، قائما على الألفبائيّة اللاّتينيّة، أطلق عليه "الرّوميّ"949 يكون استعماله جنبا إلى جنب مع نظام "الكلام المرئيّ". وعندما صار المبدأ الصّوتميّ واضحا عنده، انتبه إلى أنّ الرّموز في نظامه الرّوميّ تظلّ كافية إن بسّطها المرء تبسيطا كبيرا. واستعمل وفقا لذلك شكلا مبسّطا قوامه رمز لكلّ صوتم، وأطلق عليه اسم "الرّوميّ950 الموسّعة"؛ ولكنّه ظلّ يعتقد أنّ الشّكل الأكثر تعقيدا، أي الرّوميّ الضّيّق951، كان، بوجه من الوجوه، "أدقّ" وأكثر ملاءمة للغايات العلميّة.

---

941 Bremer
942 American Anthropological Association
943 International Phonetic Association (IPA)
944 Ellis
945 Sweet
946 Passy
947 Daniel Jones
948 keys to pronounciation
949 Romic
950 Broad Romic
951 Narrow Romic

وخارج النّظام الرّومي لسويت، تطوّرت ألفبائيّة جمعيّة الصّوتيّات العالميّة الّتي تتكوّن، وفقا لذلك، من رموز لاتينيّة ينضاف إليها عدد من الحروف الاصطناعيّة وقليل من العلامات الدّياكريتيّة. و سنستعملها في هذا الكتاب ، في صيغة محوّرة، جاعلين بين معقوفتين، كما جرت العادة، كلّ شيء كُتِب بالرّموز الصّوتيّة.

.9 .5

يتمثّل المبدأ الّذي تأسّست عليه الألفبائيّة العالميّة، في استعمال الحروف العاديّة في قيم تقارِب القيم الّتي لها في اللّغات الأوروبّيّة الرّئيسيّة، وفي تكميل هذه الحروف بعلامات اصطناعيّة أو باستعمال علامات دياكريتيّة كلّما فاق عدد الصّواتم من نوع مخصوص عدد الحروف العاديّة. وعلى هذا، إذا كان في لغة ما صوتم من النّوع العامّ (*t*)، نرمز لهذا الصّوتم بالحرف العاديّ [t]، بصرف النّظر عن كون هذا الصّوتم مماثلا أكوستيّا لصوت (*t*) الإنجليزيّ أو الفرنسيّ. لكن، إذا كان في اللّغة صوتمان من ذلك النّوع العامّ، يمكن أن نرمز لواحد منهما فقط بعلامة [t]، ونضطرّ إلى اللّجوء إلى استعمال الشكّل التّاجيّ [T] أو الشّكل المائل [*t*]، أو أيّ أداة شبيهة بذلك. وإذا كان في لغة ما صوتمان من نوع (*e*) العامّ عندنا كما في (*pen*)، نستعمل الحرف [e] لواحد منهما والرّمز التّكميليّ [ɛ] للآخر كما في (*pan*) [pɛn].

وكانت هذه المبادئ الّتي صاغتها جمعيّة الصّوتيّات العالميّة منذ 1912، مهمَلة حتّى من أعضائها؛ ولم يلفح معظم الدّارسين في الابتعاد عن عادة الأزمان الّتي ما كان المبدأ الصّوتميّ معروفا فيها. فنجد، لذلك، أغلب الكتّاب يستعملون رموزا غريبة للصّواتم الإنجليزيّة لأنّه كان من العلوم أنّ الصّواتم الإنجليزيّة مختلفة عن أكثر الأنواع مماثلة لها من الصّواتم الفرنسيّة. فعلى سبيل المثال،لا يستعمل هؤلاء المؤلّفون، وقد سبق لهم أن خصّوا الرّمز [o] للصّوتم الفرنسيّ (*eau*) [o] [ماء]، هذا الحرف لتسجيل الحركة الإنجليزيّة في (*son*)، لأنّ هذا الصّوتم الإنجليزيّ غير مماثل للصّوتم الفرنسيّ. ولهذا الاعتبار وغيره، سأخرج في هذا الكتاب عن استعمال ألفبائيّة جمعيّة الصّوتيّات العالميّة، لا عن مبادئها.

وحيثما كانت لغات أو لهجات عديدة تحت الدّرس، وجب أن تسجّل الواحدة منها على أساس صواتمها هي؛ وقد تستحقّ الفوارق، في حدود ما نكون به قادرين على ذكرها، وصفا نثريّا، ولكن ينبغي أن لا يُسمَح لها بالتّداخل مع رموزنا. حينئذ، لن يضيف حتّى عالم بالأصوات يعتقد أنّه قادر على وصف الفوارق بين صواتم الإنجليزيّة المعياريّة كما تجري في شيكاغو وكما تجري في لندن وصفا دقيقا، شيئا إلى قيمة أحكامه باستعمال رموز غريبة لواحدة من مجموعتي الصّواتم تينك أو للأخرى، ولن يزيد الأشياء إلاّ صعوبة إن استعمل رموزا دخيلة لكلتيهما، إذ يحدث له أن يعرف أنّ الحروف العاديّة كانت تُستعمل لتسجيل صواتم مختلفة نوعا من الاختلاف في لغة أخرى.

ولا يمكن أن يحوَّر مبدأ الرّمز الواحد للصّوتم الواحد، دون ضير، إلاّ حيث لا يمكن أن يؤول ذلك إلى غموض. ولعلّه من المستحسن، حيث لا يحدث غموض، أن يكون الخروج عن المبدإ الصّارم عندما يكفي ذلك عناءَ استعمال الرّموز الإضافيّة الّتي قد تكون مشوِّشة للقارئ ومكلِفة في الطّباعة. وفي بعض اللّغات، تتميّز الأصوات مثل [p, t, k] عندنا، الّتي تكون متبوعة بهتّة خفيفة للنّفس بعدها، من الأصوات مثل [p, t, k] الفرنسيّة العارية من تلك الهتّة؛ فإن لم يكن في اللّغة صوتم يشار إليه بعلامة [h]، أو إن كان فيها هذا الصّوتم ولكنّه لا يجري أبدا بعد [p, t, k]، يكون عندئذ من الآمن والاقتصاديّ أن نستعمل رموزا مركّبة [ph, th, kh] للنّوع الأوّل.

.10 .5

ليست مسألة تسجيل اللّغات معقّدةَ بوجود ألفبائيّات صوتيّة عديدة وبتضارب في تطبيقها فقط، بل هي معقّدة كذلك بالاستعمال المتواتر لأداتين أخريين جنبا إلى جنب مع الكتابة الصّوتيّة.

وتتمثّل واحدة من تينك الأداتين في إيراد الشّاهد952 من الأشكال في كتابتها التّقليديّة. يجري ذلك في الغالب حيثما كانت اللّغة محطّ العناية تستعمل الألفبائيّة اللاّتينيّة. فيفترض المؤلّف واحدا من أمرين، إمّا أنّ قارئه يعرف طريقة النّطق، أو بدل ذلك، قد لا يكترث في حال اللّغات القديمة بالتّخمين في طريقة النّطق. وغالبا ما يكون الشّاهد مفيدا للقرّاء الّذين أَلِفوا الكتابة العاديّة، غير أنّ إضافة الكتابة الصّوتيّة ليست إلاّ من الإنصاف، مثلا، الفرنسيّة (*eau*) [o] [ماء]. وحتّى في حال اللّغات القديمة، غالبا ما يكون من المفيد أن يضاف تخمين في طريقة النّطق، مثل، الإنجليزيّة القديمة (*geoc*) [jok] [نَيْر]. ولا يكون المرء في غنى عن إثبات الكتابة الصّوتيّة إلاّ في حالة اللّغات الّتي تكون الكتابة التّقليديّة فيها صوتيّة بأكملها، من قبيل البوهيميّة أو الفنلنديّة. وفي حال اللاّتينيّة، يكفي الشّاهد الّذي يحمل مطّة فوق الحركات الطّويلة (مثال، (*amāre*) [أحبّ])، إذ كانت الكتابة اللاّتينيّة، في حدود ما نعلم، صوتيّة إلاّ في عدم إثبات التّمييز بين الحركات الطّويلة والحركات القصيرة.

وتُعتَمَد الشّواهد من اللّغات الّتي تستعمل ألفبائيّات أخرى غير اللاّتينيّة، استعمالا دون ذلك بكثير. وهذا من المعهود في حالة الإغريقيّة، وهو أقلّ تواترا في حال الرّوسيّة، ولكنّه أمر مرفوض في جميع الوجوه. وبعض المنشورات الفاخرة تتساهل حتّى في إيراد الكتابات العبريّة والعربيّة والسّنسكريتيّة عند إيراد الشّواهد من هذه اللّغات. والاستثناءات الوحيدة المعقولة هنا هي أشكال الكتابة من قبيل الصّينيّة والمصريّة القديمة اللّتين تكون الرّموز فيها، كما سنرى، ذات قيم معنويّة لا يمكن تمثيلها باعتماد الكتابة الصّوتيّة.

952 citation

وبالنّسبة إلى اللّغات الّتي تستعمل شكلا كتابيّا غير الألفبائيّة اللاّتينيّة تستخدَم الكتابة النّسخيّة953 في الغالب عوض الكتابة الصّوتيّة. وتتمثّل الكتابة النّسخيّة في جعل حرف ما من الألفبائيّة اللاّتينيّة (أو مجموعة من الحروف أو بعض الرّموز الاصطناعيّة) إزاء كلّ حرف من الألفبائيّة الأصليّة، فيكون، على ذلك، نسخ الكتابة التّقليديّة باعتماد الحروف اللاّتينيّة. وبذلك، يُستعمل الحرف اللاّتينيّ (*c*)، في كتابة السّنسكريتيّة كتابة نسخيّة، ليمثّل حرفا سنسكريتيّا يبدو أنّه كان يشير إلى صوتم شبيه جدّا بالصّوتم البدئيّ عندنا في كلمات مثل (*chin*)، ولكنّ الحرف (*c*) في كتابة الألفبائيّة السّلافيّة كتابة نسخيّة، يُستعمَل لتمثيل حرف يشير إلى صوتم مماثل لتوليفة (*ts*) عندنا في كلمة (*hats*) [قبّعات]. ولكن من الأفضل استعمال كتابة صوتيّة لأغلب الغايات اللّسانيّة.

.11 .5

وليس من الصّعب على المرء (حتّى بصرف النّظر عن العون الّذي تقدّمه لنا كتابتنا الألفبائيّة) أن ينشئ قائمة في صواتم لغته. فلا يحتاج المرء إلاّ إلى أن يشتغل بعدد محدود من الكلمات كما فعلنا قبل هذا مع كلمة (*pin*)، ليجد أنّه قد عيّن كلّ صوتم. ويتراوح عدد الصّواتم الأوّليّة البسيطة954 في اللّغات المختلفة ما بين خمسة عشر وخمسين تقريبا. وللإنجليزيّة المعياريّة، كما تجري في شيكاغو، اثنان وثلاثون. والصّواتم المركّبة955 توليفات لصواتم بسيطة تسلك سلوك الوحدات من حيث المعنى والبنية الكلمة. فيمكن، حينئذ، للحركة المزدوجة956 في كلمة مثل (*buy*) [اشترى]، أن تؤخَذ على أنّها توليفة من الحركة من كلمة (*far*) [بعيد]، والصّوتم الوارد في الموضع البدئيّ من (*yes*) [نعَم]. وللإنجليزيّة المعياريّة ثماني توليفات من هذا القبيل.

وتحديد الصّواتم الثّانويّة957 أصعب من ذلك بوجه من الوجوه. فهذه الصّواتم ليست جزءا من أيّ شكل كلاميّ بسيط ذي معنى مأخوذا في ذاته، ولكنّها لا تظهر إلاّ عندما يجري التّوليف بين شكلين أو أكثر في شكل أكبر، أو عوضا عن ذلك عندما يجري استعمال الأشكال الكلاميّة بوجوه معلومة– في الجمَل خاصّة. وعلى هذا، عندما نولّف بين عناصرعديدة بسيطة من الكلام في كلمة من مقطعين أو أكثر، نستعمل دائما صوتما ثانويّا للنّبرة958 يتمثّل في النّطق بواحد من تلك المقاطع بصوت أعلى من المقطع الآخر أو من المقاطع الأخرى: في كلمة (*foretell*) [تكهّن]، ننطق (*tell*) بصوت أعلى من (*fore*)، ولكن في (*foresight*) [حكمة، بصيرة]، تكون (*fore*) أعلى من (*sight*). وللاسم (*contest*) [منافسة، خصام]، نبرة على المقطع الأوّل، وللفعل (*contest*) [نافس، خاصم]، على المقطع الثّاني.

953 transliteartion
954 simple primary phoneme(s)
955 compound phoneme(s)
956 diphtong
957 secondary phoneme(s)
958 stress

وتظهر سمات النّغمة959 في الإنجليزيّة صواتم ثانويّة في نهاية الجمل بصفة رئيسيّة، كما يكون في التّقابل بين سؤال (*at four o'clock ?*) [عند الرّابعة؟]، وجواب (*at four o'clock*) [عند الرّابعة.]. ومن الجدير أن نشير إلى أنّ الصّينيّة، وكذا شأن لغات كثيرة أخرى، تستعمل سمات النّغْمة صواتم أوّليّة. والصّواتم الثّانويّة أصعب في الملاحظة من الصّواتم الأوّليّة، لأنّها لا تحدث إلاّ في التّوليفات أو في استعمالات مخصوصة للأشكال البسيطة (مثلا، (*john ?*) [جون؟]، مقابل (John) [جون]).

وربّما مكّنت المبادئ الّتي عرضنا، أيَّ شخص ذي دربة على الكتابة، من إنشاء نظام في كتابة لغته كتابة صوتيّة. وفي هذا الكتاب تُكتب الأمثلة الإنجليزيّة كتابة صوتيّة، ما لم يُذكَر خلاف ذلك، وفق النّطق في الإنجليزيّة المعياريّة الغالبة في شيكاغو. يقتضي ذلك اثنتين وثلاثين رمزا للصّواتم الأوّليّة البسيطة وتسعة رموز للصّواتم الثّانويّة.

الصّواتم الأوّلية

[rɑd]	*rod*	[r]		[pin]	*pin*	[i]		[amz]	*alms*	[a]
[sɑd]	*sad*	[s]		[jes]	*yes*	[j]		[ɑd]	*odd*	[ɑ]
[šov]	*shove*	[š]		[ĵem]	*gem*	[ĵ]		[big]	*big*	[b]
[tin]	*tin*	[t]		[kɛt]	*cat*	[k]		[čin]	*chin*	[č]
[θin]	*thin*	[θ]		[lɛm]	*lamb*	[l]		[dig]	*dig*	[d]
[put]	*put*	[u]		[mis]	*miss*	[m]		[ðen]	*then*	[ð]
[vɛn]	*van*	[v]		[not]	*knot*	[n]		[eg]	*egg*	[e]
[wɛg]	*wag*	[w]		[siŋ]	*sing*	[ŋ]		[ɛd]	*add*	[ɛ]
[zip]	*zip*	[z]		[op]	*up*	[o]		[fɛn]	*fan*	[f]
[ruwž]	*rouge*	[ž]		[ɔt]	*ought*	[ɔ]		[giv]	*give*	[g]
				[pin]	*pin*	[p]		[hɛnd]	*hand*	[h]

الصّواتم الأوّليّة المركّبة

[bɔj]	*boy*	[ɔj]		[bij]	*bee*	[ij]		[baj]	*buy*	[aj]
[duw]	*do*	[uw]		[fjuw]	*few*	[juw]		[baw]	*bough*	[aw]
				[gow]	*go*	[ow]		[bej]	*bay*	[ej]

959 pitch

["]	توضَع قبل الرّموز الأوّلية، دالّة على النّبر الأعلى: (*That's mine*!) [!majn" s εt'δ] [هذا لي].
[']	توضَع قبل الرّموز الأوّلية، دالّة على النّبر العاديّ: (*forgiving*) [for'giviŋ] [العفو]، (I've seen it) [aj v 'sihn it] [لقد رأيته].
[ˌ]	توضَع قبل الرّموز الأوّلية، دالّة على النّبر الأقلّ ارتفاعا: (*dining-room*)[ˌdajniŋ ɹruwm] [قاعة الأكل]؛ (*Keep it up*) [ɹkijp it ˈop] [حافظ عليه مستقيما].
[.]	توضع تحت واحدة من الرّموز الأوّليّة [l, m, n, r]، دالّة على نبر طفيف يجعل من هذه الرّموز الأوّليّة أعلى ممّا يسبقها وأعلى ممّا يلحقها: (*coral*) [ˈkɑrɹl̩] [مرجان]، (*alum*) [ˈɛlm̩] [حجر الشّبّ]، (*apron*) [ˈejprn̩] [مئزر]، (*pattern*) ['pɛtr̩n][1] [قالب، نموذج].
[.]	توضع بعد الرّموز الأوّليّة، دالّة على النّغمة النّازلة في نهاية الجملة: (I've seen it) [aj v 'sijn it.] [لقد رأيته.]
[¿]	توضع بعد الرّموز الأوّليّة، دالّة على النّغمة الصّاعدة– النّازلة في نهاية استفهام يقتضي جوابا بشكل كلاميّ لا يكون نعم أو لا: (*Who's seen it?*) ['huw z 'sijn it¿] [من رآه؟].
[?]	توضع بعد الرّموز الأوّليّة، دالّة على النّغمة الصّاعدة في نهاية استفهام يقتضي الجواب بنعم أو لا: (*have you seen it?*) [hεv juw 'sijn it?] [هل رأيته؟].
[!]	توضع بعد الرّموز الأوّليّة، دالّة على تحرّف الخطاطة النّغميّة في عبارات التّعجّب: (*It's on fire!*) [it s εn 'fajr!] [إنّه يحترق!]، (*Seven o'clock?!*) ['sevn o "klɑk?!] [السّاعة السّابعة؟!].
[‚]	توضع بين الرّموز الأوّليّة، دالّة على الوقف، تكون مسبوقة في الغالب بنغمة صاعدة، توحي بتواصل الجملة: (*John, the older boy, is away at school*) ['ʤɑn, δij 'owldr 'bəj, iz e'wej et 'skuwl.] [جون، الابن الأكبر، في المدرسة.].

هامش:

[1]– قارن بين ما ورد أعلاه والأشكال من قبيل (*Carl*) [karl] [كارل]، (*elm*) [elm] [شجر الدّرادار]. فمن المعهود وممّا لا ينشئ أيّ لبس، وضع علامة [.] تحت الرّموز [l, m, n, r]، حيثما كانت هذه الصّواتم ذات نبر أعلى ممّا يسبقها وأعلى ممّا يلحقها (ووفقا لذلك تكوّن، كما نقول، مقطعا)، رغم أنّها لا تتطلّب زيادة في النّبرة لتكون كذلك، كما في (*bottle*) [ˈbɑtl̩] [قارورة]، و(*bottom*) [ˈbɑtm̩] [أسفل]، و(*button*) [ˈbɑtn̩] [زرّ]، و(*bird*) [bɹd] [طائر]؛ انظر [§ 7. 10].

الفصل السّادس:

أنواع الصّواتم

6. 1. لئن جعلت المبادئ العامّة الّتي عرضنا في الفصل السّابق الملاحظ قادرا على تحليل البنية الصّوتيّة في لغته، فإنّها توفّر معونة يسيرة جدّا في البداية لفهم لغة غريبة. فالملاحظ الّذي يسمع لغة غريبة، يرصد من السّمات الأكوستيّة الخام تلك الّتي تمثّل الصّواتم الموجودة في لغته هو أو في لغات أخرى كان قد درسها، ولكنّه لا يجد سبيلا إلى تبيّن كون تلك السّمات ذات وظيفة في اللّغة الّتي يرصد. ويعجز، فوق ذلك، عن رصد السّمات الأكوستيّة غير الوظيفيّة في لغته هو وفي سائر اللّغات الّتي درسها ولكنّها وظيفيّة في اللّغة الجديدة. وتتضمّن محاولاته الأولى في التّسجيل اختلافات غير مفيدة، بل إنّها تعجز عن إظهار الأساسيّة منها. وحتّى التّسجيل الآليّ يكون غير ذي فائدة في هذه المرحلة، إذ يسجّل السّمات الأكوستيّة الخام ولكنّه لا يبيّن أيّها وظيفيّ. فلا يمكن للملاحظ أن يتعلّم كيفيّة التّعرّف على الاختلافات الصّوتميّة إلاّ بأن يكتشف أيّ الملفوظات متماثل في المعنى وأيّها مختلف فيه. فما دام تحليل المعنى خارج سيطرة العلم، يبقى تحليل اللّغات وتسجيلها فنّا أو مهارة عمَليّة.

تظهِر التّجربة أنّ المرء يكتسب تلك المهارة إن كان على دراية مسبقة بأنواع الصّوت الكلاميّ الّتي تكون تمييزيّة في اللّغات المختلفة– وإن صحّ أنّ أيّ لغة جديدة يمكن أن تُظهِر وجها من وجوه التّمييز غير متوقّع تماما. تُكتسَب هذه المعلومات بأيسر ما يكون إن صيغت في شكل وصف غفل لأعمال أعضاء التّصويت. هذا الوصف الغفل هو ما نعنيه بمصطلح الصّوتيّات العمَليّة[960]. فبعد أن يكون الملاحظ قد اكتشف أيَّ السّمات الأكوستيّة الخام وظيفيّ في لغة ما، يمكن أن يمثَّل لوصفه للسّمات الوظيفيّة باعتماد تسجيل آليّ.

6. 2. لا نملك أعضاء مخصوصة بالكلام؛ والأصوات الكلاميّة حادثة بالأعضاء المستعملة في التّنفّس وفي الأكل. وأغلب الأصوات حادث باعتراض النّفس الصّاعد من الرّئتين. ويستثنى من ذلك أصوات المصّ[961] أو المطق[962]. فنُصدِر أحيانا مطقة، علامةً غير لغويّة على شفقة فجائيّة (وكذلك صوتا لحثّ الخيول)– هي ما يمثّله الرّوائيّ بكلمة (*tut, tut!*)– بجعل اللّسان ملاصقا لحافّة الحنك مباشرة خلف الأسنان العليا. وتُستَعمَل المَطَقات المتنوّعة في بعض اللّغات الإفريقيّة أصواتا كلاميّة حادثة في مختلف الأجزاء من الفم.

6. 3. أوّل حاجز يمكن أن يعترض النّفس الصّاعد، يكون في الحنجرة[963]. والحنجرة تجويف غضروفيّ في أعلى قصبة الرّئة، يُرى من الخارج في شكل تفّاحة آدم. وداخل الحنجرة، إلى اليمين وإلى

960 practical phonetics
961 succion-sound(s)
962 click(s)
963 larynx

اليسار، نتوءان عضليّان يشبهان الألواح هما الحبال الصّوتيّة964. والفرجة الّتي بينهما ومن خلالها يمرّ النّفَس، تسمّى المزمار965. وإلى الجدار الخلفيّ من الحنجرة، تُشدّ الحبال الصّوتيّة إلى مفصلين غضروفيّين متحرّكين، هما الغضروفان الطّرجهاريّان966. وبفضل توافقات967 عضليّة دقيقة، يمكن لكلّ من الحبال الصّوتيّة والغضروفين الطّرجهاريّين أن تتّخذ هيآت متعدّدة. وأقصى الهيآت هي هيأة الانفتاح المطلق في حال التّنفّس العاديّ وأقصى الهيآت من الانغلاق الشّديد تلك الّتي تحدث عندما يحبس المرء نفَسه وفمُه مفتوح تماما. وتستفيد اللّغات المختلفة من الهيآت الوسيطة المتعدّدة الّتي تكون للمزمار. وواحدة من هذه الهيآت، هي الهيأة الّتي تكون لإحداث الجهر968. وفي الجهر، تنقبض الحبال الصّوتيّة شديدا الواحدُ منها إلى الآخر بوجه لا يمرّ له النّفَس من خلالهما إلاّ من حين إلى آخر. ويحدِث النّفس، بمروره من خلالهما، نزيزا969 فيهما؛ وتتراوح الذّبذبة في ذلك ما بين ثمانين ومائة ذبذبة في الثّانية. وعندما يرسَل هذا النّزيز في الهواء الخارجيّ، يطرق آذاننا مثل الصّوت الموسيقيّ، ذاك ما نسميّه الجهر970. وليس للجهر دور في جميع الأصوات الكلاميّة: فنحن نميّز بين الأصوات الكلاميّة المجهورة971 وغير المجهورة972 (أو المهموسة973). فإذا ما جعل المرء أصبعا على تفّاحة آدم، أو أحسنُ من ذلك، إذا ضغط براحة يديه ضغطا شديدا على أذنيه، ثمّ تلفّظ بصوت مجهور، من قبيل (v) أو (z)، يكون الشّعور بالجهر في شكل ارتعاش أو نزيز، في حين تفتقر الأصوات غير المجهورة، من قبيل (f) أو (s)، لذلك الأزيز. ويبدو أنّ قلّة من الأصوات في كلّ لغة على الأقلّ، تفتقر إلى الجهر خصيصةً من خصائصها الثّابتة. ويكون المزمار، خلال إنتاج أغلب الأصوات غير المجهورة، منفتحا إلى أقصاه انفتاحَه في التّنفّس العاديّ.

وتمكّننا توافقات مختلفة من تغيير ارتفاع974 الصّوت اللّغويّ ونغمته975 وكذلك من تغيير رنينه976. وهذه التّنويعات الأخيرة، من قبيل "الطّبقة الرّأسيّة977" و"الطّبقة الصّدريّة978" و"الصّوت المكتوم979" و"الصّوت المعدنيّ// النّحاسيّ"980 وما شابه، لم تحلَّل من زاوية فيزيولوجيّة.

964 vocal chord(s)
965 glottis
966 arytenoids (aryténoïde(s))
967 adjustment(s)
968 voicing (voisement)
969 vibration
970 voice
971 voiced
972 unvoiced
973 breathed
974 loudness
975 pitch
976 resonance
977 head register
978 chest register
979 muffled sound (son sourd)
980 metallic sound (son métallique)

ومن الهيآت الوسيطة بين التّنفّس العاديّ وهيأة الجهر، الكثير ممّا يستحقّ الذّكر. فإذا كانت الحبال الصّوتيّة منفصلتين انفصالا لا يكون له الجهر صافيا، ولكن يصحبه صوت احتكاك للنّفس في مروره من المزمار، نحصل على حفيف981. تنطَق الحركات غير المنبورة، في الإنجليزيّة، في الغالب بحفيف عوضا عن الجهر. ويجري الحفيف، من حيث هو صوتم، في البوهيميّة حيث يمكن كتابتها صوتيّا برمز [h] المستعمَل في المنظومة الإملائيّة التّقليديّة في هذه اللّغة. وإذا ظلّ المزمار منفتحا إلى أقصاه، يتوقّف الجهر ولا يبقى إلاّ حسّ احتكاك982؛ وحسّ الاحتكاك هذا، هو ما يتّصف به صوتم [h] عندنا، كما في (*hand*) [hɛnd] [يَد]. وتتمثّل هيأة وسيطة أخرى في الوشوشة983، حيث يكون غضروف المزمار– أي الفرجة ما بين الغضروفين الطّرجهاريّين– فقط منفتحا، ولكنّ الحبال الصّوتيّة متّماسّة. وفي ما نسمّيه عادة "وشوشة"، تعوِّض الوشوشةُ الجهرَ وتحدُث الأصوات غير المجهورة كما في الكلام العاديّ.

وتُحوَّر الموجات الصّوتيّة الحادثة بنزيز الحبال الصّوتيّة في الجهر، بشكل المجرى الّذي تمرّ من خلاله إلى الهواء الخارجيّ وبمطاطيّته. فلو قارنّا الحبال الصّوتيّة بأوتار آلة من آلات النّفخ، أمكننا أن نعتبر الفمَ، أو بدل ذلك التّجويفَ بأكمله انطلاقا من الحبال الصّوتيّة حتّى الشّفتين، بما في ذلك التّجويفُ الأنفيّ في بعض الأحوال، فراغا رنّانا984. فبجعل الفم على هيآت متنوّعة، وبقطع المخرج إمّا من خلال الفم أو من خلال الأنف، وبشدّ العضلات في هذه المنطقة أو بإرخائها، إنّما ننوّع تشكّلَ الموجات الصّوتيّة المنبعثة إلى الخارج.

وخلافا للصّوت الموسيقيّ، يمكن أن تنتُج الأصوات اللّغويّة الّتي تتمثّل في توليفات غير منتظمة للأمواج الصّوتيّة، بواسطة المزمار واللّسان والشّفتين. وبعض الأصوات المجهورة، من قبيل [a, m, l]، موسيقيّة صرف، أي خالية من الضّجيج خلوّا نسبيّا، في حين تتكوّن أخرى، من قبيل [v, z]، من ضجيج ينضاف إليه صوت التّجهير985 الموسيقيّ. والأصوات غير المجهورة ليست إلاّ ضجيجا، من أمثلتها [p, f, s].

6. 4. عندما يخرج النّفَس من الحلق يمرّ عبر الأنف في التّنفّس العاديّ. لكنّنا خلال أغلب الكلام نقطع هذا الممرّ برفع الغشاء986. والغشاء هو الجزء الخلفيّ اللّيّن المتحرّك من الحنك987، ينتهي عند مؤخّره باللّهاة988، هي تلك الفلقة989 الصّغيرة الّتي يمكن أن تُرى متدلّية عند الوسط من

981 murmur (murmure)
982 friction-sound
983 whisper
984 resonance-chamber (chambre de résonance)
985 voicing
986 velum (voile)
987 palate (palais)
988 uvula (luette)
989 lobe

الفم. فإذا وقف المرء أمام مرآة وهو يتنفّس بهدوء من خلال الأنف والفم ثمّ ينطق بصوت [a] نطقا واضحا، يمكنه أن يرى ارتفاع الغشاء، وخاصّة إذا كان يراقب اللّهاة. وعندما يرتفع الغشاء ينطبق طرفُه على الجدار الخلفيّ من مجرى النّفس990 قاطعا خروج النّفَس من الأنف. وأغلب الأصوات في الكلام فمويّ991 صرف؛ يرتفع الغشاء ارتفاعا تامّا فلا يتسرّب أيّ نفَس من الأنف. وإذا لم يكن الغشاء مرتفعا ارتفاعا كلّيّا، يتسرّب بعض النّفس من الأنف فيكون لبعض الأصوات الكلاميّة رنين مخصوص، يُسمّى هذا القبيل من الأصوات أصواتا خيشوميّة992. والفرق في الإنجليزيّة بين الأصوات الفمويّة الصّرف والأنفيّة ليس تمييزيّا. فنحن نؤنّف في الغالب الحركات عندنا، قبل الأصوات [m, n, ŋ] أو بعدها، ونؤنّف أكثر من المعتاد عندما نكون متعبين أو مسترخين. لكنّ الأصوات الأنفيّة في بعض اللّغات، وهي حركات في الأغلب الشّائع، صواتم برأسها متميّزة من الأصوات المماثلة لها من غير الأنفيّة. وتجري الرّموز المعتادة للأنفيّة في شكل معقوفة993 صغيرة توضع تحت حرف (وهذا جار في الإملاء التّقليديّ للبولونيّة)، أو في شكل تِلدة994// مويجة توضع فوق حرف (الإملاء البرتغاليّ وجمعيّة الصّوتيّات العالميّة)، أو في شكل عارضي995 [^{n}] بعد حرف (وهو معتمَد في هذا الكتاب لأنّه أيسر في الطّباعة). وللفرنسيّة أربع حركات أنفيّة تجري صواتم، تتميّز ممّا يناظرها من الحركات الفمويّة الصّرف: (*bas*) [bɑ] بمعنى [(*stocking*) تخزين]، ولكن (*banc*) [ba^{n}] بمعنى [(bench) مقعد].

وإذا لم يكن الغشاء مرتفعا، وكان مجرى النّفس من الفم مقطوعا بوجه من الوجوه، يتسرّب، عندئذ، كاملُ النّفَس من خلال الأنف. فتكون الصّواتم، كما في هذه الأحوال، أنفيّة996. ولنا في الإنجليزيّة ثلاثة صواتم أنفيّة: [m] الّتي تكون فيها الشّفتان منغلقتين؛ و[n] الّتي يكون فيها اللّسان ملاصقا للّثة؛ و[ŋ] كما في (*sing*) [siŋ] [غنّى]، الّتي يكون فيها مؤخّر اللّسان ملاصقا للحنك. فهذه أصوات موسيقيّة صرف، تتّصف بألوان من الرّنين تعطيها تشكّلاتُ التّجويف997 الفمويّ – الأنفيّ المختلفةُ للوقع الموسيقيّ للصّوت.

ولكن لبعض اللّغات أصوات أنفيّة غير مجهورة تجري صواتم فيها. وليست هذه الصّواتم قابلة للسّمع998 بفضل ضجيج الاحتكاك999 الخفيف جدّا الّذي يحدثه تيّار النّفَس1000، بقدر ما هي كذلك

990 breath-passage
991 oral (oral)
992 nasalized (nasalisé)
993 hook
994 tilde (tilde)
995 exponent (exposant)
996 nasal (nasal)
997 cavity
998 audible
999 friction-noise
1000 breath-stream

بفضل التّباين مع الأصوات السّابقة أو اللاّحقة وبتدخّل أصوات اللّين1001 غير التّمييزيّة الّتي تحدث عندما تغيِّر أعضاء النّطق هيآتها.

ومن الاختبارات الجيّدة في تبيّن الأنفيّة أن يجعل المرء بطاقة ورقيّة أفقيّا يلامس واحد من طرفيها الشّفة العليا وطرفُها المقابل يلامس قطعة من زجاج باردة. فإذا أحدث المرء صوتا فمويّا صرفا، من قبيل [a]، تكون قطعة الزّجاج نديّة من تحت البطاقة فقط، وإن أحدث صوتا أنفيّا، من قبيل [a^n]، يظهر النّدى فوق البطاقة وتحتها في آن، وإن أحدث صوتا أنفيّا صرفا، من قبيل [m]، يظهر النّدى على الزّجاج من فوق البطاقة فقط.

6. 5. نغيّر شكل التّجويف الفمويّ1002 بجعل الفكّ السّفليّ واللسّان والشّفتين في هيآت متنوّعة ونؤثّر في الرّنين كذلك بشدّ العضلات أو بإرخائها في الحلق وفي الفم. تنتج كلّ لغة بهذ الأدوات عددا من الأصوات الموسيقيّة، صواتمَ فيها، من قبيل [a] عندنا في (*palm*) [pam] (راحة اليد)، و[i] عندنا في (*pin*) [pin] (دبوس)، و[u] عندنا في (*put*) [put] (وضَع)، و[r] عندنا في (*rubber*) ['robɾ] (مطّاط)، وما إلى ذلك. ويلامس اللّسان في بعض هذه الصّواتم سقف الفم ملامسة فعليّة، ولكنّه يترك بعض الفراغ عند واحد من جانبيه أو كليهما يتسرّب منه النّفَس دون أن يحدث ضجيج احتكاك مهمّ؛ فتكون الأصوات من هذ االقبيل جانبيّة،1003من نوع [l] عندنا، كما في (*little*) ['litl̩] [صغير]. وفي حال الأصوات الجانبيّة غير المجهورة الّتي تحدث في الفاليّة1004 وفي لغات أمريكيّة كثيرة، يكون ضجيج الاحتكاك بمجرى النّفس أكثر سماعا منه جاريا في الأصوات الأنفيّة غير المجهورة.

نحدث أنواعا من الضّجيج في الفم بحركات اللّسان والشّفتين. فإذا ما جعلنا هذه الأعضاء (أو المزمار) في هيأة يكون لها الممرّ ضيّقا، ينتج النّفس الخارج ضجيج احتكاك: والصّواتم المتّسمة بهذا الضّجيج هي الانسيابيّة1005 (الاحتكاكيّة1006). ويمكن أن تكون هذه الأصوات غير مجهورة، كما تكون [f] و[s] عندنا، أو مجهورة مثل [v] و[z] عندنا. وبما أنّ قدر الاحتكاك يمكن أن يتنوّع إلى أيّ درجة من التّنوّع، لا توجد حدّ حقيقيّ بين الأصوات الاحتكاكيّة والأصوات الموسيقيّة من قبيل [i] أو [l]؛ وتحدث الأنواع المجهورة منها خاصّة في اللّغات المختلفة بدرجات من الانغلاق1007 كثيرة.

وإذا جعلنا اللّسان أو الشّفتين (أو المزمار) في هيأة لا يكون فيها خروج لشيء، وتسمح للنّفَس بأن يتراكم خلف موضع الغلق، ثمّ يكون فتح الانغلاق فتحا فجائيّا، يندفع النّفس خارجا بقرقعة طفيفة أو

1001 glide-sound(s)
1002 oral cavity
1003 lateral(s) (latérale(s))
1004 Welsh
1005 spirant(s) (spirante(s))
1006 fricative(s)
1007 closure

انفجار؛ وتكون الأصوات الحادثة بهذه الطّريقة انحباسيّة1008 (غلقيّة1009، انفجاريّة1010)، مثل الأصوات [p, t, k] غير المجهورة عندنا و[b, d, g] المجهورة عندنا. فالسّمة المميّزة للصّوت الانحباسيّ هي الانفجار عادة، ولكنّ عمل الغلق1011 (الحبس1012) أو حتّى فترة الزّمن الوجيزة الّتي يستغرقها الغلق، كاف لتمييز الصّوتم. وعلى هذا، نمتنع في بعض الأحيان، في الإنجليزيّة، عن إحداث الانفجار في الأصوات [p, t, k] الواردة في الموضع النّهائيّ. وتكون هذه الأنواع مسموعة بمباينة ما يسبقها أو يعقبها (بحبس الصّوت حبسا مفاجئا أو بفترة صمت)، أو بدل ذلك عبرَ الأصوات الانتقاليّة1013 خلال حركة اللّسان أو الشّفتين؛ كما يمكن أن يسمع المرء خلال غلق صوت انحباسيّ مجهور حسَّ الجهر المكتوم.

وإذ كانت الشّفتان واللّسان واللّهاة ليّنة1014 أمكنها أن تكون في هيأة يُحدِث فيها مرور النّفس نزيزا بالتّناوب1015 بين فترات تماسّ وانفتاح. يجري التّكرير1016 من هذا القبيل في لغات كثيرة، ومثال ذلك "الرّاء المكرّرة"1017 في الإنجليزيّة البريطانيّة كما في (*red*) [أحمر]، أو (*horrid*) [فظيع].

ننظر في أنواع الصّواتم الرّئيسيّة وفق التّرتيب التّالي:

الأصوات ذات الضّجيج1018:

الانحباسيّة،

التّكريريّة،

الانسيابيّة؛

الأصوات الموسيقيّة1019:

الأنفيّة،

الجانبيّة،

الحركات.

1008 stop(s) (occlusive(s))
1009 plosive(s)
1010 explosive(s)
1011 closure
1012 implosion
1013 transitional sound(s) (transitoire(s))
1014 elastic
1015 alternation
1016 trill (s) (roulement, vibration), trilled (roulé, vibrant)
1017 rolled r
1018 noise-sound(s)
1019 musical sound(s)

6. 6. تجري الأصوات الانحباسيّة صواتمَ في كلّ لغة تقريبا. وتميّز الإنجليزيّة بين ثلاثة أنواع من حيث المواضع1020: الشّفويّة1021 (وبدقّة أكثر، الشّفويّة الثّنائيّة1022) حيث تحدِث الشّفتان الغلق [p, b]؛ والأسنانيّة1023 (وبتدقيق أكثر، السّنخيّة1024 أو، أحسن من ذلك، اللّثويّة1025) حيث تحدِث أسلة اللّسان الغلق مع حافّة الحنك مباشرة خلف اللّثة العليا [t, d]؛ والغشائيّة1026 (وقد سُمّيَت في الكتابات القديمة، خطأ، بالحلقيّة1027) حيث يلاصق ظهر اللّسان الغشاء [k, g].

ويحدُث النّوعان الأخيران في أصناف كثيرة بفضل مرونة اللّسان. فالملامسة يمكن أن تكون بطرف1028 اللّسان (النّطق الذّولقيّ1029) أو بمساحة أوسع، شفرة1030 اللّسان حول الطّرف منه (النّطق النّطعيّ1031)؛ ويمكن أن تكون لأطراف لأسنان العليا (الموضع1032 البين أسنانيّ1033)، أو للموضع خلف الأسنان العليا (الموضع الخلف أسنانيّ1034)، أو لحافّة الحنك مباشرة خلف اللّثة العليا (الموضع اللّثويّ)، أو لنقاط أعلى من تلك في الحنك (الموضع الدّماغيّ1035، أو النّطعيّ1036 أو أحسن من ذلك المقلوب1037 أو القبّيّ// السّقفيّ1038). فيحدث، حينئذ، النّطق الذّولقيّ في الموضع القبّيّ (حيث يكون طرف اللّسان ملامسا لأعلى نقطة تقريبا في سقف الفم) بديلا1039 غير تمييزيّ1040 جنبا إلى جنب مع الصّوتين اللّثويّين [t, d] في الإنجليزيّة الأمريكيّة. وفي الفرنسيّة، لا تنطَق أقرب الأصوات من [t, d] عندنا، نطقا لثويّا بل نطقا خلفَ أسنانيّ (بأن يلامس طرف اللّسان أو شفرته ما خلف الأسنان). ويجري في السّنسكريتيّة وفي الكثير من اللّغات الحديثة في الهند، الصّوتان الخلف أسنانيّان [t, d] والصّوتان القُبّيان (اللّذان يكتبان عادة بحرف ذي نقطة من أسفل أو بالخطّ المائل، أو كما هو في هذا الكتاب، بحرف تاجيّ صغير [T, D]) صواتم متمايزة.

1020 position(s)
1021 labial
1022 bilabial (bilabial)
1023 dental
1024 alveolar
1025 gingival
1026 velar
1027 guttural
1028 tip
1029 apical
1030 blade
1031 coronal
1032 position
1033 interdental
1034 postdental
1035 cerebral
1036 cacuminal
1037 inverted
1038 domal
1039 variant (variante)
1040 non-distinctive

وبالوجه نفسه، يمكن أن تُرفَع أجزاء من مؤخّر اللّسان (النّطق الظّهري1041) بوجه يلامس له أجزاءً مختلفة من الحنك؛ ويكون التّمييز عادة بين الموضع الأماميّ1042 أو الحنكيّ، والموضع الخلفيّ1043 أو الغشائيّ، ثمّ أبعد من ذلك إلى الخلف، الموضع اللّهويّ1044. ففي الإنجليزيّة، يكون موضع الغلق في النّطق بالصّوتين الغشائيّين [k, g] أبعدَ إلى الأمام عندما يَجريان قبل بعض الأصوات، كما في (*kin*) [عشيرة]، و(*give*) [أعطى]، وأبعدَ إلى الخلف عندما يجرِيان قبل أصوات أخرى، كما في (cook) [طبخ]، و(*good*) [حسَن] – يؤخذ كلا النّوعين مبانِيا، لنقل، لكلمتي (*calm*) [هدأ] و(*guard*) [حرَس]– ولكنّ هذه البدائل ليست تمييزيّة. ويوجد في بعض اللّغات من قبيل الهنغاريّة، صوتمان متمايزان واحد من النّوع الحنكيّ والآخر من النّوع الغشائيّ، نميّز بينهما في الكتابة الصّوتيّة بأدوات من قبيل [c] للحنكيّ و[k] للغشائيّ الانحباسيّ غير المجهور. ويمثّل في العربيّة صوت انحباسيّ غشائيّ غير مجهور [k]، وصوت انحباسيّ لهويّ غير مجهور [q]، صوتمين متمايزين.

ويحدث صوت انحباسيّ مزماريّ1045 أو حنجريّ1046 بضمّ الحبال الصّوتيّة ضمّا شديدا ثمّ بانفراجهما دفعة واحدة بفعل الضّغط من النّفس. وفي بعض الأحيان، نُحدِث هذا الصّوتَ قبل حركة بدئيّة منبورة عندما نتحدّث بتوتّر، وذاك هو الاستعمال العاديّ في الألمانيّة؛ ويجري الصّوت الانحباسيّ المزماريّ، من حيث هو صوتم، في لغات كثيرة، كما في الدّانماركيّة، مثلا، حيث يوجد فرق تمييزيّ، مثلا، بين (*hun*) [hun] [هي]، و(*hund*) [hun?] [كلْب].

وأمّا في ما يهمّ تكوّن الغلق، بالإضافة إلى الفرق بين غير المجهور والمجهور، فيمكن لكمّيّة الضّغط في النّفس وشدّة العمل في الشّفتين أو في اللّسان أن تتدرّج أنواعا من التّدريج: الضّغط والعمل خفيفان في الأصوات الرّخوة1047، قويّان في الأصوات الشّديدة1048، ويكون انفتاح الغلق بطيئا نسبيّا بوجه يضعف له الانفجار في الأصوات ما بين الرّخوة والشّديدة1049. ويمكن أن تكون الانحباسيّة غير المجهورة متبوعةً بدفعة من النّفس غير المجهور (هتّة1050) أو مسبوقة بها (هتّة ما قبليّة1051)؛ ويمكن أن تكون الانحباسيّة المجهورة كذلك مسبوقة أو متبوعة بنَفس غير مجهور أو بحفيف. ويمكن أن يكون الغلق في موضعين على التّزامن، كما في الأصوات الانحباسيّة [gb] من بعض اللّغات الإفريقيّة؛ وللكثير من اللّغات أصوات انحباسيّة فمويّة مهمّزة1052 مصحوبة بصوت انحباسيّ

1041 dorsal articulation
1042 anterior
1043 posterior
1044 uvular
1045 glottal
1046 laryngal
1047 lene(s) (faible(s))
1048 forte(s)
1049 solution-lenes
1050 aspiration
1051 pre-aspiration
1052 glottalized

مزماريّ يحدث مزامنا لها أوقُبَيلها أو بُعَيدَ الانفتاح1053 في الثّالوث [p, t, k]. وتكون الانحباسيّة غير المجهورة الإنجليزيّةُ شديدة مهتوتة1054 ولكن تجري أنواع أخرى منها بدائل1055 غير تمييزيّة، وخاصّة الأصوات الرّخوة1056 غير المهتوتة1057 بعد [s]، كما في (*spin*) [نسَج]، و(*stone*)[حجر]، و(*skin*)[جِلد]. والأصوات الانحباسيّة المجهورة عندنا رخوة في بداية كلمة أو في نهايتها، ولا تُجهَّر خلال مداها1058 بأكمله. والأصوات الانحباسيّة غير المجهورة [p, t, k]، في الفرنسيّة، شديدة، ويمكن أن تكون مصحوبة بهمزة مزامنة لها تجري بديلا غير تمييزيّ، ولكنّ تلك الأصوات لا تُهتُّ مهتوتة أبدا؛ والأصوات المجهورة [b, d, g] رخوة، تكون ذات جهر أشدّ منها جارية في الإنجليزيّة. وفي الصّينيّة الشّماليّة، يمثّل الصّوتان الانحباسيّان المهتوت وغير المهتوت صوتمين مختلفين، مثل [pha] مقابل [pa]، ولا تجري االأصوات لانحباسيّة المجهورة إلاّ بدائل من الأوّل غيرَ تمييزيّة. وتميّز الكثير من اللّهجات الألمانيّة الجنوبيّة في الأصوات غير المهتوتة وغير المجهورة بين الشّديدة والرّخوة الّتي يمكننا أن نكتبها صوتيّا بـ[p, t, k] و[b, d, g]؛ والبدائل المجهورة ليست تمييزيّة. وللسّنسكريتيّة أربعة من هذا القبيل الأصوات الانحباسيّة: غير مجهورين [p] غير مهتوت و[ph] مهتوت؛ ومجهوران [b] غير مهتوت و[bh] مهتوت.

6. 7. التّكرير الأوسع انتشارا هو التّكرير الذّولقيّ1059 أو التّكرير بطرف اللّسان1060 يتردّد فيه اللّسان في عدد قليل من الضّربات السّريعة على اللّثة؛ تلك هي الرّاء التّكريريّة في الإنجليزيّة البريطانيّة والإيطاليّة والرّوسيّة وفي لغات أخرى كثيرة. وتميّز البوهيميّة بين صوتمين من هذا النّوع، واحد منهما مصحوب بصوت احتكاك قويّ. والتّكرير اللّهويّ الّذي تنزّ فيه اللّهاة بالطّرق على ظهر اللّسان المرفوع، يجري في الدّنماركيّة وفي النّطق الشّائع في الفرنسيّة والألمانيّة والهولنديّة وفي أنواع من الإنجليزيّة (برّرر الأومبريّة الشّماليّة1061)؛ ويمثّل التّكرير اللّهويّ والذّولقيّ في هذه اللّغات وفي النّورويجيّة والسّويديّة أيضا، بدائل جغرافيّة لنفس الصّوتم. والرّمز الصّوتيّ للصّوت التّكريريّ هو [r]؛ وإذا كان في لغة ما أكثر من صوتم تكريريّ واحد، يكون [R] حرفا يسيرا في المتناول.

وإذا ما كان يُسمَح لطرف اللّسان أن ينجز نَوْسة1062 وحيدة فقط بلمسة سريعة للّثة أو للحنك، تكون لنا ضربة// برمة1063 لسان. تحدث، في النّطق الإنجليزيّ الجاري في الوسَط الغربيّ الأمريكيّ،

1053 opening
1054 aspirated
1055 variants
1056 lenis
1057unaspirated
1058 duration
1059 apical trill
1060 tongue-tip trill
1061 Northumbrian burr
1062 swing
1063 tongue-flip

برمةُ لسانٍ لثويّةٌ مجهورة بديلا غير تمييزيّ لصوتم [t] في أشكال من قبيل (water) [ماء]، و(butter) [زبدة]، و(at all) [بتاتا]؛ وتحدث أنواع مختلفة من برمة اللّسان في اللّهجات النّورويجيّة والسّويديّة.

6. 8. تختلف المواضع الّتي تنشأ فيها الأصوات الانسيابيّة في الإنجليزيّة عن مواضع الأصوات الانحباسيّة. ففي الزّوج الشّفويّ الأسنانيّ [f, v]، يضطرّ النّفَس إلى المرور بين الثّنايا العليا والشّفة السّفلى. وفي الزّوج الأسنانيّ [θ,ð]، كما في (*thin*) [θin] [نحيف]، و(*then*) [ðen] [ثمّ، إذن]، يلامس مقدّم اللّسان الثّنايا العليا. والزّوج الانسيابيّ [s, z] عندنا، مهسهس1064 أو صفيريّ:1065 أي أنّ اللّسان ينقبض بوجه ينتفخ به جانباه فلا يترك إلاّ ممرّا ضيّقا في وسطه يضطرّ النّفَس إلى التّسرّب من خلاله بقوّة مصطدما باللّثة والثّنايا العليا محدثا هسّة1066 رنّانة1067 أو ضجّة1068.

فإن حوّلنا اللّسان قليلا عن هذه الهيأة– ونحن في الإنجليزيّة نجذبه إلى الخلف قليلا – يكون اصطدام النّفَس بالأسنان واللّثة أقلّ حدّة، ويبدو كأنّه يدور في شكل دوّامة قبل أن يجد مخرجا: يمثّل في الإنجليزيّة هذان الصّوتان المشأشآن أو الصّفيريّان غير العاديّين صوتمين متمايزين [š, ž]، كما في (*shin*) [šin] [قصبة السّاق]، و(*vision*) [viždn][1] [رؤية، بصر]. ولنا في كلّ واحد من ذينك الموضعين زوج، مجهور وغير مجهور. وتحدث أنواع أخرى عديدة، من قبيل الأصوات الشّفويّة الانسيابيّة، يكون فيها التّضييق1069 ما بين الشّفتين (واحد غير مجهور في اليابانيّة، ومجهور في الإسبانيّة). وفي الفرنسيّة تنشأ الهسهسة بعد الأسنان1070؛ فيخيّل إلى سمعنا كأنّ الفرنسيّ يتكلّم بلثغة1071 طفيفة. وفي الألمانيّة الّتي لا تملك [ž]، تُمَطّ الشّفتان لإحداث [š]، بوجه يضاعف من الشّأشأة في الصّوت. وفي السّويديّة، [š] ذو انفتاح1072 كبير جدّا، يبدو غريبا للآذان الإنجليزيّة.

وليس في الإنجليزيّة أصوات ظَهريّة انسيابيّة، ولكنّها موجودة في لغات كثيرة، في مواضع نطقيّة ذات تنوّع كبير، بما في ذلك الأنواع الجانبيّة1073. وللألمانيّة صوت حنكيّ انسيابيّ غير مجهور، يرتفع فيه وسطُ اللّسان إلى أعلى موضع من الحنك؛ وتستعمِل صوتا غشائيّا، يجري بديلا منه غيرَ تمييزيّ، هو صوت انسيابيّ غير مجهور يكون في موضع [k, g, ŋ] عندنا. وتستعمل الكتابة المعهودة في الألمانيّة رمزين، أوّلهما [ç] للنّوع الحنكيّ كما في (ich) [iç] [أنا]، وثانيهما [x] للنّوع الغشائيّ كما في (*ach*) [ax] [أوه]، ولكنّ الحاجة لا تكون إلاّ إلى واحد فقط بما أنّ النّوعين البديلين يرتبطان بالصّوتم السّابق عليهما.

1064 hiss(es) (sifflement)
1065 sibilant(s) (sifflant(e)(s))
1066 hiss
1067 sonorant(s) (sonante(s))
1068 buzz
1069 narrowing
1070 postdentally (post dental)
1071 lisp
1072 opening (aperture)
1073 lateral

وتجري أصوات صفيريّة مجهورة [ɣ]، في بعض الأنواع من النّطق الألماني بدائل من [g] الانحباسيّ؛ وتجري في الهولنديّة وفي اليونانيّة الحديثة صوتمين متمايزين. ويجري الصّوتان اللّهويّان الانسيابيّان في الدّانماركيّة بديلين للصّوت اللّهويّ التّكريريّ، وفي لغات أخرى صوتمين متمايزين.

ولنا في الإنجليزيّة صوت انسيابيّ مزماريّ غير مجهور، هو [h] كما في (*hit*) [hit] [ضرَب]، و(*when*) [hwen] [متى]، و(*hew*) [hjuw] [نقش، حطَبَ]، يحدث فيه الاحتكاك بمرور النّفَس من خلال المزمار المنفتح انفتاحا طفيفا؛ وللبوهيميّة صوت مماثل يكون فيه الاحتكاك مصحوبا بنزيز جهريّ (حفيف). ويجري في العربيّة زوج مزماريّ انسيابيّ، واحد غير مجهور ("hoarse h") [ﻫ]، وواحد مجهور (*ayn*) [ع]، ويقال إنّ سمته التّمييزيّة تكمن في تضييق عضلات الحنجرة.

وأمّا من حيث نمط النّطق[1074]، فربّما أظهرت الأصوات الانسيابيّة تنوّعا أقلّ من الانحباسيّة. فمن اللّغات الّتي تميّز بين نوعين من نمط النّطق، الفرنسيّة الّتي تجهّر الثّالوث [v, z, ž] فيها تجهيرا أكمَل يفوق تجهيرها في الإنجليزيّة. وبعض اللّغات همّزت الأصوات الانسيابيّة (تنطق مسبوقة أو مصحوبة أو متبوعة بهمزة).

6. 9. تشبه مواضع الأصوات الأنفيّة مواضع الأصوات الانحباسيّة شبها كبيرا؛ ففي الإنجليزيّة ينطق الثّالوث [m, n, ŋ] في المواضع الثّلاثة أنفسها الّتي تنطق فيها الأصوات الانحباسيّة. وبناء على المبدإ نفسه، تنطق الفرنسيّة صوت [n] فيها، في الموضع ما بعد الأسنانيّ، مثل [t, d] فيها. ومن جهة أخرى، لا تملك الفرنسيّة صوتا غشائيّا أنفيّا، ولكن لها صوت حنكيّ أنفيّ يكون فيه الغلق بارتفاع وسط اللّسان إلى أعلى جزء من الحنك، كما في (*signe*) [siñ] [علامة]. وتميّز السّنسكريتيّة واللّغات الهنديّة الحديثة بين [n] أسنانيّة و[N] قبّيّة// سقفيّة، تمييزها في الأصوات الانحباسيّة.

6. 10. في الإنجليزيّة، يكون الصّوت الجانبيّ [l] ذولقيّا في الموضع اللّثويّ المعارزيّ؛ وفي نهاية الكلمات نستعمل بديلا غير تمييزيّ يستفِل فيه وسط اللّسان إلى أقصى الدّرجات؛ قابلوا بين (*less*) [أقلّ، دون]، و(*well*) [حسَن]. ويُنطق [l]، في الألمانيّة والفرنسيّة، بسطح اللّسان 1075 أرفعَ من ذلك؛ فيكون الانطباع الأكوستيّ مختلفا كثيرا؛ وإضافة إلى ذلك تكون الملاصقة في الفرنسيّة بعد أسنانيّة. وللأيطاليّة صوت حنكيّ جانبيّ، متميّز من الأسنانيّ، يلامس فيه مؤخّر اللّسان[1076] أعلى نقطة في الحنك لكنّه يترك ممرّا حرّا للنّفَس من الجانبين أحدهما أو كليهما: (*figlio*) [fiʎo] [ابن]. ولبعض اللّغات الأمريكيّة مجموعات بأكملها من الأصوات الجانبيّة، بفوارق في الموضع[1077] وفي التّهميز[1078]

1074 manner (manière)
1075 surface of tongue
1076 back of the tongue
1077 position
1078 glottalization

والتّأنيف1079. وتكتسي الأصوات الجانبيّة غير المجهورة، طابعا انسيابيّا، خاصّة إذا كانت الملامسة شديدة جدّا، وتُدمج الأصوات الجانبيّة المجهورة في الحركات، خاصّة إذا كانت نقطة الملامسة دقيقة؛ فيطرق، تبعا لذلك، واحد من الصّوتمين الجانبيّين في البولونيّة أسماعنا كما لوكان [w] تماما. ومن جهة أخرى، تكون الحركة [r] في الإنجليزيّة الأمريكيّة في الوسَط الغربيّ، كما في (*red*) [red] [أحمر]، وفي (*fur*) [fɹ] [فرو(ة)]، وفي (*far*) [far] [بعيد]، شديدة القرابة بصوت جانبيّ: يرتفع ذولق اللّسان إلى الموضع (المقلوب) القُبّيّ، ولكنّه لا يلامس شيئا. ونستعمل في الكتابة الصّوتيّة الرّمز [r] نفسه الّذي نستعمله للصّوت التّكريريّ من سائر اللّغات. وهذا أمر مناسب، إذ يمثّل هذا الصّوت في نطقنا والصّوتُ التّكريريّ في الإنجليزيّة البريطانيّة في (*red*)، بديلين جغرافيّين من الصّوتم نفسه.

6. 11. الحركات تحويرات للصّوت المجهور1080 لا تتضمّن غلقا ولا احتكاكا ولا ملاصقة من اللّسان أو من الشّفتين. وهي مجهورة عادة، غير أنّ بعض اللّغات تميّز بين نوعيّات من الجهر، من قبيل الحركات المكتومة والحركات الحفيفيّة الّتي تكون بنزيز بطيء من الحبال الصّوتيّة، أو الحركات الموشوشة الّتي ينوب فيها الاحتكاك في الغضروفين الطّرجهاريّين عن نزيز الحبال الصّوتيّة [2].

وتميّز كلّ لغة، على الأقلّ، بين صواتم حركيّة مختلفة عديدة. ويبدو أنّ الفوارق بين هذه الصّواتم في عمومه فوارق في موضع اللّسان، وأنّها تتمثّل، من زاوية أكوستيّة، في فوارق في توزيع النّغمات التّوافقيّة1081. وحتّى هذه الفوارق محلّ جدل؛ وسوف أذكر، في ما يلحق، مواضع اللّسان وفق الخطاطة المقبولة بصفة عامّة والّتي لها الميزة المتمثّلة في موافَقة العلاقات بين الحركات المعروضة في النّظم الصّوتيّة والنّحويّة في لغات كثيرة. وتتمثّل العوامل الأخرى الّتي تساهم في التّمييز بين صواتم الحركات، في التّوتّر1082 وفي الارتخاء1083 في اللّسان وفي عضلات أخرى، وفي الهيآت المختلفة من الشّفتين، من قبيل التمدّد1084 والانقباض1085.

تميّز الإنجليزيّة الأمريكيّة في الوسط الغربيّ بين تسعة صواتم حركيّة. واحد منها هو [r] وكنّا قد نظرنا فيه، وخاصّة في الموضع المقلوب الّذي يكون للّسان فيه. وتكوّن الصّواتم الثّمانية المتبقّية ما يمكن تسميته بنظام الرّباعيّ المثنّى1086. فأمّا من ناحية الموضع، فهي تَحدُث في شكل أزواج؛ يتكوّن كلّ زوج من حركة أماميّة1087 تحدث بارتفاع وسط اللّسان في اتّجاه أعلى نقطة من الحنك، ومن حركة

1079 nasalization
1080 voice-sound (voix sonore)
1081 overtone(s) (ton harmonique, partiel)
1082 tenseness (tension)
1083 looseness (relâchement)
1084 protrusion (saillie) (protraction)
1085 retraction (rétraction)
1086 two-four system
1087 front (antérieur (e), avant)

خلفيّة1088 تحدث بارتفاع مؤخّر اللّسان في اتّجاه الغشاء. وتختلف الأزواج الأربعة من حيث قرب اللّسان من الحنك؛ فيكون لنا، حينئذ، أربع درجات من الارتفاع1089: عالية1090 وعالية وسيطة1091 ومنخفضة وسيطة 1092 ومنخفضة1093. وبدلَ المصطلحين عال ومنخفض، يستعمل بعض الكتّاب منغلق1094 ومنفتح1095. يعطينا جميع ذلك الخطاطة الموالية:

	أماميّة	خلفيّة
عالية	i	u
عالية وسيطة	e	o
منخفضة وسيطة	ɛ	ɔ
منخفضة	a	ɑ

الأمثلة: (*in*) [في] (*inn*) [نزل] [in]، (*egg*) [eg] [بيض]، (*add*) [ɛd] [زادَ]، (*alms*) [amz] [صدَقَة]، (*put*) [put] [وضَع]، (*up*) [op] [إلى أعلى، إلى فوق]، (*ought*) [ɔt] [ينبغي]، (*odd*) [ɑd] [عجيب]. ويطرأ على هذه الصّواتم كمّ كبير من التنوّع غير التّمييزيّ، يرتبط بعضه بالصّواتم المحيطة بها وستكون لنا به عناية في ما بعد.

وللإنجليزيّة البريطانيّة الجنوبيّة النّظام نفسه، لكنّ توزيع الصّواتم الحركيّة الخلفيّة في الكلمات من قبيل (*up*) و(*odd*) على عكس توزيعهما عندنا: عالية وسيطة في (*odd*) [od]، ومنخفضة في (*up*) [ɑp]. لكن ظهرت مواضعة في كتابة الإنجليزيّة الجنوبيّة صوتيّا، لا بواسطة الرّموز المثبتة هنا وفق مبادئ الألفبائيّة الصّوتيّة العالميّة (أ. ب. ع)، ولكن بواسطة رموز غريبة يراد منها تذكير القارئ، من دون فائدة تذكَر، بالفوارق بين صواتم الحركات الإنجليزيّة والفرنسيّة:

	نطق شيكاغو وفق مبادئ أ. ب. ع	النّطق البريطانيّ وفق مبادئ أ. ب. ع	النّطق البريطانيّ، وفق ما يجري العمل به
inn	in	in	in
egg	eg	eg	ɛg
add	ɛd	ɛd	æd
alms	amz	amz	a:mz
put	put	put	pʊt
odd	ɑd	od	ɔd
ought	ɔt	ɔt	ɔ:t
up	op	ɑp	ʌp

1088 back vowel (postérieur(e), arrière)
1089 raising
1090 high
1091 higher mid
1092 lower mid
1093 low
1094 close
1095 open

ليس للصّوتم الحركيّ التّاسع الّذي يكُتب صوتيّا بعلامة [r] جاريا في إنجليزيّة الوسط الغربيّ الأمريكيّ، كما في (*bird*) [bɻd] [طائر]، نظير مطابق له في الإنجليزيّة البريطانيّة الجنوبيّة ولا في نيو أنجلاند // أنجلترا الجديدة أو في الإنجليزيّة الأمريكيّة الجنوبيّة. وقبل الحركات يكون للإنجليزيّة البريطانيّة صوت تكريريّ بطرف اللّسان يُكتب صوتيّا بعلامة [r]، كما في (*red*) [red] [أحمر]؛ وحيث يكون لإنجليزيّة الوسط الغربيّ الأمريكيّة صوت [r] بعد الحركات، يكون للإنجليزيّة البريطانيّة مجرّد تحوير1096 (هو إطالة1097 في بعض الأحيان) للحركة يشار إليه بنقطتين [:] كما في (part) [pɑ:rt] [جزء]، و(*form*) [fɔ:m] [شكل]؛ وحيث لا يكون [r] في إنجليزيّة الوسط الغربيّ الأمريكيّة مسبوقا بحركة ولا متبوعا بها، تستعمل الإنجليزيّة البريطانيّة حركة بينَ بينَ1098، وسيطة بين الموضعين الأماميّ والخلفيّ، تُكتَب صوتيّا بعلامة [ə:] أو [ə]، كما في (*bird*) [bə:d] [طائر]، أو (*bitter*) ['bitə] [مُرّ، مرارة].

.12 .6

وتفتقر بعض اللّهجات في الإنجليزيّة الأمريكيّة إلى التّمييز بين [a] و[ɑ]. وتطرق الحركة المنخفضة من أولئك المتكلّمين أذني كما لوكانت [a]، في كلّ من (*alms*) و(*odd*)؛ غير أنّ موضعها، في النّظام الصّوتميّ عندهم، يكون لا "أماميّا" ولا "خلفيّا"، ولكنّه سمة محايدة من حيث لا يتوفّر في هذا النّطق إلاّ صوتم حركيّ منخفض وحيد. ويجري نظام مماثل لهذا، خلوا من حركة [r] الطّريفة1099، في الإيطاليّة أيضا. ويمكن أن نسمّي هذا النّظام سباعيّ الحركات1100:

	أماميّة	محايد	خلفيّة
عالية	i		u
عالية وسيطة	e		o
منخفضة وسيطة	ɛ		ɔ
منخفضة		a	

ومن الأمثلة الإيطاليّة ما يلي: (*si*) [si] [نعم]، و(*pesca*) ['pesca] [صيد السّمك]، و(*pesca*) ['pɛska] [خوخ]، و(tu) [tu] [أنت]، و(*pollo*) ['pollo] [دجاجة]، و(*olla*) ['ɔlla] [إناء]، و(*ama*) ['ama] [يحبّ].

ولبعض اللّغات نظم أبسط، من قبيل النّظام الخماسيّ الحركات1101 في الإسبانيّة والرّوسيّة:

1096 modification
1097 lengthening
1098 mixed vowel
1099 eccentric
1100 seven-vowel system
1101 five-vowel system

	أماميّة	محايد	خلفيّة
عالية	i		u
عالية وسيطة	e		o
منخفضة		a	

ومن الأمثلة الإسبانيّة ما يلي: (*si*) [si] [نعم]، و(*pesca*) ['peska] [صيد السّمك]، و(*tu*) [tu] [أنت]، و(*pomo*) ['pomo] [تفّاح]، و(*ama*) ['ama] [يحبّ].

بل يوجد ما هو أبسط من ذلك في النّظام الثّلاثيّ[1102] الحركات الّذي يظهر في بعض اللّغات من قبيل التّاغالوغ[1103]:

	أماميّة	محايد	خلفيّة
عالية	i		u
منخفضة		a	

فعلى قدر قلّة الصّواتم في نظام صوتميّ ما، يزداد المجال اتّساعا لظهور تنويعات غير تمييزيّة لكلّ صوتم. ففي الإسبانيّة، تتنوّع الحركات الوسيطة، على سبيل المثال، من حيث وقعها في آذاننا، بين المواضع العليا والمواضع المنخفضة، بنفس الصّفات الأكوستيّة كما هو الأمر في الإيطاليّة حيث تمثّل هذه الفوارق صواتم مختلفة. وتعرف الحركات الرّوسيّة تنوّعا شاسعا يرتبط بصفة رئيسيّة بالصّواتم السّابقة واللاّحقة؛ وبصفة خاصّة، يطرق بديل من الحركة الأماميّة العالية، كما في [sin] (ابن)، أذننا بطريقة عجيبة جدّا، لأنّ اللّسان ينجذب في النّطق بهذا البديل إلى الخلف أبعدَ بكثير ممّا يكون له في النّطق بأيّ واحد من بدائل الحركة الأماميّة العالية في الإنجليزيّة. وفي النّهاية، يسمح النّظام ثلاثيّ الحركات في التّاغالوغ لكلّ صوتم مدى من التّنوّع يبدو لأسماعنا هائلا. فالصّوتمان اللّذان رُمزَ إليهما أعلاه بعلامتي [i] و[u] في التّاغالوغ، يتردّدان على كامل المدى بداية من مواضع من قبيل ما يكون للحركات العالية عندنا حتّى مواضع من قبيل ما يكون للحركات المنخفضة الوسيطة عندنا.

.13 .6

لا دور للهيآت المختلفة من الشّفتين في الحركات الإنجليزيّة الأمريكيّة، ما عدا مظهرا ثانويّا نتناوله لاحقا. غير أنّ هيآت الشّفتين، في لغات كثيرة، تبرز صفة الحركات المختلفة: تُدعَم الحركات الأماميّة بانقباض الشّفتين (انجذاب زاويتي الفم إلى الخلف) والحركات الخلفيّة بتمدّد الشّفتين أو باستدارتهما[1104]. وبصفة عامّة، يكون عمل الشّفتين أبرزَ كلّما كانت الحركة أعلى. وتظهر هذه السّمات

1102 three-vowel system
1103 Tagalog
1104 rounding

في أغلب اللّغات الأوروبّيّة وتساهم في الاختلاف ما بين الحركات فيها والحركات عندنا. ونجد فوارق جليّة حتّى في ما بينها: في اللّغات الاسكندنافيّة، والسّويديّة خاصّة، تكون الحركات الخلفيّة أكثر استدارة من سائر اللّغات الأوروبّيّة: تكون لحركة [o] من السّويديّة، كما في (*bo*) [bo:] [سكن، قطَن]، هيأة للّسان تقارب هيأته في حركة [o] الألمانيّة أو الفرنسيّة، كما في (*so*) [zo:] [إذن] الألمانيّة، أو في (*beau*) [bo] [جميل] الفرنسيّة، ولكن لها استدارة قصوى للشّفتين تكون في حركة عالية [u] ألمانيّة أو فرنسيّة، كما في (*du*) [du:] [أنت] الألمانيّة، أو في (*bout*) [bu] [طرف، نهاية] الفرنسيّة؛ إنّها تطرق أذننا كما لو كانت نوعا من الصّوت الوسيط بين [o] و[u].

وتستغلّ اللّغات المذكورة منذ حين هيآت الشّفتين للتّمييز بين الصّواتم كذلك. وأكثر التّمييز من هذا القبيل شيوعا ما يكون بين الحركات الأماميّة الاعتياديّة (بهيأة الانقباض في الشّفتين) والحركات الأماميّة المستديرة بهيأة للشّفتين تكون للحركات الخلفيّة. وعلى هذا، يكون للفرنسيّة، بالإضافة إلى ثمانية صواتم حركيّة تجري في توزيع شبيه بتوزيع الإنجليزيّة الأمريكيّة، ثلاث حركات أماميّة مستديرة:

	أماميّة		خلفيّة
	غير مستديرة	مستديرة	(مستديرة)
عالية	i	y	u
عالية وسيطة	e	ø	o
منخفضة وسيطة	ɛ	œ	ɔ
منخفضة	a		ɑ

أمثلة:

(*fini*) [fini] [أنهيَ، منته]، و(*été*) [ete] [صيف]، و(*lait*) [lɛ] [حليب]، و(*bat*) [ba] [يضرب]،

(*rue*) [ry] [نهج، شارع]، و(*feu*) [fø] [نار]، و(*peuple*) [pœpl] [شعب]،

و(*roue*) [ru] [عجلة]، و(*eau*) [o] [ماء]، و(*homme*) [ɔm] [رجل]، و(*bas*) [bɑ] [منخفض].

ينضاف إلى هذه أربعُ حركات مؤنّفة (انظر أعلاه، § 6. 4)، صواتمَ متمايزة: (*pain*) [pɛ^{n}] [خبز]،: و(*bon*) [bo^{n}] [حسَن، طيّب]،: و(*un*) [œ^{n}] [واحد]،: و(*banc*) [ba^{n}] [مقعد]. وللفرنسيّة، زيادةً على هذا، بديل من حركة [œ] أقصر، يكتب صوتيّا بعلامة [ə]، كما في (*cheval*) [šəval] [فرَس].

وقد أخِذ الرّمزان [y, ø] من الكتابة الهولنديّة التّقليديّة؛ وتستعمل الكتابة الألمانيّة (والفنلنديّة) الرّمزين [ü] و[ö].

يمكن للمرء أن يتعلّم النّطق بالحركات الأماميّة المستديرة بالتّدرّب على هيآت الشّفتين أمام مرآة: بعد أن يكون المرء قد تعلّم النّطق بالحركات الأماميّة من الأنواع [i, e, ɛ] بزاويتي الفم منجذبتين إلى الخلف، والحركات الخلفيّة من الأنواع [u, o, ɔ] بشفتين منقبضتين مستديرتين، يمكنه أن ينطق حركة [i] ثمّ يحاول أن يحافظ على هيأة اللّسان دون تغيير وهو يجعل شفتيه مستديرتين كما في النّطق بحركة [u]؛ فتكون النّتيجة حركةَ [y]. وبالطّريقة نفسها، يمرّ المرء من [e] إلى [ø] ومن [ɛ] إلى [œ].

ويحدث تمييز إضافيّ باستعمال الحركات الخلفية غير المستديرة1105، مقابل الحركات المستديرة. ينتج هذا العامل الإضافيّ في التّركيّة نظاما حركيّا ثلاثيّ الأبعاد1106: كلّ صوتم حركيّ يكون إمّا أماميّا أو خلفيّا، عاليا أو منخفضا، مستديرا أو عير مستدير:

	أماميـّة		خلفيـّة	
	غير مستديرة	مستديرة	غير مستديرة	مستديرة
عالية	i	y	ï	u
منخفضة	e	ø	a	o

.14 .6

يتمثّل عامل آخر في إنتاج الحركة، في هيأة العضلات من حيث التّوتّر أو الارتخاء: تبدو الحركات من النّوع الأوّل لآذاننا أوضح وربّما كانت غاية في الدّقّة، بما أنّ جميع الحركات في الإنجليزيّة رخوة1107. ويستعمل بعض المؤلّفين المصطلحين ضيّقة1108 وواسعة1109 عوضا عن موتورة1110 ورخوة. تتمثّل أبرز خصيصة للحركات الفرنسيّة، عندما نسمعها، في طبيعتها الموتورة. والتّوتّر النّسبيّ في الحركات الإيطاليّة، بالإضافة إلى عمل الشّفتين، هو ما يجعل، كذلك، هذه الحركات مختلفة كثيرا عن الحركات في الإنجليزيّة، وإن كانت اللّغتان تميّزان بين العدد نفسه من الحركات.

ويُعتَمد التّوتّر والارتخاء في التّمييز بين الصّواتم في الألمانيّة والهولنديّة. ففي الألمانيّة، وفي الهولنديّة بدرجة أقلّ، تكون الحركات الموتورة كذلك أطول مدى1111 (وهو عامل نهتمّ به لاحقا) من الحركات الرّخوة. ولو أشرنا إلى التّوتّر، في توليفه بالمدى الأطول، بعلامة النّقطتين بعد الرّمز، نحصل في شأن تلك اللّغات، على النّظام التّالي حيث يكون زوج من الصّواتم في كلّ موضع[3]:

1105 unrounded vowel(s)
1106 three-dimensional system
1107 loose vowel(s)
1108 narrow (vowel)
1109 wide (vowel)
1110 tense (vowel)
1111 duration (vowel)

	أماميّـة		محايدة	خلفيّة
	غير مستديرة	مستديرة		(مستديرة)
عالية	i: i	y: y		u: u
وسيطة	e: e	ø: ø		o: o
منخفضة			a: a	

الأمثلة الألمانيّة:

(*ihn*) [i:n] [هو]، و(*in*) [in] [في]، و(*Beet*) [be:t] [مشتل أزهار]، و(*Bett*) [bet] [فراش]،

(*Tür*) [Ty:r] [باب]، و(*hübsch*) [hypš] [جميلة]، و(*König*) ['kø:nik] [مِلِك]، و(*zwölf*) [tsvølf] [اثنا عشر]،

(*Fusz*) [fu:s] [قَدَم]، و(*Flusz*) [flus] [نَهْر]، و(*hoch*) [ho:x] [عال]، و(*Loch*) [lox] [حفرة]، و(*kam*) [ka:m] [وصل]، و(*Kamm*) [kam] [مشط].

والفوارق بين الصّواتم الحركيّة في مختلف اللّغات ليست مفهومة بما يكفي. وفوق ذلك، يُرجّح أنّ الصّوتم الواحد قد يحدُث في الغالب، في اللّغة الواحدة بأعمال مختلفة اختلافا شديدا من أعضاء التّصويت ولكن بآثار أكوستيّة متماثلة تكون عند السّامع بالأمومة متطابقة: يُفتَرَض في الحالات من هذا القبيل أنّ انحراف عضو ما عن موضعه (لنقل، هيأة للّسان مختلفة) يعوَّض بعمل من عضو آخر (من قبيل عمل آخر مختلف من الحنجرة)

هوامش الفصل:

[1] تستعمل الألفبائيّة الصّوتيّة العالميّة رمزين آخرين: (a long s) [س طويلة] و (a long z) [ز طويلة]؛ والرّمزان الواردان أعلاه مستعملان في الإملاء التّقليديّ في البوهيميّة وفي الكثير من خطاطات الكتابة الصّوتيّة.

[2] مقابلَ الحركات، تسمّى الأصوات الأخرى (الانحباسيّة، التّكريريّة، الانسيابيّة، الجانبيّة) في بعض الأحيان (consonant) [حرف، صامت]. ويستعمل النّحو المدرسيّ عندنا المصطلحين (vowel) و(consonant) بطريقة غير متّسقة تحيل على الرّموز الكتابيّة بدَل الأصوات. وفي وصف اللّغات الفرديّة، يكون من المناسب، غالبا، أن نستعمل ذينك المصطلحين بوجوه أخرى وبإثرائهما بمصطلحات أخرى من قبيل (sonant) [رنّان]، و(semivowel) [نصف الحركة]، سنرى تطبيقها في الفصل القادم.

[3] ليس في الهولنديّة حركة [ø] القصيرة.

الفصل السّابع:

التّحويرات

7. 1. يمكن أن تُعتَبر الأعمال النّمطيّة[1112] في أعضاء التّصويت الموصوفة في الفصل السّابق، نوعا من الأساس يمكن أن يحوّر بوجوه متنوّعة. وهذه التّحويرات[1113] هي: المدى[1114] الزّمنيّ الّذي يستمرّ فيه الصّوت؛ والطّبقة[1115] الّتي ينجَز فيها، والنّغمة الموسيقيّة الّتي تكون للصّوت خلال إنتاجه؛ وهيأة الأعضاء الّتي ليست مشاركة بصفة مباشرة في العمل المخصوص[1116] بالصّوت؛ وطريقة انتقال أعضاء التّصويت من هيأة مخصوصة بالصّوت إلى أخرى. وهذا التّمييز بين أصوات كلاميّة أساسيّة[1117] وأخرى هي تحويرات لها، أمر مريح في عرضنا، ولكنّه ليس مقبولا دائما في النّظم الصّوتيّة في اللّغات. فلغات كثيرة تجعل بعض السّمات الأخيرة على قدم المساواة مع الصّواتم من النّوع الأوّل. وقد رأينا، على سبيل المثال، أن سمات النّغمة تُستعمَل صواتم أوّليّة في الصّينيّة وأنّ سمات المدى الزّمنيّ تميّز الصّواتم الأوّليّة في الألمانيّة. ومن جهة أخرى، تعتمد أغلب اللّغات بالفعل ذلك التّمييز إلى حدّ أنّها تستعمِل بعض السّمات المحوّرة صواتم ثانويّة، صواتمَ ليست جزءا من الأشكال اللّغويّة البسطى، ولكنّها لمجرّد وسم توليفات لتلك الأشكال أو استعمالات مخصوصة لها.

7. 2. المدى (أو الكمّيّة[1118]) هو الطّول النّسبيّ في الزّمن الّذي يستغرقه الحفاظ على أعضاء التّصويت في هيأة ما. وتميّز بعض اللّغات بين مديين أو أكثر في الأصوات الكلاميّة. ولذلك كنّا قد رأينا (§ 6. 14) أنّ الحركات الموتورة في الألمانيّة أطول من الحركات الرّخوة؛ ويكون هذا الفرق الجاري في المدى أكثر بروزا من الفرق الجاري في التّوتّر. وتكون العلامة على الصّوتم الطّويل نقطتين بعد رمز الصّوت، كما في (*Beet*) [be:t] [مشتل أزهار]، مقابل (*Bett*) [bet] [فراش]، من الألمانيّة. وإذا ما أريدَ تبيان درجات أخرى من المدى، يمكن أن تُستعمَل نقطة وحيدة أو علامات أخرى. وتتمثّل طريقة أخرى في الإشارة إلى الكمّيّة الطّويلة في كتابة الرّمز مرّتين، وهذا ما يجري في نظام الإملاء الفنلنديّ، مثل (*kaappi*) [خزانة]، بحركةِ [a] طويلة وحرفِ [p] طويل.

في الإنجليزيّة الأمريكيّة، ليست كمّيّة الحركة تمييزيّة. فالحركات المنخفضة والمنخفضة الوسيطة، كما في (*pan*) [مقلاة]، و(*palm*) [راحة اليد]، (*pod*) [جِراب]، و(*pawn*) [بيدق]، أطول من الحركات الأخرى كما في (*pin*) [دبوس]، و(*pen*) [قلم]، و(*pun*) [تورية كلاميّة]، و(*pull*) [جذب]. وبالإضافة إلى ذلك، تكون جميع الحركات عندنا، أطولَ قبل الأصوات المجهورة منها قبل الأصوات غير المجهورة.

1112 tyîcal action(s)
1113 modification(s)
1114 length of time
1115 loudness
1116 characteristic
1117 basic sounds
1118 quantity

وعلى هذا تكون حركة [ɛ] في (*pan*) و(*pad*)[سدّادة قطنيّة]، أطولَ منها في (*pat*) [تربيتة] و(*pack*) [حزمة، لفافة]؛ وتكون حركة [i] في (*pin*) و(*bid*) [عَرْض]، أطولَ منها في (*pit*) [هوّة] و(*bit*) [قليل، قطعة من]. وهذه الفوارق ليست، بطبيعة الحال، تمييزيّة لأنّها ترتبط بدرجة الارتفاع في الحركة وبالصّواتم اللاّحقة.

ويكون من المناسب غالبا في معالجة مسائل الكمّيّة أن تحدّد وحدة1119 اعتباطيّة للمدى النّسبيّ، هي المورا1120. وعلى هذا، إذا قلنا إنّ حركة قصيرة تدوم مورا واحدة، يمكن أن نصف الحركات الطّويلة من اللّغة نفسها بأنّها تدوم، لنقل، مورا نصف أو مورتين.

في الفرنسيّة، يشتغل التّمييز بين الحركات القصيرة والحركات الطّويلة بطريقة غريبة. فلا تجري الحركات الطّويلة إلاّ قبل المقطع الأخير من الكلمة أو المجمّع الحرفيّ1121 الأخير منها: مجرّد حضور حركة طويلة في الفرنسيّة يعني أنّ الحرف الموالي لها أو المجمّع الحرفيّ ينهي كلمة. وفوق ذلك، يتحدّد في هذا الموضع مدى الحركة، في جزء كبير منه، تحديدا كاملا بطبيعة الصّواتم أنفسها. فتكون دائما الحركات المؤنّفة [α^n, ε^n, o^n,ω^n] والحركتان [o, ø]، في هذا الموضع طويلة: (*tante*) [$t\alpha^nt$] [عمّة، خالة]، و(*faute*) [fo:t] [خطأ، غلطة]. والحركات المتبقّية دائما طويلة إذا كانت الحروف النّهائيّة [j, r, v, vr, z, ž]، كما في (*cave*) [ka:v] [قبو]، و(*vert*) [vɛ:r] [أخضر]. ولا تكون كمّيّة الحركة تمييزيّة إلاّ في حالات لا تنطبق فيه تانك القاعدتان، كما في (*bête*) [bɛ:t] [حيوان، بهيمة]، مقابل (*bette*) [bɛt] [بنجَر، لفت سكّري].

وتجري الحروف الطّويلة في الإنجليزيّة في المركّبات النّحويّة وفي الكلمات المركّبة، من قبيل (*pen-knife*) ['pen ɪnajf] [قلم سكّين]، أو (*eat two*) ['ijt 'tuw] [أكلتان في واحد(ة)]؛ وفي الكلمة المفردة تجري [nn] في أشكال نطقيّة بدائل من قبيل (*meanness*) ['mijnnes] [بُخْل]، إلى جانب ['mijnes]. ويكون التّمييز بين كمّيتين حرفيّتين أمرا طبيعيّا في الكلمات البسيطة، كما في (*fatto*) ['fatto] بمعنى[منجَز، أنهِيَ] ولكن (*fato*) ['fato] بمعنى [القدَر] في الإيطاليّة، وفي الفنلنديّة وفي لغات أخرى كثيرة.

وفي السّويديّة والنّورويجيّة يكون الحرف طويلا دائما ولا يكون كذلك إلاّ بعد حركة قصيرة منبورة؛ ووفقا لذلك، لا يكون الفرق في الكمّيات الحرفيّة تمييزيّا. ولا توجد حروف طويلة في الهولنديّة، وحتّى إذا ما التقت حروف متماثلة في مركّب نحويّ ما، فإنّها لا تنطَق إلاّ بمورا حرفيّة واحدة، فالمركّب النّحويّ المتكوّن من (*dat*) [dat] [هذا]، و(*tal*) [tal] [عدد، رقم]، يُنطق حينئذ ['da 'tal].

1119 unit
1120 mora (morae)
1121 consonant-group

7. **3.** تتمثّل النّبرة– أي الحدّة1122 أو الطّبقة– في سعة1123 أكبر للموجات الصّوتيّة، وتنتج بواسطة حركات أشدّ قوّة، من قبيل ضخّ قدر زائد من النّفَس، وجعل الحبال الصّوتيّة متلاصقة أكثر لإحداث الجهر، وفي استخدام العضلات بتوتّر أكبر في أعمال النّطق الفمويّ. ولنا في الإنجليزيّة ثلاثة صواتم ثانويّة تتمثّل في نبرة زائدة، مقابل ما يمكن أن نسمّيه مواطن الصّواتم غير المنبورة. فالنّبرة الأعلى1124 ["] عندنا، تسم الأشكال المفخّمة1125، ومقابل ذلك أو على نقيضه تظهر النّبرة العالية1126 أو النّبرة الاعتياديّة1127[ˈ] عندنا، بصفة عاديّة، على مقطع واحد من كلّ كلمة، وتظهر النّبرة المنخفضة1128 أو النّبرة الثّانويّة [ˌ] عندنا، على مقطع أو أكثر من الكلمات المركّبة والكلمات الطّويلة. وفي المركّبات النّحويّة، تُعوَّض النّبرة العالية في بعض الكلمات بنبرة منخفضة أو تحذَف تماما، ومن الأمثلة: (This is *my* parking place) ['ðis iz "maj 'parkiŋ ˌplejs!] [هذا هو مربض سيّارتي.] (It *isn't my* fault and it is *your* fault) it "iz ṇt "maj 'fəlt en it "iz juwr] ['fəlt".][ليس الذّنب ذنبي إنّما هو ذنبك.]

(insert) إذا كانت فعلا [in'sṛt] [أدخل]، وإذا كانت اسما ['insṛt] [إدخال].

(I'm going out) [aj m ˌgowiŋ 'awt.] [أنا خارج]

(Let's go back) ['let s ˌgow 'bɛk.] [لنَعُد أدراجنا]

(business-man) ['biznes ˌmɛn] [رجل أعمال]

(*gentleman*) ['ĵentḷmṇ] [رجل نبيل]

(*dominating*) ['dɑmiˌnejtiŋ] [مسيطر (ة)]

(*domination*) [ˌdɑmi'nejšṇ] [سيطرة]

ولهذا النّظام ما يوازيه في جميع اللّغات الجرمانيّة وفي لغات أخرى كثيرة من قبيل الإيطاليّة والإسبانيّة واللّغات السّلافيّة والصّينيّة. وفي اللّغات ذوات النّبرة مثل هذه اللّغات، تكون النّبرة من خصائص التّوليفات بين الأشكال اللّغويّة؛ وتتمثّل الحالة النّموذجيّة في استعمال نبرة عالية على كلّ كلمة من المركّب النّحويّ تُستثنَى منها بعض الكلمات غير المنبورة أو ذات النّبر المنخفض. ولكنّ بعض اللّغات من هذا النّوع، تتضمّن أشكالا لغويّة بسيطة (من قبيل الكلمات الّتي لا تقبل التّحليل) تتكوّن من أكثر من مقطع واحد يمكن تمييزها، وفقا لذلك، بموقع النّبرة؛ وعلى هذا تكون في الرّوسيّة كلّ من كلمتي

1122 intensity
1123 amplitude (amplitude)
1124 highest stress
1125 emphatic form(s)
1126 high stress
1127 ordinary stress
1128 low stress

['gorot] [مدينة] و[mo'ros] [التّجمّد]، بسيطة لا تتضمّن سابقة أو لاحقة؛ تبعا لذلك يكون هنا لموقع النّبرة1129 قيمة صوتم أوّليّ.

وتستعمِل لغات أخرى درجات الطّبقة سمات غير تمييزيّة. ففي اللّغة المينومينيّة تُنطق الجملة، من حيث مواقع العلوّ والانخفاض في النّبرة، تماما مثل الجملة الإنجليزيّة، ولكنّ ذلك العلوّ والانخفاض يتحدّدان بصفة كلّيّة بالصّواتم الأوّليّة ولا يحملان أيّ علاقة بالمعنى. وفي الفرنسيّة لا يمثّل توزيع النّبرة إلاّ نوعا من الإشارة: تكون نهاية الجملة، في العادة، أعلى طبقة من سائر أجزائها؛ وفي بعض الأحيان يكون في الكلام المفخّم، مقطع آخر أعلى خصّيصا من البقيّة. يسمع المرء في الكثير من الأحيان سلسلة طويلة من المقاطع المتعاقبة ذات تقلّبات قليلة جدّا في النّبرة.

7. 4. وتوجد ضمن اللّغات من ذوات النّبرة اختلافات في طريقة انطباق النّبرة. ففي الإنجليزيّة يتوفّر تنويع غير تمييزيّ تظهر به الحركات من الكلمات والمقاطع غير المنبورة في شكل "ضعيف1130": هي أقصر وتنجَز بعضلات أكثر ارتخاء، وتتقلّص فيها درجة الجهر أحيانا إلى حفيف وتنحو فيه هيآت اللّسان إلى موضع موحّد يقع قريبا من الموضع العالي الوسيط. وتتنوّع درجة الإضعاف من ملفوظ إلى آخر، وتختلف اختلافا كبيرا في أنواع الإنجليزيّة المعياريّة الجغرافيّة والاجتماعيّة المختلفة. وغالبا ما يستعمل علماء الأصوات رموزا مخصوصة بالحركات الضّعيفة، ولكنّ ذلك غير ضروريّ بما أنّ الفوارق ليست تمييزيّة، وتكاد لا ترتبط إلاّ بالموضع غير المنبور. فالحركة الضّعيفة حركة أقصر من الحركة المنبورة وأكثر رخاوة منها وبديل منها غير مكتمل في تكوّنه. قارنوا بين حركة [e] التّامّة من كلمة (*test*) ['test] وحركة [e] الضّعيفة من [*contest*] ['kɑntest]، كما تظهر هذه الحركة [e] الضّعيفة، في الإنجليزيّة الأمريكيّة، في أشكال مثل (*glasses*) ['glɛsez] [كؤوس]، و(*landed*) ['lɛnded] [هبط على اليابسة]؛ ويبدو أنّ الإنجليزيّة البريطانيّة تستعمل في جميع هذه الأحوال حركة أعلى بعض الشّيء. وبطريقة مماثلة، يمكننا أن نقارن حركة [o] التّامّة في (*seen*) [مرئيّ] و (*unseen*) ['on'sijn] [غير مرئيّ]، ببديلتها الضّعيفة في (*undo*) ['on'duw] [فكّ، ألغى]؛ وتظهر حركة [o] الضّعيفة هذه كذلك في في أشكال من قبيل (*cautious*) ['kɔšos] [حذِر]، و(*parrot*) ['pɛrot] [ببّغاء].

في حالات أخرى، تُظهِر بالفعل المقاطع الضّعيفة ضياعا1131 للصّواتم، أو استبدال1132 صوتم حركيّ من آخر؛ وعادة ما توجد درجات متنوّعة م الضّعف جنبا إلى جنب:

concert	['kɑnsṛt]		*concerted*	[kɑn'sṛted]
address	اسما، ['ɛdres]		*address*	فعلا، [e'dres]

1129 place of stress
1130 weakened
1131 loss
1132 substitution

[re'tṛn]	*return*		['rijlej]	*realy*
[ve'kejšṇ, vej'kejšṇ]	*vacation*		['vejkejt]	*vacate*
[prow'test, pro'test] فعلا،	*protest*		['prowtest] اسما،	*protest*
[re'bel] فعلا،	*rebel*		['rebɪ] اسما،	*rebel*
[e'tɑmik]	*atomic*		['ɛtṃ]	*atom*
[mejn'tejn, mṇ'tejn]	*maintain*		['mejntṇṇs]	*maintenace*

في حالات مثل هذه، توجد درجات متنوّعة من الضّعف جنبا إلى جنب وتستعمَل وفق السّرعة في التّلفّظ وطريقته الّتي يفرضها المقام (رسميّ، عاديّ، وما إلى ذلك). وهناك فوارق محلّيّة واجتماعيّة أيضا. يقال في الإنجليزيّة الأمريكيّة (*dictionary*) ['dikšṇɪejrij] [قاموس] و(*secretary*) ['sekreɪtejrij] [راقن(ة)] (قارنوا (*secretarial*) [ɪsekre'tejrijɪ] [سكرتاريّة]) وتستعمِل الإنجليزيّة البريطانيّة أشكالا أضعف، فيقال ['sekritri،'dikšṇri]. ومن جهة أخرى، تكون درجة الضّعف هذه في أشكال من قبيل (*Latin*) ['lɛtṇ] [اللاّتينيّة]، و(*Martin*) ['martṇ] [مارتان]، دون شكّ من مستوى لغويّ دون المعياريّ[1133] في بريطانيا، حيث يكون الشّكلان المعياريّان [ṇlɛtiṇ'] و['ma:tin].

لا تُضعِف جميع اللّغات الّتي تستعمل النّبرة سمة تمييزيّة، الحركات المنبورة فيها. واللّغات الجرمانيّة ممّا عدا الإنجليزيّة تُحدِث حركات المقاطع غير المنبورة تماما مثل حركات المقاطع المنبورة. تكون الحركات غير المنبورة في الكلمات الألمانيّة (*Monat*) ['mo:nat] [شهر]، و(*Kleinod*) ['klajno:t] [جوهرة]، و(*Armut*) ['armu:t] [فَقْر]، تماما مثل الحركات المنبورة في (*hat*) [hat] [لديه، له]، و(*Not*) [no:t] [حُزْن]، و(*Mut*) [mu:t] [شجاعة]. وفي هذه اللّغات، لا تظهر إلاّ حركة واحدة، هي [e] القصيرة، في بديل ضعيف عندما تكون غير منبورة. فتنطق حينئذ الحركة [e]، في الكلمتين الألمانيّتين (*hatte*) ['hate] [كان لديه، كان له]، أو (*gebadet*) [ge'ba:det] [اغتسل]، بمدى أقصر وبلسان أقلّ ارتفاعا وتقدَّما ممّا يكون لها في شكل من قبيل (*Bett*) [bet] [فراش]؛ ويكون المقطع الثّاني في المظهر الأكوستيّ شبيها تماما بالمقطع الثّاني من شكل إنجليزيّ، مثل (*sodden*) ['sɑdṇ] [معتوه]، ومختلفا شديد الاختلاف عن الكلمة الألمانيّة (*denn*) [den] [إذن]. ويشير علماء الأصوات في الغالب إلى هذا الإضعاف[1134] باستعمال حرف [ə] للشّكل غير المنبور من [e]، حيث تكون الكتابة الصّوتية للكلمات (*hatte*) ['hatə]، و(*baden*) ['ba:dən] أو ['ba:dṇ]، ولكنّ ذلك غير ضروريّ إذ تكفي علامة النّبرة لبيان الإضعاف.

1133 sub-standard
1134 weakening

واللّغات من ذوات النّبرة[1135]، من قبيل الإيطاليّة والإسبانيّة والبوهيميّة والبولونيّة، لا تستعمل بدائل مخصوصة لأيّ من الحركات غير المنبورة؛ قارنوا، على سبيل المثال، الكلمة (*restitution*) [ɹresti'tuwšn̩] [إرجاع، تعويض] عندنا، بكلمة (*restituzione*) [restitu'tsjone] الإيطاليّة. وفي كلمة بوهيميّة من قبيل (*kozel*) ['kozel] [معزاة، ماعز]، تكون حركة [e] مكتملة التّكوين، اكتماله تماما في (*zelenec*) ['zelenets] [دائم الاخضرار].

7. 5. يكمن فرق آخر في اللّغات ذات النّبرة في النّقطة الّتي تتموقع فيها النّبرة. في الإنجليزيّة، إذا كان للمقطع الأوّل نبرة يبدأ ارتفاع الطّبقة من بداية الكلمة بالتّحديد. ووفقا لذلك يكون الفرق بين الأزواج من الكلمات كما يلي:

(*a name*) [e 'nejm] [اسم] (*an aim*) [en 'ejm] [هدف، غاية]

(*that sad*) ['ɛðt 'sɑd] [هذا الحزين] (*that's odd*) ['ɛðt s 'ɑd] [هذا فظيع]

(*that stuff*) ['ðɛt 'stof] [هذا الشّيء] (*that's tough*) ['ɛðt s 'tof] [هذا أمرغريب].

وتسود العادة نفسها في الألمانيّة والاسكندنافيّة؛ وبالفعل تسم الألمانيّة مطلع النّبرة بدرجة من القوّة يكون لها في الغالب شكل همزة (غير تمييزيّة) قبل الحركة البدئيّة في كلمة منبورة أو عنصر، كما في (*ein Arm*) [ajn 'arm] [ذراع]، أو (*Verein*) [fer-'ajn] [جمعيّة، تجميع]، حيث تكون (*-ver*) لاحقة غير منبورة.

وفي الكثير من اللّغات ذات النّبرة، من جهة أخرى، يكون موقع المطلع[1136] من النّبرة محكوما بطبيعة الصّواتم الأوّليّة. ففي الهولنديّة، على سبيل المثال، عندما يرد حرف وحيد قبل حركة مقطع منبور، يكون هذا الحرف دائما مشاركا في الطّبقة، بصرف النّظر عن تقسيم الكلمة أو عوامل أخرى من المعنى: (*een aam*) [an aam] [وحدة كيل من أربعين غالونا]، و(*een naam*) [اسم]، ينطق كلاهما [e'na:m]؛ وينطَق مركّب نحويّ من قبيل (*het ander oog*) [العين الأخرى] على شاكلة [e'tande'ro:x]. والعادة نفسها تسود في الإيطاليّة والإسبانيّة واللّغات السّلافيّة.

7. 6. وتُستعمَل الفروق في النّغمة، أي تردّد الذّبذبة في الصّوت الموسيقيّ للجهر، في الإنجليزيّة وربّما في أغلب اللّغات، صواتمَ ثانويّة. والأشكال الأكوستيّة الفعليّة على غاية من التّنوّع، وهناك تنويعات جغرافيّة أيضا. فارتفاع النّغمة عند المتكلّم البريطانيّ في (*Thank you*!) [شكرا!]، لافتة لسمع الأمريكيّ، وتبدو لنا بعض الجمَل الّتي يكون منه فيها ارتفاع للنّغمة، في الغالب كما لو أنّها استفهام تصديق[1137]. وفوق ذلك، نستعمل سمات النّغمة استعمالا واسعا جدّا في طريقة الإشارات الكلاميّة، كما يكون عن

1135 stress-using language(s)
1136 onset
1137 yes-no-question

الحديث بصرامة1138 أو بازدراء1139 أو بفظاظة1140 أوبمداعبة1141 أو بمرح1142 وما إلى ذلك. وفي الإنجليزيّة، وفي لغات أوروبا عموما، تمثّل النّغمة السّمة الأكوستيّة الّتي تتاخم فيها التّنويعات الشّبيهة بالإشارة1143، وهي غير تمييزيّة، ولكنّها فاعلة اجتماعيّا، متاخمةً قريبة، مظاهر التّمييز اللّغويّة الصّرف. ووفقا لذلك، يهتمّ البحثُ في القوالب الفاعلة اجتماعيّا ولكنّها غير تمييزيّة في الكلام بالنّغمة إلى حدّ بعيد ، وهو بحث لم يشرَع فيه إلاّ في ماندر. وللسّبب نفسه لا يكون من اليسير أن نحدّد الحالات الّتي تكون فيها لسمات النّغمة مكانةُ الصّواتم الثّانويّة الأصيلةُ في اللّغة.

من الواضح أنّ نهاية الجملة (وهو مصطلح يجب علينا أن نعرّفه في موقع لاحق) توسَم دائما بتوزيع مخصوص للنّغمة. فعندما ننطق بالكلمات (*It's ten o'clock, I have to go home*) [إنّها السّاعة العاشرة، عليّ أن أعود إلى البيت]، على أنّها جملة واحدة بنغمة انتهائيّة1144 عند آخرها فقط، أو على أنّها جملتان، بنغمة انتهائيّة على (*clock*) [السّاعة]، وأخرى عند الآخِر:(*It's ten o'clock. I have to go home*). وبعد نغمة انتهائيّة يمكننا أن نحدِث وقفا1145 لأيّ مدّة من الزّمن أو نسكت عن الكلام.

ويمكننا أن نميّز فوارق صوتميّة عديدة في مجال النّغمة الانتهائيّة. فالعبارة (*It's ten o'clock*)، جاريةً على الخبر، تختلف عن (*It's ten o'clock ?*) جاريةً على الاستفهام؛ تنتهي الأخيرة بارتفاع في النّغمة عوضا عن نزول. ويوجد في عبارات الاستفهام فرق في الخطاطة النّغميّة بين استفهام تصديق من قبيل (*It's ten o'clock?*) أو (*Did you see the show?*) [هل شاهدت العرضَ؟]، واستفهام استخبار1146 يطلب الجوابَ بكلمة أو بمركّب مخصوص، كما في (*What time is it ?*) [كم السّاعة؟]، أو (*Who saw the show?*) [من شاهد العرضَ؟]، بارتفاع أقلّ في الآخِر. وفي الكتابة الصّوتيّة يمكن أن نشير إلى النّوع الأخير بعلامة استفهام مقلوبة رأسا على عقب [¿]. ويبين التّمييز بجلاء في المقابلة بين استفهام استخباريّ واستفهام تصديق يَطلُب إن كان هذا الاستفهام يقتضي جوابا: فالعبارة (*Who saw the show?*) منطوقةً [huw 'sɔw ðe 'šow¿]، تستفهِم عن الشّخص، لكنّها منطوقةً [huw 'sɔw ðe 'šow?]، تعني 'أهذا ما كنت تطلب؟"

تظهر هذه الأنواع الثّلاثة من النّغمة الانتهائيّة جنبا إلى جنب في المثال التّالي. فإذا قال أحدهم (*I'm the man who - who*) [أنا الرّجل الّذي – الّذي]، قد يعينه سامعه بأن يقول بنغمة انتهائيّة في عبارة خبريّة (*who took the money*) [huw 'tuk ðe monij.] [الّذي أخذ المال.]. يقابل هذا، الاستفهامَ

1138 harshly
1139 sneeringly
1140 petulantly
1141 caressingly
1142 cheerfully
1143 gesture-like
1144 final-pitch
1145 pause
1146 supplement-question

الاستخباريّ (*who took the money?*)) ['huw 'tuk ðe 'monij؟] [من أخذ المال؟]، الّذي يمكن أن يجيب عنه سامع يريد أن يتأكّد من أنّ السّؤال كان كذلك، أو أن يستعمله نقطة انطلاق شكليّة، في الجواب بنعم أو بلا، (*who took the money?*) ['huw 'tuk ðe 'monij?] (من أخذ المال؟ سأخبرك بمن أخذه...).

بالإضافة إلى ذلك، يبدو أنّ هذه الأنواع الثّلاثة جميعها يمكن أن تُحرّفَ في ضوء النّغمة، والنّبرةِ كذلك، عندما يستجيب المتكلّم لمثير قويّ. ونحن محقّون، دون شكّ، في إثبات صوتم ثانويّ فريد لنغمة التّعجّب1147 رمزه [!]، في هذا النّوع، وفي افتراض أنّ التّنويعات داخل هذا النّوع من قبيل تنغيم1148 الغضب، والمفاجأة، والنّداء، والسّخرية، وما شابه، تنويعاتٌ غير تمييزيّة شبيهة بالإشارة. ويظهر صوتم التّعجّب مقترنا بصواتم النّبرة الانتهائيّة الثّلاثة جميعا. قارنوا بين (*John*) ['.αjn] [جون]، جوابا عن سؤال، و(*John!*) ['αjn!] [جون!]، نداءً يلفت انتباه سامع أو حضوره (هوَ جون)؛ وكذلك تقابل العبارةُ (*John?*) ['αjn?] [جون؟]، جاريةً في شكل سؤال بسيط (*Is that John ?*) [هل ذاك جون؟]، السّؤالَ نفسه مصحوبا بنغمة التّعجّب: (*John?!*) ['αjn?!] (*It isn't John, I hope!*) [ليس جون، أرجو ذلك!]؛ وأخيرا، تقابل العبارةُ ([ؤ] *Who was watching the door*) [من كان يحرس الباب[ؤ]]، عبارةَ التّعجّب (*Who was watching the door* [ؤ!]) [من كان يحرس الباب[ؤ!]]، جاريةً في حال طارئة أو فاجعة.

وعلينا أن نعترف بنغمة الوقف1149 أو تعليق النّغمة1150، صوتما ثانويّا خامسا، رمزه [,]، يتمثّل في ارتفاع النّغمة قبل وقف داخل جملة ما. يُستعمَل هذا الصّوتم، مقابلا للنّغمات الانتهائيّة، ليُظهِر أنّ الجملة لا تنتهي عند نقطة قد يجعل الشّكل المركّبيّ انتهاء الجملة عندها ممكنا، في ما عدا ذلك من الأحوال: (*I was waiting there* [,] *when in came a man. John* [,] *the idiot* [,] *missed us.*) [كنت هناك أنتظر[،] عندما دخل رجل. جون [،] الأحمقُ [،] غاب عنّا.]. (قارنوا بالعبارة (*John the Baptist was preching.*) [يوحنّا المعمدان كان يعظ]). (*The man*[,] *who was carrying a bag*[,] *came up to our door.*) [الرّجل [،] الّذي كان يحمل حقيبة [،] أتانا حتّى باب الدّار.]. فلا يوجد في هذه القصّة إلاّ رجل واحد، قارنوا ذلك بالعبارة ((*The man who was carrying a bag came up to our door.*)) [الرّجل الّذي كان يحمل حقيبة أتانا حتّى باب الدّار.] الّتي تقتضي أنّ رجالا كثيرين كانوا في القصّة.

7. 7. في الإنجليزيّة، لا تستعمَل النّبرة والنّغمة كلتاهما، حينئذ، إلاّ صواتم ثانويّة، ولكن توجَد فوارق قليلة بين وظائفهما. ولا تتدخّل صواتم النّبرة إلاّ في الحالات الّتي يكون فيها عنصران من الكلام أو أكثر قد اقترنا في شكل واحد: لا تتضمّن كلمة بسيطة، مثل (*John*) [جون]، سمة نبرة تمييزيّةً؛ ولنسمع سمة نبرة تمييزيّةً علينا أن نأخذ مركّبا نحويّا أو كلمة مركّبة، أو على الأقلّ، كلمةً تتضمّن قسمين أو

1147 exclamatory pitch
1148 intonation(s)
1149 pause-pitch
1150 suspension-pitch

أكثر، من قبيل (*contest*) [سابق، سباق/ خالف، خلاف]. وتجري صواتم النّغمة، من جهة أخرى، في كلّ ملفوظ ظاهرةً حتّى إذا ما نُطِق بكلمة وحيدة، كما في (*John! John? John*) [جون! جون؟ جون]. ومن جهة ثانية، لا تقترن صواتم النّغمة في الإنجليزيّة مبدئيّا بأيّ من الكلمات أو المركّبات النّحويّة المخصوصة، ولكنّها تتنوّع في ما عدا ذلك من الأشكال المتطابقة دالّة على بمعان مختلفة.

وتختلف لغات كثيرة عن الإنجليزيّة في استعمال الصّواتم الثّانويّة الدّالّة على النّغمة كما نستعمل نحن تلك الّتي للنّبرة، في كلمات ومركّبات نحويّة تتكوّن من عنصر أو أكثر. ففي السّويديّة والنّورويجيّة، يكون لكلمة من مقطعين، على سبيل المثال، نبرة عالية اعتياديّة تقع على واحد منهما، تماما كما تفعل في الإنجليزيّة، ولكن، بالإضافة إلى ذلك، يُميَّز بين المقطعين المنبورين بخطاطتين للنّغمة مختلفتين. ويمكن للنّبرة أن تكون مصحوبة بنغمة عالية، محدثةً نفس الانطباع الأكوستيّ الّذي يكون لنبرة عالية إنجليزيّة، كما في الكلمة النّورويجيّة ['bøner] [بدويّون]، أو ['aksel] [كتِف، ساعِد]، أو بفرق تمييزيّ، يمكن أن تكون مصحوبة بنغمة نازلة كما في [$\sqrt{}$'bøner] [فاصوليا] أو [$\sqrt{}$'aksel] [محور العجلة]. ونغمةُ الكلمة1151 التّمييزيّةُ هذه من أكثر ما يلفت الانتباه لأنّ السّويديّة والنّورويجيّة شديدتا الشّبه بالإنجليزيّة في جميع الاعتبارات الأخرى في استعمالهما الصّواتم الثّانويّة للنّغمة وللنّبرة.

ويقال إنّ اللّغة اليابانيّة تميّز بين نغمتين نسبيّتين، عاديّة وعليا؛ فيكون، حينئذ، في [hana] [أنف]، نغمة عاديّة على المقطعين كليهما، وفي ['hana] [بداية]، نغمة عليا على المقطع الأوّل، وفي [ha'na] [زهرة]، نغمة عليا على المقطع الثّاني؛ ويبدو أن لا وجود لصواتم ثانويّة لنبرة الكلمة.

وفي ما تبقّى من اللّغات الأخرى، تُستعمَل سمات النّغمة صواتمَ أوّليّة. تميّز الصّينيّة الشّماليّة أربعة من هذه يمكن أن نرمز إليها بالأرقام:

[^{1}] مستوى عال [ma^1] [أمّ]

[^{2}] صاعدة عالية1152 [ma^2] [قنّب]

[^{3}] صاعدة منخفضة1153 [ma^3] [فرَس]

[^{4}] نازلة منخفضة1154 [ma^4] [أنّب]

ويقال إنّ للكنتونيّة1155 ستّ من هذه النّغمات1156. وبالفعل، تظهر صواتم النّغمة الأوّليّة في لغات كثيرة جدّا، إمّا في أنواع قليلة بسيطة، كما في اللّيتوانيّة والصّربيّة وفي الإغريقيّة القديمة، أو في ما يبدو لنا تنوّعا مذهلا، كما في بعض اللّغات الأفريقيّة.

1151 word-pitch
1152 high rising pitch
1153 low rising
1154 low falling

ويدر أن نلاحظ أنّ لنا في الإنجليزيّة الأمريكيّة تنويعا للنّغمة غير تمييزيّ يقع على المقاطع المنبورة عندنا: قبل صوت غير مجهور، كما في (*map*) [خريطة] أو (*mat*) [حصيرة]، تكون خطاطة النّغمة بسيطة، ولكن قبل صوت مجهور، كما في (*mad*) [مجنون] و(*man*) [رجُل]، يكون لنا، في الحالات الاعتياديّة وفي النّطق بنبرة أعلى بدرجة واضحة، نغمة صاعدة–نازلة1157.

7. 8. الآن وقد حصلنا على بعض ما به يتكوّن الصّوتم، يمكن أن نرصد التّحويرات المختلفة في الطّريقة الّتي يكون بها حدوثه. تحدُث الصّواتم [k, g] الإنجليزيّة، على سبيل المثال، بغلق مؤخّر اللّسان والغشاء: لو تأمّلنا بعناية، نجد أنّ الغلق يحدث أبعد إلى الأمام عندما يكون الصّوتم الموالي حركة أماميّة، كما في (*kin*) [kin] [عشيرة، أهل]، و(*keen*) [kijn] [شديد]، و(*give*) [giv] [أعطى]، و(*gear*) [gijr] [معدّات]، وأبعدَ إلى الخلف قبل حركة خلفيّة كما في (*cook*) [kuk] [طبخ، طبّاخ]، و(*coop*) [kuwp] [قنّ الدّجاج]، و(*good*) [gud] [حسَن، طيّب]، و(*goose*) [guws] [وزّة]، مقابلَ ما يمكنه تسميته بالموضع العاديّ، كما في (*car*) [kar] [سيّارة]، و(*cry*) [kraj] [بكى]، و(*guard*) [gard] [حارس]، و(*gray*) [grej] [رماديّ]. ويحدُث الصّوتم [h] الإنجليزيّ وفق الموضع الفمويّ للحركة الموالية له. وهذه البدائل ليست تمييزيّة، إذ ترتبط بصفة كلّيّة بالحركة الموالية. وفي اللّغات الّتي تكون فيها الفوارق من هذا القبيل تمييزيّة، لا يحقّ لنا حقيقة أن نسمّيها "تحويرات" لأنّها سمات أساسيّة للصّوتم في هذه اللّغات. ويمكن لنا كذلك تماما أن نستعمل مصطلح "تحوير" على عمل الجهر أو عدم عمله خلال إحداث ضجيج الصّوت، أو على حضور التّأنيف أو غيابه، أو على استدارة الشّفتين أو انقباضهما خلال إحداث الحركة. غير أنّه من المناسب أن نرى في هذه الطّريقة بعض السّمات غير المألوفة الّتي تكون صوتميّة في لغات بعينها.

وأهمّ هذه التّحويرات هو التّحنيك1158: يتّخذ اللّسان والشّفتان، خلال إحداث حرف ما، وفي حدود ما يتلاءم مع سمات الصّوتم الرّئيسيّة،هيأة حركة أماميّة، من قبيل [i] أو [e]. فيمكننا، إذن، أن نقول إنّ الحرفين [k] و[g] الإنجليزيّين عرضة لتحنيك غير تمييزيّ قبل حركة أماميّة. يجري التّحنيك سمة تمييزيّة على وجه الخصوص في البعض من اللّغات السّلافيّة. ففي الرّوسيّة، على سبيل المثال، تجري معظم الصّواتم الحرفيّة في أزواج بفارق تمييزيّ قوامه الصّريح1159 مقابل المحنّك1160. وقد استُعمِلت أدوات كثيرة لكتابة النّوع الأخير صوتيّا، من قبيل النّقطة، أوالتّقويسة أو علامة إدراج، فوق الرّمز، أو علامة (*i*) العارضيّة أو علامة النّبرة بعده، أو باعتماد الحروف المائلة1161 في

1155 Cantonese
1156 tone (ton)
1157 rising-falling pitch
1158 palatalization
1159 plain (consonent)
1160 palatalized
1161 italics

الطّباعة. وسف نعتمد الطّريقة الّتي ورد ذكرها أخيرة إذ تمثّل أنسب الوسائل في الطّباعة. وفي كلمة روسيّة مثل [*pat*] [خمسة]، تنقبض زاويتا الفم ويرتفع اللّسان إلى موضع الحركة الأماميّة خلال تكوين الحرفين كليهما. وفي حالة [*t*]، يعني ذلك بطبيعة الحال أنّ شفرة اللّسان ترتفع في اتّجاه الحنك عندما يكون أسلة اللّسان وطرفه يحدثان الغلقَ على مؤخّر الأسنان العليا، تماما مثلما يكون في الكلمات مثل [*dada*'] [خال، عمّ] أو [*nana*'] [مربّية، ممرّضة]. ويتجلّى الطّابع التّمييزيّ لهذا الفرق في حالات مثل [bit] [الكون على حال ما]، [bi*t*] [كان]، [*bit*] [ضرَب].

وتميّز بعض اللّغات حروفا مغشّاة1162 ينقبض فيها اللّسان انقباضه في إحداث حركة خلفيّة. وإذا كانت الشّفتان مستديرتين خلال إنتاج حرف ما، يقال إنّه مشفّه1163. ويظهر هذا التّحويران معا في الحروف المغشّاة المشفّهة1164.

7. 9. غالبا ما تبين الطّريقة الّتي بها تمرّ الأعضاء الصّوتيّة من السّكون إلى إحداث صوتم ما، أو من إحداث صوتم إلى إحداث صوتم موال له، أو من إحداث صوتم إلى السّكون، عن وجوه متنوّعة نطلق عليها النّقلات1165. يُقبَل هذا المصطلح قبولا كافيا عندما لا تكون الفوارق تمييزيّة، ولكن ليس لنا الحقّ عندما تكون تلك الفوارق تمييزيّة في أن نصِف البعض من السّمات الجوهريّة في الصّواتم بأنّها أساسيّة وبعضها الآخر بأنّه انتقاليّ1166.

عند المرور من الصّمت إلى حرف انحباسيّ مجهور، كما في (*bay*) [خليج] و(*day*) [يوم، نهار] و(*gay*) [مرِح]، نشرع في التّجهير1167 على التّدريج، وعند المرور من هذه الأصوات إلى الصّمت، كما في (*ebb*) []، و(*add*) [زاد]، و(*egg*) [بيض]، نقلّل من التّجهير على التّدريج. يقابل هذا الطّريقةَ الفرنسيّة حيث تكون الأصوات الانحباسيّة في هذه المواضع مجهورة جهرا كاملا من البداية حتّى النّهاية. عند المرور من الصّمت إلى حركة منبورة، ننشئ عادة مطلعا متدرّجا للجهر، والحال أنّ الألمانيّة الشّماليّة تغلق المزمار أوّلا ثمّ يبدأ الجهر الكامل فجأة بوجه تحدث له همزة (غير تمييزيّة). ومن حين إلى آخر، نبدأ الكلام على الطّريقة الألمانيّة ويبدأ الألمان على طريقتنا، منشئين بذلك بديلا غيرَ تمييزيّ. ويتوفّر في الفرنسيّة وفي الإنجليزيّة الجنوبيّة ما دون المعياريّة، نوع ثالث من المطلع غير تمييزيّ يمرّ فيه المزمار عبر موضع [h]. وهذا النّوع تمييزيّ في الإنجليزيّة المعياريّة وفي الألمانيّة، كما في الكلمتين الإنجليزيّتين (*heart*) [hart] [قلب]، مقابل (*art*) [art] [فنّ].

1162 velarized
1163 labialized
1164 labiovelarized
1165 transition(s)
1166 transitional
1167 voicing

وفي العبور من النّطق بحركة إلى الصّمت، تستعمل اللّغات الّتي ذُكِرت إلى حدّ الآن حرف لين انتقاليّ[1168] خفيف، ولكنّ لغات أخرى تمرّ عبر موضع [h] أو تنهي فجأة بهمزة، ومع ذلك تكون في لغات أخرى هذه الفوارق صوتميّة. وعند المرور من صوت انحباسيّ غير مجهور إلى صوت مجهور خاصّة إذا كان حركة، يمكن للمرء أن يشرع في التّجهير عند بداية الانفجار، أو يمكن أن يتأخّر التّجهير لحظة؛ وفي الحالتين كلتيهما يمكن أن يبدأ بلطف أو بهمزة؛ وهذه الفوارق صوتميّة في بعض اللّغات وقد طُرحت في § 6. 6. وقبل الحروف المحنّكة أو بعدها قد يحدث صوت لين شبيه بحركة أماميّة؛ وبالمثل يمكن أن تكون الحروف المغشّاة مصحوبة بحركة لين[1169] خلفيّة.

يبدو أنّ أهمّ سمة انتقاليّة في تتابع الحروف تكمن في الفرق بين الانتقال المنغلق[1170] والانتقال المنفتح[1171]. وفي الإنجليزيّة، نستعمل الانتقال المنغلق. فعندما نمرّ من صوت انحباسيّ إلى آخر، نشكّل الانغلاق الثّاني قبل أن نفتح الأوّل: في كلمة مثل (*actor*) ['ɛktɚ] [ممثّل، فاعل]، على سبيل المثال، يلامس ذولق اللّسان اللّثة لإحداث صوت [t] قبل أن يبتعد ظهر اللّسان عن الغشاء ليطلق صوت [k]. وتستعمل الفرنسيّة الانتقال المنفتح: في كلمة مثل (*acteur*) [aktœ:r] [ممثّل، فاعل]، ينفتح صوت [k] قبل أن يلامس ذولق اللّسان الأسنان لإحداث صوت [t]. وبالمثل، يكون للتّوليفات بين صوت انحباسيّ فصوت انسيابيّ انتقال منغلق، كما في (*Betsy*) [بيتسي]، و(*cupful*) [ملء كوب]، و(*it shall*) [ضمير محايد+ المستقبل الواجب]: قبل أن يُفتَح الانحباس، تكون الأعضاء قد أخذت، في حدود ما أمكن، موضعَ الصّوت الانسيابيّ الموالي، بوجه يكون له انفجار الصّوت الانحباسيّ غيرَ مكتمل. يقابل هذا، الانتقالَ المنفتح في الفرنسيّة حيث يكون الانفجار بالصّوت الانحباسيّ كاملا قبل أن يبدأ الصّوت الاتسيابيّ، كما في (*cette scène*) [sɛt sɛ:n] [هذا المشهد]، و(*étape facile*) [etap fasil] [مرحلة سهلة]، و(*cette chaise*) [sɛt šɛ:z] [هذا الكرسيّ]. ويظهر الفرق نفسه في ما يسمّى الحروف المضاعفة[1172]، وهي توليفات يظهر فيها الصّوتم الحرفيّ الواحد مرّتين متتابعتين. ففي الإنجليزيّة لا تُظهِر الأشكال مثل (*grab-bag*) ['grɛb ˌbɛg] [جراب لكلّ شيء]، و(*hot time*) ['hɑt 'tajm] [وقت حَرّ]، و(*pen-knife*) [pen ˈnajf] [قلم سكّين]، إلاّ انغلاقا واحدا في التّجمّعات [bb, tt, nn]. وهذا الانغلاق يستمرّ زمنا أطول بقليل من الانغلاق بحرف مفرد. ويكون الحرف المضاعف موسوما كذلك بالفرق في النّبر بين الانغلاق (وهو ضعيف في أمثلتنا) والانفجار (وهو قويّ، في أمثلتنا). وتظهِر التّجمّعات المشابهة في الفرنسيّة، كما في (*cette table*) [sɛt tabl] [هذه الطّاولة]، عادة انفتاحين، بانغلاق وانفجار لكلّ واحد من الحرفين.

1168 gentle off-glide
1169 vowel-glide
1170 close transition
1171 open transition
1172 double consonant(s)

إذا كان النّوعان من الانتقال كلاهما جاريا في لغة ما، يمكن أن يُستخدَم الفرق أداة تمييز صوتميّ. فيكون على هذا، للبولونيّة انتقال منفتح في الأغلب، مثل ذاك الّذي للفرنسيّة، كما في (*trzy*) [tši] [ثلاثة]، ولكنّ التّوليف بين [t] و[š] يجري كذلك بانتقال منغلق، صوتما منعزلا يمكننا أن نشير إليه برمز [č]، كما في (*czy*) [či] [سواء]. وهناك أيضا نوع محنّك من هذه، صوتم قائم برأسه مرّة أخرى، هو [č] كما في (*ci*) [či] [لك].

يُظهِر لنا هذا المثال الأخير الصّواتم المركّبة1173–أي أصواتا تشبه سلسلة متعاقبة من صوتمين أو أكثر من اللّغة نفسها، ولكن بوجه من الوجوه، تُمَيَّز من هذا التّعاقب وتُستعمَل صواتم منفصلة. وتتكوّن صواتم مركّبة كثيرة، مثل تلك الّتي وردت في مثالنا، من حرف انحباسيّ فصوت انسيابيّ أو حرف آخر منفتح؛ تسمَّى الصّواتم من هذ القبيل معطّشة1174. ولا يمكن في الإنجليزيّة، حيث يكون لجميع التّجمّعات الحرفيّة انتقال انحباسيّ، أن يُستعمَل ذلك سمة صوتميّة. غير أنّ للإنجليزيّة صوتمين معطّشين، هما [č] كما في (*church*) [čṛč] [كنيسة]، و[ǰ] كما في (*judge*) [ǰoǰ] [حكَم، قاض]. وهذان الصّوتمان المعطّشان محنّكان دائما، وتلك هي السّمة الّتي تميّزهما من من توليفة [t] فـ [š]، كما في (*beet-sugar*) ['bijt ɪšgṛ] [لفت سكّريّ]، و(*it shall*) [it 'šɛl] [ضمير محايد+ المستقبل الواجب]، ومن توليفة [d] فـ [ž] كما في (*did Jeanne*) [did 'žan][1] [هل (فعلت) جانّ...؟]

7. 10. تبين معاملة سلاسل الحركات المتتابعة وفي الغالب الأصوات الموسيقيّة، عن تنوّع كبير، وتكون أنواع كثيرة من الانتقال تمييزيّةً في لغة أو في أخرى.

فالأصوات، في أيّ من سلاسلها المتعاقبة، يطرق بعضها الأذن بقوّة أشدّ من بعضها الآخر: للفوارق في الجهريّة1175 دور مهمّ في حدوث الآثار الانتقاليّة على الحركات وأشباه الحركات من الأصوات1176. وعلى هذا، إذا كان التّساوي في كلّ شيء (في النّبر خاصّة)، تكون حركةٌ منخفضة من قبيل [a]، أكثرَ جهريّة من حركة مرتفعة من قبيل [i]؛ وتكون أيُّ حركة أكثرَ جهريّة من حرف صامت، ويكون حرفٌ أنفيّ أو تكريريّ أو جانبيّ أكثر جهريّة من انحباسيّ أو انسيابيّ؛ ويكون صّفيريُّ [s, z] ذو النَّفس المركّز في مجرى ضيّق، أكثر جهريّة من انسيابيّ آخر؛ ويكون انسيابيّ̈ أكثر جهريّة من انحباسيّ، ويكون صوتٌ مجهور أكثر جهريّة من صوت غير مجهور. فيكون، حينئذ، في كلّ سلسلة متعاقبة من الصّواتم، درجات من الجهريّة تتفاوت علوّا وانخفاضا. ففي سلسلة من قبيل [tatatata]، يكون أصوات [a] أكثر جهريّة من أصوات [t]. وفي المثال الموالي يكون التّمييز بين أربع درجات من الجهريّة باعتماد الأرقام:

1173 compound phoneme(s)
1174 affricate(s) (affriqué(s))
1175 sonority (sonorité)
1176 vowel-like sound(s)

Jack	*caught*	*a*	*red*	*bird*
[ĵɛk	kɔt	e	red	brd]
314	414	1	213	323
"جاك	اصطاد	نكرة	أحمر	"عصفور
[قنص جاك عصفورا أحمر]				

يبين بجلاء أنّ بعض الصّواتم أكثر جهريّة من الصّواتم (أو الصّمت) الّذي يسبقه أو يعقبه مباشرة. يصحّ ذلك على الصّواتم الموسومة برقم 1 في مثالنا، وفي حالة واحدة، على صوتم موسوم برقم 2، أي حرف [r] من (*bird*) [طائر]، ولكن لا يصحّ على حرف [r] من (*red*) [أحمر]. يمثّل كلّ صوتم من هذا القبيل قمّة[1177] جهريّة أو هو مقطعيّ[1178]، والصّواتم الأخرى لا مقطعيّة[1179]. فحركة [e]، حينئذ، من (*red*) وحرف [r] من (*bird*) ، صوتان مقطعيّان، ولكن حرف [r] من (*red*) و[d] من (*red*) و(*bird*) صوتان لا مقطعيّان. ويقال إنّ للملفوظ عددا من المقاطع (أو المقاطع الطّبيعيّة[1180]) على عدد ما له من الأصوات المقطعيّة. وللمرتفعات والمنخفضات في التّقطيع[1181] دور مهمّ في البنية الصّوتيّة من جميع اللّغات.

في كلّ لغة، لا تجري في المطلق إلاّ صواتمُ بعينها مقطعيّةً، ولكن أيّ صوت، مبدئيّا، يمكن أن يكون أكثر جهريّة من الصّواتم المجاورة له. وتختلف الخالفتان (*pst!*) [pst!] و(*sh!*) [š!] اللّتان نطلب بهما السّكوت، عن الكلمات الإنجليزيّة العاديّة باستعمال [s] و[š]، عنصرين مقطعيّين. وفي الواقع، لا لا تُستعمَل أغلب الصّواتم في أيّ من اللّغات إلاّ لا مقطعيّة، كما هو شأن [p, t, k] في الإنجليزيّة. نسمّي هذه الوحدات حروفا. ولا تجري صواتم أخرى، وهي أقلّ عددا، إلاّ مقطعيّة، كما هو شأن [e, o, a] في الإنجليزيّة. نسمّي هذه الوحدات حركات. ويوجد في أغلب اللّغات، مجموعة ثالثة وسيطة تتكوّن من الأصوات الرّنّانة[1182]، هي صواتم تجري في كلّ من الموضعين المقطعيّ واللاّمقطعيّ. فيكون على هذا، صوت [r]، في الإنجليزيّة الأمريكيّة من نوع الوسط الغربيّ، مقطعيّا في (*bird*) [brd]؛ ولكنّه لا مقطعيّ في (*red*) [red].

ويتحدّد كون الصّوت الرّنّان في أيّ كلمة مقطعيّا أو لا مقطعيّا، بطرق مختلفة في اللّغات المختلفة. وإذا كانت طبيعةُ الصّوت الرّنّان المقطعيّةُ أو اللاّمقطعيّةُ ترتبط كلّيّا بالصّواتم المجاورة له (كما في (*bird*) مقابل (*red*))، يكون الاختلاف، إذن، غير تمييزيّ، وفي حدود ما يهمّ الكتابة الصّوتيّة لا نحتاج إلى أكثر من رمز واحد. غير أنّ طبيعة الصّوت الرّنّان المقطعيّةُ أو اللاّمقطعيّةُ تتحدّد، في

1177 crest of sonority
1178 syllabic
1179 non-syllabic
1180 natural syllable(s)
1181 syllabication
1182 sonant(s)

حالات كثيرة، بصفة اعتباطيّة وتمثّل تمييزا صوتميّا. فيكون، حينئذ، صوت [r] مقطعيّا في (*stirring*) ['stɾiŋ] [إثارة، مثير]، ولا مقطعيّا في (*string*) [stɾiŋ] [خيط، سلك]، وفي المقطع الثّاني من (*pattern*) ['pɛtɾn] [قالب سبك]، يكون صوت [r] مقطعيّا وصوت [n] لا مقطعيّا، ولكن في المقطع الثّاني من (*patron*) ['pɛjtɳ] [ربّ العمل]، يكون صوت [r] لا مقطعيّا وصوت [n] مقطعيّا. وفي حالات من هذا القبيل نحتاج إلى رمزين مختلفين للصّوتمين الاثنين. ولسوء الحظّ، ليست عاداتنا في الكتابة الصّوتيّة في هذا المضمار موحّدةً، ولا هي متناغمة. فنحن نستعمل في حالات قليلة رموزا مختلفة: تُستعمَل [i, u, y]، في العموم، للقيم المقطعيّة، و[j, w, γ]، على التّرتيب، لما يناسبها من الأصوات اللاّمقطعيّة. ولكنّ الكثير من الكتّاب يستعملون الرّموز الأولى كذلك لبعض النّماذج اللاّمقطعيّة. وتتمثّل أداة أخرى في وضع منحن صغير فوق الرّموز من قبيل [i, u, y, e, o, a] أو تحتها للإشارة إلى الوظيفة اللاّمقطعيّة. ومن جهة أخرى، يكون عادة للرّموز [r, l, m, n] نقطة أو دائرة أو خطّ عموديّ موضوعة تحتها للدّلالة على الوظيفة المقطعيّة.

عندما تتحدّد الوظيفة المقطعيّة أو اللاّمقطعيّة بالصّواتم المجاورة (أو الصّمت)، يكون التّوزيع طبيعيّا. وعلى هذا، يكون الصّوتمان [i, u] في الألمانيّة المعياريّة لا مقطعيّين عندما يسبقان حركة أو يعقبانها، ويكونان في جميع المواضع الأخرى مقطعيّين. ولا تجري [u] اللاّمقطعيّة إلاّ بعد [a]، كما في (*Haus*) [haws] [منزل]؛ وتجري [i] اللاّمقطعيّة بعد [a]، كما في (*Ei*) [aj] [بيض]، وبعد [o] (أو[ø])، كما في (*neu*) [noj, nøj] [جديد]؛ وقبل الحركات و[u]، كما في (*ja*) [ja:] [نعم]، و(*jung*) [juŋ] [شابّ]. وتخفّض البدائل بعد الحركات، دون ريب، وتُنطَق حركة [i] اللاّمقطعيّة بملامسة شديدة بوجه يحدث له صوت احتكاكٍ واضحٌ، ولكنّ هذه الفوارق ليست تمييزيّة. ويستعمل الكتّاب في الموروث التّقليديّ، الرّمزين [i, u] للنّوع الأوّل، ولكنّهم يستعملون [j] للنّوع للأخير.

وحيث لا تتحدّد وظيفةُ الأصوات الرّنّانة المقطعيّةُ أو اللاّمقطعيّةُ بالصّواتم المجاورة، يكون الاختلاف صوتميّا. وتعتمد بعض اللّغات زيادة خفيفة في النّبرة لجعل صوت رنّان مقطعيّا. وفي الإنجليزيّة تشتغل هذه النّبرة المقطعيّة[1183] صوتما ثانويّا. وفي إنجليزيّة الوسط الغربيّ الأمريكيّ، تجعل النّبرة المقطعيّة صوتَ [r] مقطعيّا في المقاطع المنبورة، في حالات مثل (*stirring*) ['stɾiŋ] [إثارة، تحريض]، مقابل (*string*) [stɾiŋ] [خيط، سلك]، أو مثل (*erring*) ['ɾiŋ] [جولان، تسكّع]، مقابل (*ring*) [riŋ] [خاتم، حلقة]. وفي المقاطع غير المنبورة، تكون الأصوات الرّنّانة [r, l, m, n] في الغالب مقطعيّة بحكم التّوزيع الطّبيعيّ، كما في (*butter*) ['botɾ] [زبدة]، و(*bottle*) ['bɑtl] [قارورة]، و(*bottom*) ['bɑtm] [أسفل]، و(*button*) ['botn] [زرّ]، ولكن في حالات أخرى، تتحدّد قيمتها المقطعيّة باستعمال النّبرة المقطعيّة. حينئذ، تميّز النّبرة المقطعيّةُ صوت [ɾ] من صوت [r] سابق عليه كما في (*error*) ['erɾ]

1183 syllabic-stress

[خطأ، خلل]، و(*bearer*) ['bejrɹ] [حامِل] أو من صوت [ɹ] سابق عليه كما في (*stirrer*) ['stɹɹ] [محرّض]، و غالبا ما تحدّد النّبرة المقطعيّة أيَّ الحروف الرّنّانة المتعاقبة يكون مقطعيّا:

apron	['ejprn̩]	[مئزر]		*pattern*	['pɛjtn̩']	[قالب سبك]
pickerel	['pikɹl̩]	[زنجور]		*minstred*	['minstr]	[مخدوم]
coral	['kɑrl̩]	[مرجان]		*Carl*	[karl]	[كارل]
char 'em	['čar m̩]	[نظِّفهم]		*charm*	[čarm]	[سحر]
maintenance	['mejntn̩ns]	[صيانة]		*penance*	['penn̩s]	[توبة]

ويمكن أن تجعل النّبرة المقطعيّة الأصوات [] مقطعيّة قبل صوتم ذي درجة أكبر من الانفتاح:

battery	['bɛtɹij]	[بطّاريّة]		*pantry*	['pɛntrij]	[بيت المؤونة]
hastily	['hejstɭij]	[بسرعة]		*chastely*	['čejstlij]	[بعفّة]
anatomy	[e'nɛtm̩ij]	[علم التّشريح]		*met me*	['met mij]	[قابلني]
botany	['bɑtn̩ij]	[علم النّبات]		*chutney*	['čotnij]	[صلصة هنديّة]

إذن، يكون للنّبرة المقطعيّة في هذا النّوع من الإنجليزيّة قيمة صوتم ثانويّ. وإن حذفنا النّقطة الصّغيرة من تحت الأصوات المقطعيّة [r, l, m, n]، كما كان ينبغي أن نفعل، في جميع الحالات الّتي تتحدّد فيها القيمة المقطعيّة بمجرّد طبيعة الصّواتم المجاورة، قد تصلح هذه النّقطة في الحالات المتبقّية علامة ثابتة للنّبرة المقطعيّة.

وباستعمال النّبر المقطعيّ تقلب بعض اللّغات علاقات الجهريّة الطّبيعيّة. وعلى هذا جعلت اللّهجات الألمانيّة الجنوبيّة الأصوات [i, u, y] مقطعيّة و[a] لا مقطعيّة في أشكال مثل [liab] [عزيز] و[guat] [حسَن]، و[gryan] [أخضر].

ويكمن نوع آخر من التّوزيع، في استعمال الفوارق النّطقيّة[1184] للموازنة بين المقطعيّ واللاّمقطعيّ في وظائف الأصوات الرّنّانة. وعادة ما يتمثّل هذا الأمر في إحداث النّوع اللاّمقطعيّ بغلق أشدّ من الغلق في النّوع المقطعيّ. فيجري في الإنجليزيّة الصّوتان الرّنّانان [i] و[u] لا مقطعيّين قبل الحركات وبعدها؛ وإذ رمزنا إلى هذين التّحقّقين اللاّمقطعيّين بـ[j] و[w]، يكون لنا [j] في (*yes*) [jes] [نعم]، و(*say*) [sej] [قال]، و(*buy*) [baj] [باع]، و(*boy*) [bɔj] [صبيّ]، ويكون لنا [w] في (*well*) [wel] [حسَن]، و(*go*) [gow] [ذهب]، و(*now*) [naw] [الآن]. وفي هذه الأمثلة تتحدّد وظيفة [j, w] اللاّمقطعيّة تحدّدا كافيا بالجهريّة الطّبيعيّة إذ تسبقها أو تعقبها حركة أكثر انفتاحا. إذن، ليست التّنوّعات الحقيقيّة في طريقة حدوث الأصوات، تمييزيّة هنا: الصّوتان [j , w]، بعد الحركات خاصّة من نوع [aj,

1184 articulatory (articulatoire)

[əj, aw] منفتحان انفتاحا شديدا، وحركة [a] كذلك مختلفة كثيرا عن [a] الاعتياديّة؛ وقبل حركةٍ كما في (*yes*) (*well*)، يكون لصوت [j] موضع للّسان أعلى وأكثر تقدّما من كسرة [i] مقطعيّة، ويكون لصوت [w] موضع للّسان أعلى من ضمّة [u] مقطعيّة، ويحدث بانقباض خفيف من الشّفتين. والآن، هذه الفوارق الأخيرة تُستعمَل في الإنجليزيّة فوارقَ صوتميّة: حتّى إذا ما كانت الوظيفة غير محدّدة بالجهريّة الطّبيعيّة، فإنّنا نميّز الصّوتين [j, w] الأضيقين اللاّمقطعيّين على أنّهما صوتمان مستقلاّن، من الصّوتين [i, u] المنفتحين المقطعيّين. نميّز حينئذ بين [uw] في (*ooze*) [uwz] [طين، وحَل]، و[wu] في (*wood*) [wud] [غابة، خشب]، وبين [ij] في (*ease*) ب[ijz]] [يُسر]، و[ji] النّادرة، كما في العبارة السّوقيّة (*yip*) [jip]، بل إنّنا نجد تجميعات من قبيل [jij, wuw]، كما في (*yeast*) [jijst] [خَميرة]، و(woo) [wuw] [تودّد]. وعندما يجري عنصران مختلفان من مجموعة [i, u, r] معا في مقطع منبور، يكون الأوّل منهما لا مقطعيّا: (*you*) [juw] [أنت]، (*yearn*) [jɪn] [تاق، حنّ]، (*win*) [win] [فاز]، (*work*) [wɪk] [عمل]، (*rid*) [rid] [تخلّص من]، (*roof*) [ruwf, ruf] [سقف]. و لكن نجد في المقاطع غير المنبورة، مواطن تمييز بين (*hire*) [hajr] [أجّر، تأجير]، مقابل (*higher*) ['hajɪr] [أعلى]، و(*pair*) [pejr] [زوج]، مقابل (*payer*) ['pejɪr] [دافِع]، و(*sore*) [sowr] [قرحة]، مقابل (*sower*) ['sowɪr] [زارِع]. يُسمّى الصّوت الرّنّان اللاّمقطعيّ الّذي يكون، بفضل تحوير ما، متميّزا صوتميّا من الرنّان المقطعيّ المناسب له، نصفَ حركة[1185].

وبنفس الطّريقة، تحدِث الفرنسيّة الحركات المرتفعة [i, u, y] بدرجة أكبر من الغلق والشّدّة[1186] عندما تكون لا مقطعيّة، كما في (*hier*) [jɛ:r] [أمس]، (*oie*) [wa] [إوزّ]، (*ail*) [a:j] [ثوم]، (*huile*) [ɥil] [زيت]، وتعامل هذه الأنواع على أنّها صواتم أنصاف حركات مستقلّة بالتّمييز، على سبيل المثال، بين (*oui*) [wi] [نعم]، و(*houille*) [u:j] [فحم حجريّ]، وباستعمال السّلسلة [ij] كما في (*fille*) [fi:j] [بنت].

7. 11. تتوالف الحركات والأصوات الرّنّانة في صواتم مركّبة، تعرَف بالحركات الثّنائيّة[1187]، أو بالحركات الثّلاثيّة[1188] إن كانت المكوّنات ثلاثة. ويرتبط اعتبار سلسلة من الصّواتم صوتما مركّبا أو لا ارتباطا تامّا بالبنية الصّوتيّة في اللّغة. في الإنجليزيّة، تعامَل سلاسل مثل [je] في (yes) أو [we] في (well)، على أنّهما صوتمان تماما مثل أيّ سلسلة من حرف مع حركة، ولكنّ التّوليفات من حركة مع نصف حركة تعامل على أنّها صواتم مركّبة. ولنا من هذا القبيل توليفات سبع، وكذلك حركة ثلاثيّة تتركّب من نصف حركة–حركة–نصف حركة:

1185 semi-vowel
1186 tensity
1187 diphtong(s)
1188 triphtong(s)

[ينظر]	['sijiŋ]	*seeing*		[رأى، نظر]	[sij]	*see*
[يقول]	['sejiŋ]	*saying*		[قال]	[sej]	*say*
[يشتري]	['bajiŋ]	*buying*		[اشترى]	[baj]	*buy*
[صبيانيّ]	['bɔjiš]	*boyish*		[صبيّ]	[bɔj]	*boy*
[يفعل]	['duwiŋ]	*doing*		[فعل]	[duw]	*do*
[يذهب، ذاهب]	['gowiŋ]	*going*		[ذهب]	[gow]	*go*
[ينحني، منحن]	['bawiŋ]	*bowing*		[انحنى]	[baw]	*bow*
[أقلّ]	['fjuwr̩]	*fewer*		[قليل]	[fjuw]	*few*

وسوف نرى في الفصل القام أنّ هذه التّجميعات تؤدّي في البنية الصّوتيّة في أشكالنا الكلاميّة ما تؤدّيه صواتم الحركات البسيطة، من الأدوار. وتظهر التّحويرات المخصوصة غير التّمييزيّة، وخاصّة تلك الجارية في [] الّتي أشرنا إليها أعلاه، غالبا في الحركات الثّنائيّة، ولكنّ هذا الأمر ليس ذا أهمّية ثانويّة؛ فالسّمة الأساسيّة تكمن في المعاملة البنيويّة الخاصّة. وتكمن خصيصة غير تمييزيّة أخرى لما عندنا من الحركات الثّنائيّة خاصّة، في نطقها المختلف في أغلب أنماط النّطق الأمريكيّ عندما تكون قبل [r]: تقارب في هذا الموقع خصيصةَ حركة مفردة طويلة وبالأحرى شديدة:

[ثابت، أكيد]	[šuwr]	*sure*		[معدّات]	[gijr]	*gear*
[مجذاف]	[owr]	*oar*		[هواء]	[ejr]	*air*
[ساعة].	[awr]	*hour*		[نار]	[fajr]	*fire*

ففي بعض أنماط النّطق، تختلف هذه الأنواع المحوّرة من أيّ حركة بسيطة، شاهدوا:

[أجشّ]	[howrs]	*hoarse*	[لبِس]	[wowr]	*wore*	[ماري]	['mejrij]	*Mary*
			[فرَس]	[hors]	*horse*	[مرِح]	['merij]	*merry*
			[حرب].	[wɔr]	*war*	[زوّج، تزوّج]	['mɛrij]	*marry*

غير أنّ الكثير من أنماط النطق يفتقر إلأى بعض هذه الفوارق أو جميعها؛ وفي هذه الأنماط لا تجري قبل [r] إمّا أنّ بعض الحركات الثّنائيّة أو بعض الحركات البسيطة.

تجري الحركات الثّنائيّة كذلك في لغات لا تعامل الحركات المقطعيّة والرحكات اللاّمقطعيّة معاملة الصّواتم المنفصلة. ففي الألمانيّة، تعامَل توليفةُ [aj] كما في (*Eis*) [ajs] [جليد]، وتوليفةُ [oj] كما في (*neu*) [noj] [جديد]، وتوليفةُ [aw] كما في (*Haus*) [haws] [منزل]، بنيويّا صواتمَ مفردة1189. وكذا في الإنجليزيّة، تختلف المكوّنات اختلافا كبيراعن شكلها الاعتياديّ: يكون للعناصر اللاّمقطعيّة صفةُ نصف

1189 unit phoneme(s)

الحركة عوضا عن صفة الحركة المرتفعة، وتوجد توليفةُ [oj] خاصّة، في أنواع كثيرة تشبه في بعض أنماط النّطق، بالأحرى، توليفةً بين حركات أماميّة مستديرة، لنقل، [øɥ].

تُسمّى الحركات الثّنائيّة، مثل تلك الإنجليزيّة والألمانيّة، حيث يسبق الجزء المقطعيُّ، حركات ثنائيّة نازلة، مقابلَ الحركات الثّنائيّة الصّاعدة حيث يسبق الجزء اللاّمقطعيّ. وعلى هذا، تعامَل في الفرنسيّة التّوليفتان مثل توليفة [jɛ] كما في (fier) [fjɛr] [فخور]، وتوليفة [wa] كما في (moi) [mwa] [أنا]، بنيويّا صواتم مفردة. وفي الإيطاليّة تعامَل التّوليفتان [jɛ, wɔ] حركتين ثنائيّتين، وينطبق الأمر نفسه على [je, we] في الإسبانيّة.

ولبعض اللّغات صواتم مركّبة من حركات مقطعيّة وحروف لا مقطعيّة. ففي اللّيتوانيّة لا تكون الصّواتم [l, r, m, n] مقطعيّة أبدا، ولكنّ التّوليفات مثل [al, ar, am, an] تعامَل بنيويّا ونبريّا[1190] على أنّها حركات ثنائيّة، بمعزل عن [aj] أو [aw].

7. 12. بما أنّ التّقطيع[1191] أمر متعلّق بالطّبقة النّسبيّة للصّواتم، يمكن أن يُقوّى[1192] أو يقاوَم[1193] بتعديلات في النّبرة. وربّما تغلب عادةُ التّقوية[1194] في جلّ اللّغات. ففي الفرنسيّة حيث لا يكون النّبر تمييزيّا، يقوّى كلّ مقطع بزيادة طفيفة في النّبرة على جزئه المقطعيّ، فإذا كان عنصر لا مقطعيّ واحد فقط قبل العنصر المقطعيّ، يبدأ الارتفاع من هذا العنصر اللاّمقطعيّ، وإن كان اثنان تُعامَل التّجميعات المختلفة معاملة مختلفة: (*pertinacité*) [pɛr-ti-na-si-te] [إفاديّة]، (*patronnesse*) [pa-trɔ-nɛs] [ربّة العمل]. وليس هذا التّوزيع لمواطن الارتفاع والنّزول الطّفيفين للنّبرة تمييزيّا.، إذ يحدّد تحديدا تامّا بطبيعة الصّواتم الأوّليّة. فيلوّن اللّغة، في أسماعنا، بصوت طبل[1195] أو طقطقة[1196] سريع. وتغلب العادة نفسها في لغات كثيرة من ذوات النّبر، من قبيل الإيطاليّة والإسبانيّة والبولونيّة والبوهيميّة وحتّى الرّوسيّة الّتي لا تملك نبرا تمييزيّا فقط بل تُضعِف الحركات غير المنبورة أيضا. وعلى ذلك، تنقسم المقاطع في الكلمتين الإيطاليّتين (*pertinacia*) [per-ti-'na-ča] [عناد]، و(*patronessa*) [pa-tro-'nes-sa] [ربّة العمل]، بمواطن صعود ونزول في النّبرة تكون موسومة وسما بارزا في المقاطع المنبورة، وخفيفة في ما عداها.

ولا ترسَم، في الإنجليزيّة واللّغات الجرمانيّة، الحدود بين المقاطع غير المنبورة بمواطن صعود ونزول في النّبرة. ففي كلمة مثل (*dimity*) ['dimitij] [ستار قطنيّ]، أو (*patroness*) ['pejtrones] [ربّة العمل]، يكون للنّبرة مجرّد نزول بعد بلوغها أعلى نقطة لها على المقطع الأوّل. فمن الجليّ أنّ هناك

1190 accentually
1191 syllabication
1192 re-enforc(d)
1193 oppose(d)
1194 re-enforcement
1195 drumming
1196 pattering

ثلاثة مقاطع، لأنّ هناك ثلاثَ قمم من الجهريّة الطّبيعيّة، ولكن يستحيل القول أين ينتهي المقطع الواحد ويبدأ الموالي. وفي أشكال مثل (*pertinacity*) [pɤti'nɛsitij] [عِناد]، أو(*procrastination*) [proɪkrɛsti'nejšɳ] [إرجاء]، توسَم بداية المقاطع المنبورة وسما بارزا بمطلع النّبرة، ولكن ما من حدٍّ بين سائر المقاطع مرسوم بأيّ وجه من الوجوه.

ويمكن أن ينشئ توزيع النّبرة قمما جهريّة تكون مستقلّة عن الجهريّة الطّبيعيّة في الصّواتم. وكنّا قد رأينا أنّ الصّواتم [r, l, m, n] في الإنجليزيّة، قد تكون أعلى طبقة من الصّواتم المجاورة، فتكون تبعا لذلك مقطعيّة، بفضل زيادة طفيفة في النّبرة.

بل إنّ توزيع النّبرة يمكن أن يغلب علاقاتِ الجهريّة الطّبيعيّة. ففي توليفة مثل [dzd]، يكون صوت [z] أكثر جهريّة من صوتي [d]، وفي [kst] يكون صوت [s] أكثر جهريّة من الصّوتين الانحباسيّين، ولكن في الإنجليزيّة، تكون النّبرة العالية الوحيدة في أشكال مثل (*adzed*) [ɛdzd] [مقطوع أو منحوت بقدوم النّجارة]، و(*text*) [tekst] [نصّ]، و(*step*) [step] [خطوة]، من طبقة عالية جدّا بوجه يحجب جميع هذه الفوارق الصّغيرة في الجهريّة. وتُغرِق بعض اللّغات من ذوات النّبرة، بهذه الطّريقة، حتّى الجهريّة في الأصوات الموسيقيّة في الغالب: على هذا، تنطق الرّوسيّة ما يلي، بفضل النّبرة، على أنّها كلمات أحاديّة المقطع: [lba] [من الجبين، جبينيّ]، [rta] [من الفم، فمويّ]، وبالمثل تفعل البولونيّة في (*trwa*) [trva] [يدوم زمنا] و(*msza*) [mša] [كتلة].

هوامش الفصل:

[1] يرمز علماء الأصوات في الغالب إلى الأصوات المعطّشة الإنجليزيّة بعلامة [*t*] و[*s*] طويلة وبعلامة [*d*] و[*z*] طويلة، ترسمان متجاورتين معا أو موصولتين بخطّ منحن صغير.

الفصل الثّامن:

البنية الصّوتيّة

8. 1. لا تعدو أوصاف أصوات الكلام من قبيل تلك الواردة في الفصلين السّابقين، إلاّ نتيجة للملاحظة بالصّدفة. وقد قامت تلك الأوصاف على حركات شخص متكلّم: قد تُبين الملاحظة الفيزيولوجية المدقَّقة أنّ بعضها غالط. والأهمّ من ذلك أنّ الفوارق والتّنوّعات الّتي تُلاحَظ، من قبيل الفرق في الأصوات الانحباسيّة غير المجهورة [p, t, k] بين الفرنسيّة والإنجليزيّة، لا تُتلَقى وفق أيّ من المبادئ الثّابتة (من قبيل ما يمكن أن تعطينا إيّاه الصّوتيّات الأكوستيّة في يوم من الأيّام)، وإنّما هي مدينة في جريانها للمصادفة الّتي يكون فيها ملاحِظ ما ذو أذن جيّدة قد سمع كلاّ من اللّغتين المعنيّتين. وتوسِّع دراسة أيّ لهجة جديدة قائمة الفروق الّتي يمكن لأذن عالم الأصوات أن تسمعها، تماما كما تضيف ملاحظةُ اللّهجات الألمانيّة الجنوبيّة أو لغاتٍ أمريكيّة هنديّة بعينها، شيئا إلى أنواع الأصوات الانحباسيّة غير المجهورة الّتي يمكن جمعها من الإنجليزيّة المعياريّة والفرنسيّة المعياريّة. فالملاحظة ذات مدى عشوائيّ ودقّتها محلّ شكّ والعبارات الّتي تصاغ فيها ضبابيّة. فالصّوتيّات العمَليّة مهارة، عند دارس اللّغات هي في الغالب مهارة مفيدة، ولكنّها ذات قيمة علميّة محدودة.

ولهذا السّبب يكون تحليل الأثر الأكوستيّ العامّ في لغة ما خارج طاقتنا. فنحن نفسّر بعض الآثار السّطحيّة: الإيقاعيّة[1197] في جريان الإيطاليّة (في الآذان الإنجليزيّة) سببه تقسيم المقاطع، والوقع "الحلقيّ"[1198] في الهولنديّة (في أسماعنا) سببه استعمال حرف تكريريّ لهويّ (§ 6. 7) وأصواتٍ انسيابيّة غشائيّة (§ 6. 8). غير أنّ هذا القبيل من الملاحظات المتعلّقة بـ"أساس التّقطيع"، في العموم، قدرُه أن يكون ضبابيّا. فالأنجليزيّة (مقابل الفرنسيّة أو الألمانيّة، مثلا) يتأخّر فيها الفكّ، ويضيف النّطق الإنجليزيّ الأمريكيّ في الوسط وفي الغرب، نزوعا إلى رفع أسلة اللّسان. والألمانيّة والفرنسيّة (مقابل الإنجليزيّة) يتقدّم فيهما الفكّ وتستعملان العضلات استعمالا أقوى– يكون في الألمانيّة بحركات واسعة جارفة، وفي الفرنسيّة بحركات أصغر وأدقّ، خاصّة في مقدّم الفم. والدّنماركيّة تنجذب فيها العضلات إلى الدّاخل في اتّجاه المستقيم الوسيط في الفم. والملاحظات من هذا القبيل، مفيدة في الغالب في فهم نطق ما أو في محاكاته، ولكنّها غائمة غير دقيقة. وعلينا أن ننتظر الصّوتيّات المخبريّة لتعطينا بيانات دقيقة جديرة بالثّقة.

غير أنّ الشّيء المهمّ في شأن اللّغة، ليس الوجه الّذي به تحدث أصواتا. فحركة المتكلّم وتشويش الهواء ونزيز طبلة الأذن عند السّامع (انظر (ب) من § 2. 2) ليست في ذاتها إلاّ لحظة قصيرة جدّا. والمهمّ في شأن اللّغة إنّما هو دورها في الرّبط بين مثير المتكلّم ((أ) من § 2. 2) واستجابة السّامع ((ب)

1197 « patterning » run
1198 « guttural » sound

من § 2. 2)). ولا يقوم هذا الرّبط، كما رأينا (§ 5. 4)، إلاّ على عدد قليل نسبيّا من سمات الشّكل الأكوستيّ، أي على السّمات الّتي نسمّيها صواتم. وكلّ ما هو ضروريّ، لاشتغال اللّغة، إنّما هو اختلاف كلّ صوتم عن جميع الصّواتم الأخرى اختلافا لا مجال فيه للخطإ. وفي ما عدا هذا الاختلاف، يكون مدى التّنوّع فيه وطبيعته الأكوستيّة غير ذوي إفادة. ويمكن أن تُعوَّضَ أيّ لغة، في جميع قيمها الأساسيّة، بأيّ نظام من العلامات المتمايزة تمايزا دقيقا، شريطة أن تُجعَل علامة واحدة مكان كلّ صوتم من تلك اللّغة. ويتحقّق التّعويض من هذا القبيل بكتابة صوتيّة صحيحة، كتابة تستجيب لمتطلّبات الدّقّة والإفادة باستعمال رمز واحد وحيد لكلّ صوتم ليس غير. ولكنّ هذا التّعويض قد جرى باعتماد الكتابة الألفلبائيّة التّقليديّة وإن بوجه منقوص زيادة على كونه كافيا بوجه مرضيّ للغايات العمَليّة. لا تكمن، حينئذ، أهمّيّة صوتم في التّشكّل الفعليّ لموجاته الصّوتيّة. ولكنّها تكمن بكلّ بساطة في الفرق بين هذا التّشكّل وتشكّلات سائر الصّواتم جميعها من اللّغة نفسها.

وحتّى المعرفة المكتمِلة بالأكوستيّات لا تعطينا بذاتها، لهذا السّبب، البنيةَ الصّوتيّة في لغة ما. فيكون من الواجب دائما أن نعرف أيّ السّمات الأكوستيّة الخام، بحكم المعاني، "هي نفسها[1199]" وأيّها "مختلف[1200]" عند المتكلّمين. ويتمثّل السّبيل الوحيد إلى هذا، في وضعيّة المتكلّم وفي استجابة السّامع. فكلّ وصف يفشل في الفصل بين السّمات التّمييزيّة والسّمات غير التّمييزيّة، يمكنه أن يفيدنا بشيء زهيد أو بلا شيء عن البنية في لغة ما. ومن هذا الاعتبار، يكون لتسجيل ميكانيكيّ، على الأقلّ، مزيّة الحفاظ على الوقائع الأكوستيّة غير مشوّهة. ومن الأرجح أنّ التّسجيلات اليدويّة الحرّة "الدّقيقة" الّتي ينجزها خبراء الأصوات المتحمّسون، تتضمّن إصرارا على تسجيل فوارق أكوستيّة غير مفيدة تجعل تقييداتهم رهينة لمجرّد الظّرف الّذي تعلّم فيه الملاحظ الاستجابة لها. وعلى هذا الأساس، يكون من الممكن أن نجد مجموعة "الأصوات" نفسها في لغات ذات أبنية صوتميّة مختلفة تمام الاختلاف. فعلى سبيل المثال، يمكن أن تُظهِر كلتا اللّغتين سبعةَ أصوات "حركيّة" متماثلة، ولكن قد تكون هذه الأصوات في اللّغة (ب) سبعةَ صواتم مختلفة، في حين تكون في اللّغة (أ) الحركتان [ɛ] و[ɔ] بديلين غير تمييزيّين من [a]، و[e, o] من [i, u] على التّوالي. وقد يبدو أنّ اللّغتين كلتيهما تظهِران مديين للحركات، ولكنّ هذين المديين قد يكونان صوتميّين في اللّغة (أ) (كما هو الأمر في الألمانيّة)، في حين أنّهما في اللّغة (ب) قد يكونان بديلين غير تمييزيّين. وقد تظهر كلتاهما صوتين انحباسيّين غير مجهورين صريحا[1201] ومهتوتا، صوتمين مختلفين في اللّغة (أ) ومجرّد بديلين غير تمييزيّين في اللّغة (ب). وقد يكون لكلتيهما سلسلة من الأصوات الانسيابيّة المجهورة، لكنّ هذه الأصوات قد تكون تمييزيّة في اللّغة (ب)، في حين أنّها توجد في اللّغة (أ) على أنّها مجرّد بدائل من الأصوات الانحباسيّة بين الحركات.

1199 « the same »
1200 « different »
1201 plain

فما من شيء مفيد في البنية اللّغويّة– أي في العمل الّذي تؤدّيه، إلاّ صواتم اللّغة. وقد يكون وصف السّمات غير التّمييزيّة مهمّا جدّا ولكن لبلوغ هذه الغاية وجب أن يكون أكثر اكتمالا وأشدّ دسامة من أيّ وصف قد أُنجِز إلى حدّ الآن.

8. 2. وعلى هذا يكون من الواجب على أيّ لا ئحة في صواتم لغة ما أو جدول فيها أن تهمِل جميع السّمات غير التّمييزيّة. وتقام اللّوائح أو الجداول من هذا القبيل، عادة على أساس تصنيفات صوتيّة عمليّة، فيكون لنا حينئذ ما يلي:

الإنجليزيّة الأمريكيّة (شيكاغو)														
	k								p				غير مجهور	انحباسيّ،
	g								b				مجهور	
				č									غير مجهور	احتكاكيّ،
				ĵ									مجهور	
h				š	s	θ	f						غير مجهور	انسيابيّ،
				ž	z	ð	v						مجهور	
	ŋ				n				m					أنفي
					l									جانبيّ
					r									معكوس
		w		j										نصف الحركة
		u		i									عالية	حركة،
		o		e									وسيطة عليا	
		ɔ		ɛ									وسيطة منخفضة	
		α		a									منخفضة	
													ثانويّة:	صواتم
									ˈ	'	"		نبرة	
					'								نبرة مقطعيّة	
								,	!	?	¿	.	نغمة	

غير أنّ الجداول من هذا القبيل، حتّى إذا ما أقصت السّمات غير التّمييزيّة، تكون غير ذات إفادة لبنية اللّغة، لأنّها تجمّع الصّواتم وفق التّصوّر النّفسيّ لطبيعتها عند اللّسانيّ، لا وفق الأدوار الّتي تؤدّيها الصّواتم العديدة في اشتغال اللّغة. فجدولنا لا يُظهر، على سبيل المقال، أنّ الصّوتين النفيّين [m] و[n] يجريان في بعض الأحيان صوتين مقطعيّين في المقاطع غير المنبورة كما في (*bottom*) [ˈbɑtm̩] [تحت، أسفل]، و(*button*) [ˈbotn̩] [زرّ]، في حين لا يجري الثّالث [ŋ]، كذلك. ويقصر عن إظهار أنّ صوت [l] لا يجري مقطعيّا إلاّ في المقاطع غير المنبورة، كما في (*bottle*) [ˈbɑtl̩] [قارورة]، في حين يمكن لصوت [r] أن يجري مقطعيّا بصرف النّظر عن النّبرة، كما في (*learner*) [ˈlɝnɚ] [متعلّم]. ولا يُظهر أيَّ الحركات وأنصافَ الحركات تتوالف لتكوين صواتم مركّبة. ولإظهار هذه الحقائق البنيويّة، نحتاج بالضّرورة إلى جدول إضافيّ يكون تقريبا كما يلي:

I- الصّواتم الأوّلية

أ- الحروف، لا مقطعيّة دائما أو في بعض الأحيان:

1. الصّمّاء[1202]، لا مقطعيّة دائما: [p t k b d g čĵ f θ s š h v ð z ž ŋ]

2. الرّنّانة، مقطعيّة في بعض الأحيان:

(أ)- أنصاف الحروف[1203]، تتحدّد المقطعيّة فيها بالأصوات المجاورة وبالنّبرة المقطعيّة:

(1) أشباه الحروف[1204]، لا تكون مقطعيّة إلاّ في المقاطع غير المنبورة: [m, n, l]

(2) شبه الحركة[1205]، مقطعيّ كذلك في المقاطع المنبورة: [r]

(ب)- أنصاف الحركات، تتحدّد المقطعيّة فيها كذلك بنمط النّطق؛ وتكوّن الحركات الثّنائيّة:

(1) لا مقطعيّة: [j w]

(2) مقطعيّة: [i u]

ب- الحركات، مقطعيّة دائما:

1. حركات ثنائيّة وثلاثيّة، الصّواتم المركّبة: [ij uw ej ow aj aw ɔj juw]

2. حركات بسيطة: [e o ɛ ɔ a α]

II- الصّواتم الثّانويّة:

أ- النّبرة المقطعيّة، تنطبق على أنصاف الحروف: [ˌ]

ب- أشكال النّبرة، تنطبق على الأشكال الدّالّة: [ˌ ' "]

ج- النّغمة، ترتبط بنهاية الملفوظ:

1. وسطيّة: [,]

2. نهائيّة: [! ? ¿ .]

1202 mute(s)
1203 semi-consonant(s)
1204 consonantoid(s)
1205 vocaloid

8. 3. الأدوار الّتي تؤدّيها الصّواتم عندنا في بنية لغتنا متنوّعة، في الواقع، تنوّعا أكثر من هذا بكثير؛ وبالفعل يمكننا أن نظهر بيسر أنّه لا يؤدّي صوتمان منها الدّور نفسه بالتّحديد.

وبما أنّ أيّ ملفوظ يتضمّن، بالحدّ، صوتما مقطعيّا واحدا على الأقلّ، تكون أبسط طريقة في وصف البنية الصّوتيّة للغة ما في بيان أيّ الصّواتم اللاّمقطعيّة أو أيّ المجموعات من الصّواتم اللاّمقطعيّة (تجميعات1206) تظهر في المواضع الثّلاثة الممكنة: الابتدائيّ1207، قبل الصّوت المقطعيّ الأوّل من ملفوظ ما؛ الانتهائيّ1208؛ بعد الصّوت المقطعيّ الأخير من ملفوظ ما؛ والوسطيّ1209، بين المقطعيّين.

وفي هذا الصّدد، تؤدّي الحركات الثّنائيّة والحركة الثّلاثيّة في الإنجليزيّة الدّور نفسه الّذي تؤدّيه الحركات البسيطة. وذاك بالتّحديد هو الواقع الّذي يدفعنا إلى تصنيفها على أنّها صواتم مركّبة لا على أنّها مجرّد متواليات1210 من الصّواتم.

ولضمان الوضوح سوف أجعل رقما قبل كلّ صوتم أو كلّ مجموعة من الصّواتم تظهِر أيّ خصوصيّة في سلوكها البنيويّ1211.

فإذا ما أخذنا أوّلا الأصوات اللاّمقطعيّة الابتدائيّة، وجدنا في الوهلة الأولى أنّ صوتمين لا يبدآن ملفوظا أبدا؛ هما (1) [ŋ, ž]. ونهمل الأشكال الأجنبيّة، من قبيل الاسم الفرنسيّ (*Jeanne*) [žan].

ينضاف إلى ذلك، لا تظهر ستّة من الأصوات اللاّمقطعيّة الّتي تجري في الموضع الابتدائيّ، أبدا عناصر في تجميعة ابتدائيّة: (2) [v, ð, z, č, ĵ, j].

وتبدأ التّجميعات الابتدائيّة كلّها بواحد من الأصوات اللاّمقطعيّة التّالية: (3) [p, t, k, b, d, g, f, θ, s, š, h]. ونجد هنا اتّفاقا بين التّجميع البنيويّ ووصفنا الفيزيولوجيّ، بما أنّ المجموعة البنيويّة (3) عندنا تضمّ بالتّحديد مجموعة الأصوات الانحباسيّة والأصوات الانسيابيّة غير المجهورة.

إذا كان الحرف الأوّل من التّجميعة (4) [s]، يمكن أن يكون متبوعا بواحد من المجموعة (5) [p, t, k, f, m, n]، كما في (*spin*) [مغزل، محور]، (*stay*) [بقي]،(*sky*) [سماء]،(*sphere*) [جسم كرويّ]،(*small*) [صغير]،(*snail*) [حلزون].

ويمكن أن تكون جميع الأصوات الابتدائيّة من المجموعة (3) وجميع التّوليفات بين (4) [s] و(6) [p, t, k]، متبوعة بواحد من المجموعة (7) [w, r, l]، بالقيود التّالية:

1206 cluster(s)
1207 initial
1208 final
1209 medial
1210 successsion(s)
1211 structural behavior

لا ترد (8) [w] أبدا بعد (9) [p, b, f, š]، ولا ترد أبدا بعد توليفة من (4) [s] و(10) [t]. وعلى هذا، تكون التّجميعات الفعليّة ممثّلة في الكلمات (*twin*) [توأم]، و(*quick*) [سريع]، و(*dwell*) [أقام]، و(*Gwynne*) [غوينّ (اسم علم)]، و(*thwart*) [تصدّى]، و(*swim*) [سبَح]، و(*when*) [hwen] [متى]، و(*squall*) [شجار، صياح].

ولا ترد (11) [r] أبدا بعد (12) [s, h]، فتكون على هذا، التّجميعات متمثّلة في تلك الّتي تبدأ الكلماتِ (*pray*) [صلّى]، و(*tray*) [طبَقٌ]، و(*crow*) [غراب]، و(*bray*) [نهق]، و(*dray*) [شاحنة]، و(*gray*) [رماديّ]، و(*fray*) [مشاجرة]، و(*three*) [ثلاثة]، و(*shrink*) [انكمش]، و(*spray*) [نثر]، و(*stray*) [تاه]، و(*scratch*) [خدش].

ولا ترد (13) [l]، أبدا بعد (14) [t, d, θ, š, h]، ولا ترد أبدا بعد التّوليفة بين (4) [s] و(15) [k]. ووفقا لذلك تكون التّجميعات تلك الّتي تظهر في (*play*) [لعب]، و(*clay*) [طين]، و(*blue*) [أزرق]، و(*glue*) [لصق]، و(*flew*) [طار]، و(*slew*) [انحرف]، و(*split*) [فلق].

8. 4. نصل الآن إلى التّجميعات النّهائيّة. تخضع هذه التّجميعات للقاعدة العامّة الّتي بمقتضاها لا يجري الصّوتم نفسه أبدا في موضعين متجاورين: لا وجود لمجموعات نهائيّة من قبيل [ss] أو [tt]. وتصلح هذا القاعدة كذلك للتّجميعات الابتدائيّة وهي مقتضاة ضمنيّا من وصفنا لتلك التّجميعات، ولكنّها لا تستقيم، كا سنرى، في التّجميعات الوسطيّة.

لقد التزمنا باعتبار التّوليفات بين حركةٍ ما مع [j] أو [w]، صواتمَ مركّبة (حركات ثنائيّة)، فلا يمكننا وفقا لذلك أن نعدّ هذه التّوليفات أصواتا لا مقطعيّة نهائيّة أو أجزاء من تجميعات. فإذا ما أقصينا، وفقا لذلك، هذه الحالات (مثلا (*say*) [sej] [قال]، و(*go*) [gow] [ذهب])، نجد أنّ (16) [h, j, w] لا تجري أصواتا لا مقطعيّة نهائيّة أو عناصر في تجميعات نهائيّة. وجميع الأصوات اللاّمقطعيّة المتبقّية تجري في كلّ من تينك الوظيفتين.

وتتكوّن التّجميعات النّهائيّة في الإنجليزيّة من اثنين أو ثلاثة أو أربعة من الأصوات اللاّمقطعيّة. فيمكن للمرء أن يصف التّوليفات بأبسط ما يكون، بأن يقول إنّ كلّ تجميعة تتكوّن من حرف نهائيّ رئيسيّ[1212] يمكن أن يكون مسبوقا بحرف ما قبل نهائيّ[1213] يمكن أن يكون بدوره مسبوقا بحرف ما قبل نهائيّ ثان؛ وفوق ذلك يمكن أن يكون النّهائيّ الرّئيسيّ متبوعا بحرف ما بعد نهائيّ[1214]. يعطينا هذا ستّا من الإمكانيّات:

1212 main final consonant
1213 pre-final
1214 post-final

	دون ما بعد نهائيّ	بما بعد نهائيّ
نهائيّ رئيسيّ وحيد:	[-t] (*bet*) [رهان]	[-ts] (*bets*) [رهانات]
ما قبل نهائيّ مع نهائيّ رئيسيّ:	[-st] (*test*) [اختبار]	[-sts] (*tests*) [اختبارات]
ما قبل نهائيّ ثان مع ما قبل نهائيّ مع نهائيّ رئيسيّ:	[-kst] (*text*) [نصّ]	[-ksts] (*texts*) [نصوص]

والحروف الّتي تجري ما بعد نهائيّة هي (17) [t, d, s, z]. ففي شكل مثل (*test*) أو (*text*) نسمّي [-t] حرفا نهائيّا رئيسيّا، لأنّ أشكالا مثل (*tests*) و(*texts*) موجودة، ينضاف فيها حرف زائد (حرف ما بعد نهائيّ)، ولكن في شكل مثل (*wished*) [wišt] [تمنّى]، نسمّي [-t] حرفا ما بعد نهائيّ لأنّ التّجميعة [-št] لا توازيها أيّ تجميعة تتكوّن بإضافة حرف زائد: لا وجود لتجميعة نهائيّة من قبيل [-šts]، مثلا.

جريان الحروف ما بعد النّهائيّة محدود بثلاثة من القيود المهمّة. فالحرفان ما بعد النّهائيّين (18) [t, s] هما الوحيدان اللّذان يجريان بعد الحروف النّهائيّة الرّئيسيّة (19) [p, t, k, č, f, θ, s, š]؛ وهذه الحروف ما بعد النّهائيّة نفسها لا تجري أبدا بعد أيّ صوت آخر، والحرفان ما بعد النّهائيّين (20) [t, d] هما الحرفان الوحيدان اللّذان يجريان بعد الحروف النّهائيّة الرّئيسيّة (21) [č, ĵ, s, z, š, ž].
ويجدر أن نلاحظ أنّ المجموعة (19) تتّفق، في ما عدا غياب [h]، مع القسم الفيزيولوجيّ للأصوات غير المجهورة، وأنّ المجموعة (21) تضمّ قسمي الأصوات المعطّشة[1215] والأصوات الصّفيريّة. وتجمع هذه القيود الحروفَ النّهائيّة الرّئيسيّة في ستّة من الأقسام:

قسم الأصوات الواردة في (19) وليست في (21)، يمكن أن تكون متبوعة بـ [t, s]، كما يكون [p] في (*help*) [أعان (فعل غير مصرّف)]، (*helped*) [أعان (فعل ماض منقض)]، (*helps*) [يعين (حاضر، ضمير غائب مفرد)]؛

قسم الأصوات الّتي ليست في (19) ولا هي في (21) يمكن أن تكون متبوعة بـ [d, z]، مثل [b] في (*grab*) [مسك (فعل غير مصرّف)]، (*grabbed*) [مسك (فعل ماض منقض)]، (*grabs*) [يمسك (حاضر، ضمير غائب مفرد)]؛

قسم الأصوات الّتي في (19) وفي (21) لا يمكن أن تكون متبوعة إلاّ بـ[t]، مثل [č] في (*reach*) [بلغ (فعل غير مصرّف)]، و(*reached*) [بلغ (فعل ماض منقض)]؛

قسم الأصوات الّتي في (21) ولكنّها ليست في (19) لا يمكن أن تكون متبوعة إلاّ بـ [d]، مثل [ĵ] في (*urge*) [حثّ (فعل غير مصرّف)]، (*urged*) [حثّ (فعل ماض منقض)]؛

1215 affricate(s)

حرف [t] في (19) ولكن ليس في (21)، بفعل قاعدة منع المضاعفة1216، لا يمكن أن يكون متبوعا إلاّ بـ[s]، كما في (*wait*) [انتظر (فعل غير مصرّف)]، و(*waits*) [ينتظر (حاضر، ضمير غائب مفرد)]؛

حرف [d] لا في (19) ولا في (21)، بفعل القاعدة نفسها، لا يمكن أن يكون متبوعا إلاّ بـ [z]، (*fold*) [فلق (فعل غير مصرّف)]، و(*folds*) [يفلق (حاضر، ضمير غائب مفرد)].

نعود الآن إلى الأصوات ما قبل النّهائيّة. الحروف الرّئيسيّة (22) [g, ð, ž, ŋ, r]، لا تكون أبدا مصحوبة بحرف ما قبل نهائيّ؛ والحروف (23) [b, g, č, ĵ, v, š]، لا تجري أبدا حروفا قبل نهائيّة. وتخضع التّوليفات المتبقّية لما يلي من القيود الإضافيّة:

لا يجري الحرفان ما قبل النّهائيّين (24) [l, r]، قبل النّهائيّ الرّئيسيّ (25) [z]. والتّوليفات بينهما، وفقا لذلك، هي تلك الّتي تظهر في الأمثلة التّالية: (*harp*) [قيثار]، و(*barb*) [نصل]، و(*heart*) [قلب]، و(*hard*) [شاقّ]، و(*hark*) [أنصت]، و(*march*) [سير]، و(*barge*) [بارجة]، و(*scarf*) [وشاح]، و(*carve*) [نقش]، و(*hearth*) [موقد]، و(*farce*) [مُلحة]، و(*harsch*) [خشِن]، و(*arm*) [ذراع]، و(*barn*) [مخزن الحبوب]، و(*help*) [مساعدة]، و(*bulb*) [بصلة]، و(*belt*) [حزام]، و(*held*) [مُقام]، و(*milk*) [حليب]، و(*filch*) [اختلس]، و(*bilge*) [جوف المركب]، و(*pelf*) [ثروة]، و(*delve*) [حفر عميقا]، و(*wealth*) [وفرة]، و(*else*) [آخر]، و(*Welsh*) [ويلزيّ]، و(*elm*) [شجر الدّردار]، و(*kiln*) [فرن].

ولا يجري الحرف ما قبل النّهائيّ (25) [n] إلاّ قبل الحروف النّهائيّة الرّئيسيّة (27) [t, d, č, ĵ, θ, s, z]، كما في (*ant*) [نمل]، و(*sand*) [رمل]، و(*pinch*) [قرص]، و(*range*) [مدى، مجال]، و(*month*) [شهر]، و(*once*) [مرّة]، و(*bronze*) [برونز].

لا يجري الحرف ماقبل النّهائيّ (28) [m] إلاّ قبل الحروف النّهائيّة الرّئيسيّة (29) [p, t, f, θ]، كما في (*camp*) [معسكر]، و(*dreamt*) [حلم (ماض منقض)]، و(*nymph*) [حوريّة]؛ وتجري توليفه مع الجرف ما قبل النّهائيّ الثّاني (11) [r]: (*warmth*) [دفء].

لا يجري الحرف ماقبل النّهائيّ (31) [ŋ] إلاّ قبل (32) [k, θ]، كما في (*link*) [صلة، علاقة]، و(*length*) [طول].

لا يجري الحرف ماقبل النّهائيّ (4) [s] إلاّ قبل (6) [p, t, k]، كما في (*wasp*) [زنبور]، و(*test*) [اختبار]، و(*ask*) [طلب]. وقبل (10)، يمكن أن تكون [t] مسبوقة بالحرف ما قبل النّهائيّ الثّاني (15) [k]، كما في (*text*) [نصّ].

1216 no doubling (rule of)

لا يجري الحرفان ما قبل النّهائيّين (33) [ð, z]، إلاّ قبل النّهائيّ الرّئيسيّ (28) [m]، كما في (*rhythm*) [إيقاع]، و(*chasm*) [هوّة].

لا يجري الحرف ماقبل النّهائيّ (10) [t] إلاّ قبل الحرفين النّهائيّين الرّئيسيّين (34) [θ, s]، كما في (*eighth*) [ejtθ] [ثامن]، و(*Ritz*) [ريتز] (قارنوا العبارة العامّيّة (*ritzed*) [ritst] [عومل بازدراء]، بـ[t] ما بعد النّهائيّة مزيدةً فيها). وتجري التّوليفة بينها وبين الحرف النّهائيّ الرّئيسيّ (4) [s]، كذلك، بالحرف ما قبل النّهائيّ الثّاني (11) [r] في (*quartz*) [كوارتز].

لا يجري الحرف ماقبل النّهائيّ (35) [d] إلاّ قبل (36) [θ, z]، كما في (*width*) [عرض]، (*adze*) [أداة نحت ونقش].

لا يجري الحرفان ما قبل النّهائيّين (37) [p, k]، إلاّ قبل الحرفين النّهائيّين الرّئيسيّين (18) [t, s]، كما في (*crypt*) [سرداب]، و(*lapse*) [هفوة، زلّة]، و(*act*) [عمَلٌ]، و(*tax*) [ضريبة]. ومن ذينك الحرفين، يجري الحرف ما قبل النّهائيّ (15) [k] قبل الحرف النّهائيّ الرّئيسيّ (4) [s]، كذلك مع الحرف الماقبل النّهائيّ الثّاني (31) [ŋ]، كما في (*minx*) [فتاة رعناء] (قارنوا العبارة العامّيّة (*jinxed*) [ʃiŋkst] [سبّب له سوء الحظّ]، بـ[t] ما بعد النّهائيّة مزيدةً فيها)؛ ويجري الحرف الآخر، أي [p]، مع الحرف الما قبل النّهائيّ الثّاني (28) [m]: (*glimpse*) [لمحة]، (*tempt*) [أغرى].

لا يجري الحرف ماقبل النّهائيّ (38) [f] إلاّ قبل (10) [t]، كما في (*lift*) [رفع].

وتتكوّن الحروف الوسطيّة اللاّمقطعيّة في الإنجليزيّة من جميع التّوليفات الكائنة بين الأصوات النّهائيّة مع الأصوات الابتدائيّة، ممتدّة ما بين التقاء الحركتين[1217] وغياب صوت لا مقطعيّ غيابا مطلقا، كما في (*saw it*) ['sɔ it]، حتّى تجميعاتٍ من قبيل ما في (*glimpsed strips*) [-mpst str-] [شاهد شرائط مشاهدة سريعة]، بما فيها مواطن تكرار الصّوتم الواحد كما في (*that time*) [-t t-] [ذاك الزّمن]، أو (*ten nights*) [-n n-] [عشر ليال].

8. 5. يظهر استعراض المجموعات الوظيفيّة الثّماني والثّلاثين من الأصوات اللاّمقطعيّة أنّ هذا التّصنيف يكفي لتحديد كلّ صوتم لا مقطعيّ في لغتنا. وبنفس الطّريقة، يمكن أن تُحدّد معظم الصّواتم المقطعيّة أو ربّما جميعها بالأدوار الّتي تكون لها في بنية لغتنا. وإذ اختلفت الأنواع المختلفة من الإنجليزيّة المعياريّة في توزيعات[1218] الصّواتم المقطعيّة، لن أذكر إلاّ قليلا من قوالب السّمات.

لا يجري من أنصاف الحروف[1219] إلاّ [r] في المقاطع المنبورة؛ ولا يجري أبدا قبل [r]. ويتميّز نصف الحركة المقطعيّ [u]، بالواقع المتمثّل في أنّها لا تجري في الموضع الابتدائيّ، ولا تجري في

1217 hiatus (hiatus)
1218 distribution(s)
1219 semi-consonant(s)

الموضع الوسطيّ إلاّ قبل [t, k, d, s, š, l]، كما في (*put*) [وضع]، و(*took*) [أخذ (منقض)]، و(*wood*) [خشب، غاب]، و(*puss*) [قِطّ]، و(*push*) [دفع]، و(*pull*) [جذب]، وتجري كذلك قبل [f, m] كما (*roof*) [سقف]، و(*room*) [غرفة]، ولكنّها تكون هنا دوما بجوار بديل أكثر أناقة بـ[uw]. ولا تجري [i] ولا [u] في الموضع النّهائيّ.

ومن الحركات، لا تجري [ɛ, α] قبل أنصاف الحركات (في توليفات الحركات الثّنائيّة) ولا تجري [ɔ] قبل [w]. ولا تجري في الموضع النّهائيّ إلاّ [ɔ, a] كما في (*saw*) [رأى (منقض)] و(*ma*) [أمّاه]. ولا تجري [a] إلاّ قبل [ž, m, r] كما في (*garage*) [مستودع]، و(*calm*) [هدأ]، و(*far*) [بعيد]، وقبل [ð] الوسطيّة كما في (*father*) [أب]. ولا تجري الصّواتم [i, e, ɛ, α] قبل [r] إلاّ إذا كان متبوعا بحركة أخرى، كما في (*spirit*) [روح]، و(*herring*) [سمك الرّنجة]، و(*marry*) [زوّج، تزوّج]، و(*sorry*) [أسف، آسف]؛ ولا تجري [o] قبل [r] إلاّ إذا كان [r] ما قبل نهائيّ كما في (*horn*) [قرن]، و(*horse*) [فرس]، و(*north*) [شمال]؛ والتّوليفة [or] غائبة تماما في الكثير من أنواع النّطق. ولا تجري الحركة [ɔ] قبل [r] إلاّ إذا كان مسبوقا بـ[w]، كما في (*war*) [حرب]، و(*dwarf*) [قزم]. ولا تجري الحركة [α] قبل [g] إلاّ بديلا من [ɔ] ذا انتشار أقلّ، كما في (*log*) [سجّل]، و(*fog*) [ضباب].

ومن الحركات الثّنائيّة، لا تجري إلاّ [ij, ej, ow] قبل [rs]، كما في (*fierce*) [وحشيّ]، و(*scarce*) [نادر]، و(*course*) [سباق، درس]؛ والحركتان الثّنائيّتان الوحيدتان المسموح بهما قبل سائر توليفات [r] جاريةً في المواضع ما قبل النّهائيّة، هما [ow] كما في (*cord*) [حبل، وتر]، و(*fork*) [فركة]، و(*torn*) [ممزَّق]؛ و[ej] في قلّة قليلة من الكلمات ذات اللّكنة اللّهجيّة: (*laird*) [مَخفِيّ]، و(*cairn*) [حجارة مكوّمة]. والحركات الثّنائيّة المسموح بها قبل [l] جاريا في الموضع قبل النّهائيّ هي [ij, aj, ow] ليس غير، وتجري الأُولَيان منها عندما يتبعها [d]، كما في (*field*) [حقل] و(*mild*) [معتدل]، و(*old*) [قديم]، و(*colt*) [مُهر، مسدّس]. ولا تجري قبل [n] واردا في الموضع قبل النّهائيّ إلاّ [aj, aw] بكلّ حرّيّة، كما في (*pint*) [نصف لتر] و(*mount*) [جبل]، و(*bind*) [ربط]، و(*bound*) [قيّد، مقيَّد]. وتجري [ɔj, ej] عندما يتبعها [t]، كما في (*paint*) [طلى، رسم] و(*point*) [أشار، نقطة]. ولا تجري الحركات الثّنائيّة قبل [ŋ].

وتختلف الحركة الثّلاثيّة [juw] من التّوليفات الاعتياديّة بين [j] مع حركة أو حركة ثنائيّة ((*yank*) [انتزع]، (*year*) [عام]، (*Yale*) [يال])، من حيث أنّها تجري بعد الحروف الابتدائيّة؛ فهي تجري بعد [p, k, b, g, f, h, v, m, n] كما في (*pew*) [مقعد خشبيّ طويل]، و(*cue*) [جديلة شعر]، و(*beauty*) [جمال]، و(*gules*) [لون ضارب إلى الحمرة]، و(*few*) [قليل]، و (*view*) [منظر، رؤية]، و(*muse*) [عروس الشّعر]، و(*new*) [جديد]، وتجري بعد التّجميعتين [sp, sk] كما في (*spew*) [تقيّأ]، و(*skew*) [مال، انحرف]، وبعد [n] هناك بديل أقلّ أناقة بـ[uw] عوضا عن [juw]، ولكن من جهة أخرى، تجري

[juw] في نطق أنيق بعد [t, d, θ, s, l, st] حيث [uw] هي البديل الأكثر شيوعا، كما في (*tune*) [نغَم]، و(*dew*) [ندى، طَلٌّ]، و(*thews*) [عضلات]، و(*sue*) [قاضى]، و(*lute*) [آلة العود]، و(*stew*) [طها].

وسوف نجد أنّ البنية النّحويّة للغة ما تقتضي تجميعات للصّواتم تثري المجموعات القابلة للتّحديد على أساس التّ͘عاقب[1220] (§ 13. 6).

8. 6. يختلف القالب البنيويّ اختلافا كبيرا في اللّغات المختلفة ويقودنا إلى التّعرّف على أنواع مختلفة من الصّواتم المركّبة. فللألمانيّة، على سبيل المثال، في كلّيّتها، خطاطة بنيويّة تشبه تلك الّتي للإنجليزيّة شبها كبيرا، ولكن بينهما بعض الفروق البارزة. فالأصوات الانحباسيّة المجهورة والانسيابيّة [b, d, g, v, z] لا تجري أبدا في الموضع النّهائيّ. ولا يمكن أن توصَف المجموعات الابتدائيّة وصفا يسيرا إلاّ إذا ما اعتبر المرء التوّليفتين الاحتكاكيّتين [pf, ts] صوتمين مركّبين، كما في (*Pfund*) [pfunt] [جنيه]، و(*zehn*) [tse:n] [عشرة]، و(*zwei*) [tsvaj] [اثنان]. والحركات الثّنائيّة الوحيدة هي [aj, aw, oj]؛ وتقود بساطة البنية في هذا الصّدد علماء الأصوات إلى كتابتها صوتيّا، عوضا عن ذلك، بـ[ai, au, oi]، إذ لا يمكن أن ينشأ اللّبس. ولا يختلف النّظام الفرنسيّ من حيث التّجميعات الخصوصيّة فقط، بل في مجالات أعمّ كذلك. فالحركات الثّنائيّة فيها صاعدة[1221]، من قبيل [jɛ, wa]. ويكمن الاختلاف الكبير في استعمال الصّوتم الحركيّ [ə] الّذي يحكم جريانَه القالب الصّوتيّ لى حدّ كبيربوجه يمكن أن يقال عنه إنّه يؤدّي دور صوتم الثّانويّ عوضا عن دور صوتم أوّليّ. ويجري الصّوتم [ə] حيثما أمكن نشوء تجميعة حرفيّة ممنوعة، من دونه. فيجري، على هذا، في (*le chat*) [lə ša] [القطّ]، لأنّ [lš] غير مسموح بها تجميعةً في الموضع الابتدائيّ. ولكنّه لا تظهر في [*l'homme*] [l ɔm] [الرّجل]، حيث لا تنشأ أيّ تجميعة. وتظهر في [*cheval*] [šəval] [فرس]، لإنّ التّجميعة [šv] غير مسموح بها في الموضع الابتدائيّ، ولكن بما أنّ هذه التّجميعة مسموح بها في الموضع الوسطيّ، يقول المرء (*un cheval*) [^{n} šval œ] [فرس واحد]. والتّجميعات الوسطيّة محدودة في الأغلب بحرفين؛ فتكون [rt] حينئذ مسموحا بها تجميعةً نهائيّة، كما في (*porte*) [pɔrt] [يحمل]، ولكن إن تبعها حرف ابتدائيّ، تُقحَم [ə]، كما في (*porte bien*) [pɔrtə bjɛ^{n}] [يحمل جيّدا]. ويظهر نظام آخر مختلف تمام الاختلاف في لغة من قبيل كري السّهول[1222]. وتجعل البنية الصّواتم خمسا من المجموعات: (1) الحركات [a, a: , e: , i, i: , u, o:]؛ وهذه هي الصّواتم المقطعيّة الوحيدة. (2) الحروف على أربعة أنواع: الانحباسيّة [p, t, k]، بما فيها المعطّش [č]، والانسيابيّان [s, h]؛ والأنفيّان [m , n]، ونصفا الحركة [j, w]. والإمكانيّات الابتدائيّة هي: لا حرف؛ أيُّ حرف؛ حرف انحباسيّ أو انسيابيّ أو أنفيّ مع نصف حركة. والإمكانيّات الوسطيّة هي: أيّ حرف؛ حرف انحباسيّ أو انسيابيّ أو أنفيّ مع نصف حركة؛ انسيابيّ مع انحباسيّ؛ انسيابيّ مع

1220 succession
1221 rising
1222 Plains Cree

انحباسيّ مع نصف حركة. والإمكانيّة النّهائيّة الوحيدة هي حرف واحد. ولا تسمح لغة الفوكس[1223] ذات القالب الصّوتيّ الشّبيه بهذا نوعا ما، بالحرف في الموضع النّهائيّ: ينتهي كلّ ملفوظ بحركة قصيرة.

في حين تكون الإنجليزيّة ثريّة بالتّجميعات الحرفيّة بوجه خاصّ، يسهل أن نجد تجميعات أخرى من قبيل التّجميعات الابتدائيّة [pf-, pfl-, pfr-, ts-, tsv-, šv-, kn-, gn-] في الألمانيّة، من مثل (*Pflaume*) ['pflawme] [برقوق]، و(*schwer*) [šve:r] [ثقيل]، و(*Knie*) [kni:] [ركبة]، أوالتّجميعات في الرّوسيّة [tku] [أنا أنسج]، و[mnu] [أنا أعصر]، و[ščі] [حساء الكرنب]، و[*l*šču] [أنا أجامل]. وتظهر التّجميعات النّهائيّة الغريبة عن الإنجليزيّة مثلا في الكلمة الألمانيّة (*Herbst*) [herpst] [الخريف] والرّوسيّة [borščˇ] [حساء الشّمندر].

8. 7. بما أنّنا عرّفنا الصّواتم على أنّها الوحدات الصّغرى الّتي تحدِث الفرق في المعنى، يمكننا دائما أن نعرّف كلّ صوتم مفرد وفق الدّور الّذي يؤدّيه في القالب البنيويّ للأشكال الكلاميّة. ونلاحظ، خاصّة، أنّ القالب البنيويّ يقودنا أيضا إلى تمييز الصّواتم المركّبة الّتي تشبه تعاقبات للصّواتم الأخرى ولكنّها تؤدّي دور الصّوتم المفرد، وأنّ الفوارق الأكوستيّة الطّفيفة من قبيل النّبر المقطعيّ[1224] في الإنجليزيّة جاريا على [r, l, m, n]، أو التّوتّر الأكبر في [j, w] مقارنة بالصّوتين المقطعيّين [i, u]، قد ينشأ لها صواتم مستقلّة.

فالصّواتم على هذا التّعريف وحدات إشارة[1225]، والأشكال الدّالّة في لغة يمكن أن توصف بكونها نظما من الصّواتم الأوّليّة والثّانويّة. فإذا ما أخذنا كمّيّة كبيرة من الكلام، أمكننا أن نستخرج التّواتر النّسبيّ للصّواتم وللتّوليفات بين الصّواتم. وقد كان هذا العمل مهملا عند اللّسانيّين ومنجزا بوجه منقوص عند الهواة الّذين يخلطون الصّواتم بالحروف المكتوبة. فلو أخذنا عدد الصّواتم الجمليّ في النّصّ على أنّه 100 بالمائة، يظهر إحصاء حديث في الإنجليزيّة نسبة التّواتر المائويّة للصّواتم الحرفيّة:

0.74	g		2.04	p		3.43	ð		7.24	n
0.60	j		1.84	f		2.97	z		7.13	t
0.52	č		1.81	b		2.78	m		6.88	r
0.44	ĵ		1.81	h		2.71	k		4.55	s
0.37	θ		0.96	ŋ		2.28	v		4.31	d
0.05	ž		0.82	š		2.08	w		3.74	l

1223 Fox language
1224 syllabic-stress
1225 signalling (signalisation)

تتضمّن الأرقام المتعلّقة بـ[r, l, m, n] جريانها في الوظيفة المقطعيّة؛ ولا تتضمّن الأرقام المتعلّقة ب[j] و[w] ورود ذينك الصّوتمين جزءا من الحركات الثّنائيّة أو من الحركة الثّلاثيّة. وإحصاء الصّواتم الحركيّة ملبس جدّا إلى حدّ تمتنع له قراءة واضحة. وتمثّل [e] أكثر الحركات استعمالا، في ما يبدو، بتواتر يتجاوز 8 بالمائة؛ تأتي بعدها [ij] بما يفوق 6 بالمائة؛ ثمّ حركة [ɛ] بـ3.5 بالمائة. وأمّا أرقام مجموعات الحروف فهي غير قابلة للاستغلال. ويتجلّى من هذا الإحصاء وما شابهه أنّ الصّواتم في لغة ما تؤدّي أدوارا مختلفة جدّا من حيث التّواتر. وبالإضافة إلى ذلك، يبدو أنّ هناك تشابها ما بين اللّغات. فيكون حينئذ، في اللّغات الّتي تستعمل نوعين من الأصوات الانحباسيّة من قبيل [p, t, k] مقابل [b, d, g] عندنا، الصّوتُ الانحباسيّ من النّوع غير المجهور في كلّ زوج أكثرَ تواترا من قرينه المجهور– حرف [t]، على سبيل المثال، أكثر تواترا من [d]. فتكون دراسة جدّيّة من هذا القبيل ممّا يرغب فيه رغبة شديدة.

8. 8. لقد رأينا ثلاث طرق في دراسة أصوات الكلام. تعطينا الصّوتيّات، في المعنى الضّيّق– أي الصّوتيّات المخبريّة – وصفا أكوستيّا أو فيزيولوجيّا صرفا. فهي لا تكشف إلاّ عن السّمات الأكوستيّة الخام. ومن زاوية عمليّة، يعزل عالم الأصوات المخبريّة عادة للدّراسة سمة تقرّ معرفته الوضعيّة بكونها مخصوصة بصوتم ما. فالصّوتيّات العمليّة فنّ أو مهارة وليست علما. فعالم الأصوات العمليّ يقرّ بوضوح تعرّفه اليوميّ على الوحدات الصّوتميّة ويحاول أن يخبر عن الوجه الّذي به ينتجها المتكلّم. ويُجعَل في بعض الأحيان مصطلح الصّوتميّة[1226] مقابل النّوعين من الصّوتيّات: لا تولي الصّوتميّة أيّ عناية لطبيعة الصّواتم الأكوستيّة، ولكنّها تقبلها ببساطة على أنّها وحدات متمايزة. فهي تحدّد كلّ صوتم بدوره في بنية الأشكال الكلاميّة. ومن المهمّ أن نتذكّر أنّ الصّوتيّات العمَليّة والصّوتميّة تفترضان مسبقا معرفة بالمعاني: دون هذه المعرفة لا يمكننا أن نتبيّن السّمات الصّوتميّة على وجه التّحقيق.

يبدأ وصف لغة ما، حينئذ، بالصّوتميّة الّتي تعرّف كلَّ صوتم وتعيّن التّوليفات الّتي تحدث. فأيّ توليفة من الصّواتم تجري في لغة ما، لهي ممّا يقبل النّطق[1227] به في تلك اللّغة، وهي شكل صوتيّ[1228]. فالتّوليفة [mnu]، على سبيل المثال، غير قابلة للنّطق بها في الإنجليزيّة، ولكنّ التّوليفة [men] قابلة للنّطق بها وهي شكل صوتيّ.

وعندما يكون النّظام الصّوتميّ في لغة ما قد أقيم، تبقى مهمّة بيان أيّ المعاني مقترن بالأشكال الصّوتيّة العديدة. هذا الطّور من الوصف يسمّى علم الدّلالة[1229]. وينقسم في العادة إلى قسمين، النّحو[1230] والمعجم[1231].

1226 phonology
1227 pronouncable
1228 phonetic form
1229 semantics
1230 grammar
1231 lexicon

والشّكل الصّوتي الّذي يكون ذا معنى، هو شكل لغويّ1232. وعلى هذا، تكون أيّ جملة إنجليزيّة أو مركّب أو كلمة شكلا لغويّا، وكذا المقطع الدّالّ على معنى، من قبيل، لنقل، [mɛl] في (*maltreat*) [أساء المعاملة]، أو [mon] في (*Monday*) [الإثنين]؛ ويمكن أن يتكوّن شكل دالّ على معنى من صوتم وحيد، من قبيل [s] الّذي يدلّ على 'أكثر من واحد' في أشكال الجمع مثل (*hats*) [قبّعات]، و(*caps*) [قبّعات، طرابيش]، و(*books*) [كتُب]. وسوف نرى في الفصول الموالية كيف تقترن المعاني بالأشكال اللّغويّة.

1232 linguistic form

الفصل التّاسع:

المعنى

9. 1. تمثّل دراسة الأصوات اللّغويّة دون اعتبار للمعاني عمليّة تجريد: في الاستعمال الفعليّ يكون التّلفّظ بالأصوات اللّغويّة على أنّها إشارات. وقد حدّدنا المعنى في شكل لغويّ ما بأنّه الوضعيّةُ الّتي فيها يتلفّظ به المتكلّم والاستجابةُ الّتي يستدعيها عند السّامع. وبين وضعيّة المتكلّم واستجابة السّامع تناسق محكَم بفضل الظّرف الّذي به يتعلّم كلّ واحد منّا أن يتصرّف على أنّه متكلّم أو سامع دون مبالاة. ففي السّلسلة العلّيّة: وضعيّة المتكلّم ← الكلام ← استجابة السّامع، تعرض عادة وضعيّةُ المتكلّم، من حيث كانت الطّرف الأوّل، مظهرا أبسط من استجابة السّامع؛ وعلى ذلك نخوض في شأن المعاني ونحدّدها في العادة من حيث المثير عند المتكلّم.

وتتضمّن الوضعيّات الّتي تدفع النّاس إلى التّلفّظ بالكلام، كلّ شيء وكلّ حدث في عالمهم. ولكي نعطي تعريفا دقيقا من زاوية علميّة للمعنى المقترن بكلّ شكل في لغة ما، وجب أن تكون لنا معرفة دقيقة من زاوية علميّة بكلّ شيء في عالم المتكلّم. والمدى الفعليّ للمعرفة البشريّة محدود جدّا بالقياس إلى ذلك. يمكننا أن نعرّف المعنى المقترن بشكل كلاميّ ما تعريفا دقيقا عندما يكون ذلك المعنى ذا صلة بموضوع نملك عنه معرفة علميّة. فيمكننا أن نعرّف أسماء المعادن، على سبيل المثال، من زاوية الكيمياء وعلم التّعدين[1233]، كما يجري عندما نقول إنّ معنى الكلمة الإنجليزيّة (*salt*) [ملح]، هو" كلوريد الصّوديوم (NaCl)"، ويمكن أن نعرّف أسماء النّبات أو الحيوان بواسطة المصطلحات التّقنيّة في علم النّبات[1234] أو علم الحيوان[1235]، ولكنّنا لانملك طريقة دقيقة في تعريف كلمات من قبيل الحبّ أو الكره، هي كلمات تتعلّق بوضعيّات لم تصنّف تصنيفا دقيقا– وذاك حال الغالبيّة العظمى من الكلمات.

وفوق ذلك نجد دائما، حتّى إذا ما كان لنا تصنيف علميّ ما (أي تصنيف مقبول عالميّا ودقيق)، أنّ المعاني في لغة ما لا توافق هذا التّصنيف. فالحوت في الألمانيّة يسمّى 'سمكة': (*Walfish*) [val-ɪfiš'] [حوت]، ويسمّى الخفّاش 'فأرا': (*Fledermaus*) ['fle:der-ɪmaws] [خفّاش].

ويرى علماء الفيزياء في طيف اللوان سلّما مسترسلا من الأمواج الضّوئيّة ذات الأطوال المختلفة، ذاهبة من 40 إلى 72 مائة ألف جزء من الملّيمتر، ولكنّ اللّغات تقطّع أقساما مختلفة من هذا السلّم بطريقة اعتباطيّة جدّا ودون حدود واضحة، في معاني أسماء الألوان من قبيل البنفسجيّ والأزرق والأخضر والأصفر والبرتقاليّ والأحمر، ثمّ إنّ أسماء الألوان في اللّغات المختلفة لا تتبنّى مقاطع التّدريج

1233 mineralogy
1234 botany (botanique)
1235 zoology

أنفسها. وتبدو علاقة القرابة الأسريّة بين الأشخاص موضوعا بسيطا، ولكنّ أسماء القرابة الّتي تُستعمَل في اللّغات المختلفة ممّا يصعب جدّا تحليله.

فبيان المعاني حينئذ هو نقطة الضّعف في دراسة اللّغة، وسوف يظلّ كذلك إلى أن تتقدّم المعرفة البشريّة بعيدا جدّا على حالها الرّاهنة. وعمليّا، إنّما نحدّد معنى شكل لغويّ، حيثما أمكننا ذلك، باعتماد علم آخر. وحيثما كان ذلك مستحيلا، نلجأ إلى أدوات من الحيل الملتوية. والمعاينة1236 واحدة منها. فإذا لم يعرف شخص ما معنى كلمة 'تفّاحة' يمكننا أن نعلّمه إيّاها بأن نمدّ له تفّاحة أو نشير إلى تفّاحة ونواصل ذلك طالما كانت منه الأخطاء بأن نمدّ له التّفاح ونشير إليه إلى أن يستعمل الكلمة على الوجه المعهود. وتلك هي العمليّة الأساسيّة الّتي بها يتعلّم الأطفال استعمال الأشكال اللّغويّة. وإذا ما كان السّائل يفهم لغتنا فهما جيّدا، أمكننا أن نعرّف له كلمة 'تفّاحة' عن طريق الإطناب1237– أي على طريقة المعاجم عندنا، بكلام غير مباشر1238 يندرج في الوضعيّات الّتي تندرج فيها كلمة "تفّاحة"، نقول على سبيل المثال: "المعروف جيّدا، ذو الشّحمة المتماسكة، والقشرة الملساء، والشّكل المستدير أو المستطيل، من ثمار شجر التّفّاح من نوع مالوس1239، يتنوّع كثيرا من حيث الحجم والشّكل واللّون ودرجة الحموضة." أو بطريقة أخرى، إذا ما كنّا نعرف لغة السّائل معرفة كافية، أمكننا جوابه بالتّرجمة1240– أي بأن نتلفّظ بشكل من لغته يرادفه تقريبا. فإذا كان فرنسيّا، على سبيل المثال، أمكننا أن نجعل (*pomme*) [pɔm] معنى لكلمة (*apple*) [تفّاحة]. تظهر طريقة التّعريف من هذا القبيل، في المعاجم الثّنائيّة عندنا.

9. 2. تتنوّع الوضعيّات الّتي تدفعنا إلى التّلفّظ بأيّ شكل لغويّ تنوّعا كبيرا؛ وبالفعل يخبرنا الفلاسفة أن لا تشابه بين وضعيّتين. فكلّ واحد منّا يستعمل كلمة 'تفّاحة'، خلال أشهر قليلة، على ثمرات عينيّة كثيرة من التّفّاح تختلف حجما وشكلا ولونا ورائحة ومذاقا وما إلى ذلك. وفي حالة مواتية، من قبيل حالة كلمة 'تفّاحة'، يكون جميع الأفراد في المجموعة اللّغويّة قد دربوا منذ الطّفولة على استعمال ذلك الشّكل اللّغويّ كلّما توفّر في الوضعيّة (وهي الشّيء، في هذه الحالة) عدد من الخصائص المعيّنة ذات التّحديد النّسبيّ. وحتّى في حالات مثل هذه، لا يكون استعمالنا متّحدا أبدا وأغلب الأشكال الكلاميّة ذات معان واضحة أقلّ. غير أنّه من الواضح أنّنا يجب أن نفصل بين السّمات غير التّمييزيّة في الوضعيّة، من قبيل الحجم والشّكل واللّون وما إلى ذلك ممّا يتعلّق بأيّ تفّاحة مخصوصة، والسّمات التّمييزيّة أو المعنى اللّغويّ (السّمات الدّلاليّة) الّتي تكون مشتركة بين جميع الوضعيّات الّتي تستدعي التّلفّظ بالشّكل

1236 demonstration
1237 circumlocution (circonlocution)
1238 roundabout (détourné, indirect)
1239 Malus
1240 translation

اللّغويّ، من قبيل السّمات المشتركة بين جميع الأشياء الّتي يستعمل فيها المتكلّمون بالإنجليزيّة كلمة (*apple*) [تفّاحة].

وبما أنّ دراستنا عادة ما تهتمّ بالسّمات التّمييزيّة دون غيرها في الشّكل وفي المعنى، سوف أستغني من الآن فصاعدا عن صفة 'لغويّ' أو 'تمييزيّ' وأتكلّم ببساطة عن الأشكال وعن المعاني، مهمِلا السّمات غير التّمييزيّة. يقال دوما إنّ شكلا ما، يعبّر عن معناه.

9. 3. حتّى إذا ما كان لنا تعريف دقيق للمعنى المقترن بكلّ واحد من الأشكال في لغة ما، نواجه بالضّرورة، رغم ذلك، صعوبة من نوع آخر. يتمثّل قسم مهمّ جدّا من كلّ وضعيّة في حالة جسد المتكلّم. يتضمّن ذلك، بطبيعة الحال، استعداد نظامه العصبيّ الّذي ينتج عن جميع تجاربه ما كان منها لغويّا وما كان منها غير ذلك، حتّى تلك اللّحظة في صميمها– دون الحديث عن الوراثيّ وما كان قبل الولادة من العوامل. ولو كنّا قادرين على الحفاظ على وضعيّة خارجيّة في صفائها المثاليّ ثمّ نجعل عددا من المتكلّمين المختلفين فيها، نكون رغم ذلك عاجزين عن تحديد المعدّات الّتي حملها كلّ متكلّم معه، وعاجزين، تبعا لذلك، عن توقّع الأشكال الكلاميّة الّتي قد يتلفّظ بها أو، لبلوغ ذلك، إن كان ليتلفّظ بأيّ كلام أو لا.

وإن توفّرت لنا تعريفات كاملة، يكون من المفروض أن نكتشف رغم ذلك أنّ المتكلّم، خلال الملفوظات الكثيرة، لم يكن بتاتا في الوضعيّة الّتي كنّا قد عرّفناها. فالنّاس يتلفّظون في الغالب الأغلب بكلمةٍ مثل (*apple*) عندما لا تكون أيّ تفّاحة موجودة. يمكننا أن نسمّي ذلك 'الكلام المحوّل[1241]'. وتواتر الكلام المحوّل وأهمّيته أمر بديهيّ. نذكُر هنا الطّفلَ "يطلب" دميته (§2. 5). يتجسّد في الكلام المنقول بالوسائط[1242] استعمال مهمّ جدّا للّغة: يرى المتكلّم (أ) بعض التّفّاحات ويذكرها إلى المتكلّم (ب) الّذي لم يرها؛ ينقل المتكلّم (ب) هذا الخبر إلى (ج)، ثم (ج) إلى (د)، ثمّ (د) إلى (هـ)، وهلمّ جرّا، ويمكن أن لا يكون أيّ واحد من هؤلاء قد رآها عندما يذهب المتكلّم (س)، في نهاية الأمر، ويأكل منها. وبطرق أخرى، كذلك، نتلفّظ بالأشكال اللّغويّة عندما يكون المثير المثاليّ غائبا.

يقول متسوّل جوعان عند الباب "أنا جائع"، وربّة البيت تعطيه طعاما: نقول يتجسّد في هذا الحادث، المعنى الأوّليّ[1243] أو المعجميّ[1244] للشّكل اللّغويّ "أنا جائع". يقول طفل مشاكس عند موعد النّوم "أنا جائع" وتجيب أمّه العارفة بحيَله، بأن ترسله رأسا إلى الفراش. فهذا مثال على الكلام المحوّل. وممّا يلفت الانتباه أنّ ملاحظا أجنبيّا لو طلب معنى الشّكل اللّغويّ "أنا جائع"، قد يعرّفه له كلّ من الأمّ والطّفل، رغم ذلك، وفي جميع الحالات، باعتماد المعنى المعجميّ. فربّما كان الكذب

1241 displaced speech
1242 relayed speech
1243 primary meaning
1244 dictionary meaning

والسّخرية[1245] والدّعابة[1246] والشّعر[1247] والرّواية السّرديّة[1248] وما شابه، قديمة قِدْم اللّغة ومنتشرةً انتشارها بكلّ يقين. وحالما نعرف المعنى المعجميّ لشكل ما، نكون قادرين تمام القدرة على استعماله في الكلام المحوَّل؛ فقواميسنا وكتبنا المدرسيّة في اللّغات الأجنبيّة ليست في حاجة إلى إخبارنا بشيء ما عدا المعنى المعجميّ. فاستعمالات الكلام المحوّلة مشتقّة من قيمته الأوّليّة بطرق متماثلة تماثلا كبيرا ولا تحتاج إلى أيّ بحث مخصوص؛ لكنّها تقوّي درجة الشّكّ عندنا في ما يتعلّق بالأشكال الّتي سيتلفّظ بها (إن تكلّم في المطلق) متكلّم بعينه في وضعيّة بعينها.

9. 4. يعتقد أتباع علم النّفس الذّهنيّ[1249] أنّهم يستطيعون تجنّب الصّعوبة في تعريف المعاني لأنّهم يعتقدون أنّ عمليّة غير مادّيّة تحدث في المتكلّم، قبل التّلفّظ بشكل لغويّ، هي فكرة[1250]، أو مفهوم[1251]، أو صورة[1252]، أو شعور[1253]، أو قصد إراديّ[1254] أو ما شابه، وأنّ السّامع تجري في ذهنه، بطريقة مماثلة، قبل أن يتقبّل الموجات الصّوتيّة، عمليّة ذهنيّة مماثلة لها أو مرتبطة بها. فعالم النّفس الذّهنيّ، حينئذ، يمكن أن يعرّف معنى شكل لغويّ بأنّه الحدث الذّهنيّ المخصوص الّذي يجري عند كلّ متكلّم وسامع مرتبطا بالتّلفّظ بالشّكل اللّغويّ أو بسماعه. فيكون المتكلّم الّذي يتلفّظ بكلمة (*apple*)، قد حصلت عنده صورة ذهنيّة لتفّاحة ما، وتثير هذه الكلمة صورة مماثلة في ذهن السّامع. فاللّغة، عند عالم النّفس الذّهنيّ، *التّعبير عن الأفكار والمشاعر والرّغبات*.

و الميكانيستيّ[1255] لا يقبل هذا الحلّ. يعتقد أنّ الصّور الذّهنيّة والمشاعر وما شابه مجرّد تسميات شعبيّة لحركات الجسد المتنوّعة الّتي يمكن، في حدود ما يعني اللّغة منها، أن تقسّم إلى أنواع ثلاثة:

(1) عمليّات ذات نطاق واسع متشابهة عند النّاس المختلفين، ويجري التّمثيل لها، من حيث كانت ذات أهمّيّة اجتماعيّة ما، بأشكال كلاميّة اصطلاحيّة، من قبيل 'أنا جائع' (غاضب، مذعور، آسف، سعيد، رأسي يؤلمني، وما إلى ذلك)؛

(2) عمليّات انقباض عضليّة ذات نطاق محدود دقيقة ذات تغيّر شديد غامضة وإفرازات غدديّة، تختلف من شخص إلى آخر، ولا يجري التّمثيل لها، من حيث كانت غير ذات أهمّيّة اجتماعيّة مباشرة، بالأشكال الكلاميّة الاصطلاحيّة؛

1245 irony
1246 jesting
1247 poetry
1248 narrative fiction
1249 mentalistic psychology
1250 thought
1251 concept
1252 image
1253 feeling
1254 act of will
1255 mechanist

(3) حركات غير ذات صوت1256 في الأعضاء النّطقيّة، تحلّ محلّ الحركات المحدثة للكلام، ولكنّها غير مدرَكَة من سائر النّاس ("التّفكير بالكلمات1257" (§2. 4)).

ويرى الميكانيستيّ في العمليّات الواردة في (1)، ببساطة، أحداثا يمكن للمتكلّم أن يلاحظها بوجه أحسن من أيّ شخص آخر؛ فقضايا المعنى المختلفة، من قبيل الكلام المحوّل (الطّفل المحتال يقول 'أنا جائع')، لا توجد هنا بدرجة أقلّ من سائر المواضع. يعتقد الميكانيستيّ أنّ العمليّات في (2) عادات خاصّة متبقّية آثارا من تقلّبات التّربية وسائر التّجارب. ينقلها المتكلّم على أنّها صور ومشاعر وما إلى ذلك، وهي لا تختلف عند كلّ متكلّم فقط، بل في كلّ مناسبة يكون فيها كلام. فالمتكلّم الّذي يقول "كانت لي صورة ذهنيّة لتفّاحة" إنّما يقول في الواقع "كنت أستجيب لبعض المثيرات الدّاخليّة الغامضة من النّوع الّذي كان مرتبطا في وقت ما من ماضِيّ بمثيرات تفّاحة." والكلام ما دون الصّوتيّ1258 في (3) يبدو عند الميكانيستيّ مجرّد نتاج ثانويّ1259 لعادة التّلفّظ الفعليّ بالكلام. وعندما نكون على يقين من أنّ متكلّما ما قد أنجز حركات كلاميّة في ملفوظ بعينه بوجه غير قابل للسّمع ("فكّر فيه بالكلمات')، نواجه بالضّبط المشكلَ نفسه الّذي نواجهه عندما يكون قد تلفّظ بالشّكل الكلاميّ نفسه بوجه قابل للسّمع. وفي الجملة، تبدو العمليّات الذّهنيّة، حينئذ، للميكانيستيّ مجرّد تسميات تقليديّة للعمليّات الجسديّة الّتي يندرج بها (1) في تعريف المعنى على أنّه وضعيّة المتكلّم، أو ترتبط فيها (2) ارتباطا على غاية من البعد بالملفوظ الكلاميّ بوجه تكون فيه عواملَ تافهةً في وضعيّة المتكلّم، أو تكون (3) مجرّد نُسَخ1260 من الملفوظ الكلاميّ.

لا علاقة للخلاف بمسائل المعنى اللّغويّ رغم أنّ هذا الاختلاف في الرّأي ذو دور حاسم في تصوّراتنا لأسس اللّغة ولسائر الأنشطة البشريّة كذلك، ورغم أنّ الذّهنيّين يعوّلون تعويلا كبيرا على مصطلحاتهم في جميع المطارحات المتعلّقة بالمعنى. فالأحداث الّتي يطلق عليها الذّهنيّ عمليّات ذهميّة ويصنّفها الميكانيستيّ بطريقة أخرى، لا تؤثّر في كلّ حال إلاّ في شخص واحد: يتسجيب لها كلّ واحد منّا عندما تجري في داخله، ولكن ما من سبيل له للاستجابة لها عندما تجري في داخل أيّ شخص آخر. والعمليّات الذّهنيّة أو العمليّات الجسديّة الدّاخليّة عند النّاس الآخرين معروفة عند كلّ واحد منّا من خلال الملفوظات الكلاميّة ومن خلال سائر الأعمال القابلة للملاحظة. وبما أنّ هذه الملفوظات تمثّل كلّ ما لنا لنشتغل به، يعرّف الذّهنيّ في الواقع العمليّ المعاني، تماما كما يفعل الميكانيستيّ، على أساس الوضعيّات الفعليّة؛ فهو لا يعرّف "تفّاحة" بكونها "صورة الشّيء المعروف جيّدا، ذي الشّحمة المتماسكة، إلخ... من الثّمار"، ولكن بأن يحذف، مثلما يفعل الميكانيستيّ، الكلمات الثّلاث الأولى من هذه

1256 soundless
1257 thinking in words
1258 sub-vocal speech
1259 derivative(s) (dérivé(s))
1260 reproduction(s)

المجموعة وبالفعل يستنتج بكلّ بساطة، بالنّسبة إلى جميع المتكلّمين ما عداه هو، أنّ الصّورة كانت حاضرة إمّا من خلال كون المتكلّم قد استعمل كلمة *'تفّاحة'* أو من خلال ملفوظ ما ذي تفصيل أكبر من قول المتكلّم ("كانت لي صورة ذهنيّة لتفّاحة"). وعلى هذا، يعرّف جميع اللّسانيّين، من الذّهنيّين والميكانيستيّين، عمليّا، المعاني على أساس وضعيّة المتكلّم وعلى أساس استجابة السّامع حيثما بدا أنّها تضيف شيئا.

9. 5. المعاني اللّغويّة أكثر خصوصيّة من معاني الأعمال غير اللّغويّة. ويتحقّق نصيب كبير من التّعاون[1261] البشريّ دون اللّغة، بأدوات من قبيل حركات الجارحة (الإشارة التّعيينيّة إلى شيء، على سبيل المثال)، مدّ الأشياء (جعل شيء في يد شخص ما، الإلقاء بشيء على التّراب)، الملامسة (الوخز بالمرفق، المداعبة)، الأصوات غير اللّغوية بنوعيها غير النّطقيّة (طقطقة الأصابع، التّصفيق) والنّطقيّة (الضّحك، البكاء)، وما إلى ذلك. وينبغي علينا أن نذكر خاصّة، في هذا الشّأن اللأخير، سمات الأصوات اللّغويّة غير اللّغويّة (غير التّمييزيّة) من قبيل 'نغمات الصّوت' المتكسّرة والآمرة والغاضبة والمستعطفة؛ وبالفعل تمثّل طريقة الكلام، إلى جانب الكلام نفسه، أنجع الطّرق في الإشارة. غير أنّ الأشكال اللّغويّة تُنتِج في نصيب كبير منها، تنسيقا[1262] أدقّ بكثير وأخصّ وألطف ممّا يمكن بلوغه بوسائل غير لغويّة. وليرى المرء ذلك، لا يحتاج إلاّ إلى أن يستمع إلى خطابات قليلة على وجه المصادفة: (*Four feet three and a half inches*) [أربعة أقدام وثلاث بوصات ونصف.] – (*If you don't hear from me by eight o'clock, go without me.*) [إن لم يصلك خبر منّي عند السّاعة الثّامنة، اذهب من دوني] – (*Where's the small bottle of ammonia?*) [أين قارورة الأمونيا الصّغيرة؟]. ويُتبيَّن أنّ الشّواذّ الظّاهرة، من قبيل النّظم المتطوّرة في الإشارة بالجارحة، ولغة الصمّ والبكم، وعلامات المرور، واستعمال الكتابة، والتّلغراف، وما إلى ذلك، عند الفحص الدّقيق، مجرّد نتاجات ثانويّة من اللّغة.

بما أنّنا لا نملك سبيلا إلى تعريف أغلب المعاني اللّغويّة وإلى البرهنة على ثباتها، علينا أن نتّخذ من طبيعة اللّغة الخصوصيّة والثّابتة فتراضا ما قبليّا للدّراسة اللّسانيّة، تماما كما نفترض ذلك ما قبليّا في تعاملنا اليوميّ مع النّاس. ويمكننا أن نقرّر أنّ هذا الافتراض الماقبليّ الافتراض الأساسيّ في اللّسانيّات (§5. 3)، أي:

في بعض المجموعات البشريّة (المجموعات اللّغويّة) بعض الملفوظات الكلاميّة متشابهة من حيث الشّكل والمعنى.

يكلّفنا صفاء الأشكال الكلاميّة هذا ثمنَ التّضحية بالعقلانيّة[1263]. فطرق التّواصل غير اللّغويّة متأسّسة مباشرة على البنية التّكوينيّة في أجسادنا، أو تنشأ، بدلا من ذلك، مباشرة من وضعيّات اجتماعيّة

1261 co-operation
1262 co-ordination
1263 rationality

بسيطة، لكن الاقتران بين الأشكال اللّغويّة ومعانيها اقتران اعتباطيّ تماما. فما نسمّيه (*horse*) [فرس]، يسمّيه الألمانيّ (*Pferd*) [pfe:rt]، والفرنسيّ (*cheval*) [əšval]، والمتكلّم الهنديّ بلغة الكري [misatim]، وهلمّ جرّا؛ وكلّ مجموعة من الأصوات منها غير معقولة تماما مثل أيّ مجموعة أخرى.

يقتضي افتراضنا الأساسيّ أنّ لكلّ شكل لغويّ معنى مخصوصا وثابتا. وإن اختلفت الأشكال صوتميّا، نفترض أنّ معانيها مختلفة كذلك– نفترض على سبيل المثال أنّ الواحد من مجموعة الأشكال من قبيل (*quick*) []، و(*fast*) []، و(*swift*) []، و(*rapid*) []، و(*speedy*) []، يختلف عن جميع الأشكال الأخرى في سمة معنويّة اصطلاحيّة وثابتة. باختصار، نفترض أنّ المترادفات1264 الحقيقيّة غير موجودة. ومن جهة أخرى، يقتضي افتراضنا كذلك أنّ الأشكال إذا كانت مختلفة دلاليّا (أي مختلفة من حيث المعنى اللّغويّ) فليست "الشّيء نفسه"، رغم أنّها قد تكون متشابهة من حيث الشّكل الصّوتيّ. من ذلك أنّ الشّكل الصّوتيّ [bejr] في الإنجليزيّة يجري بثلاثة من المعاني المختلفة: (*bear*) 'حمَل؛ وضعت مولودا'، و(*bear*) 'دُبّ، جنس الدّببة' و(*bare*) 'عارٍ، مكشوف'. وبالمثل تمثّل [pejr] اسمين ((*pear*) [إجّاص]، و(*pair*) [زوج]) وفعلا (*pare*) [قشر، قضم]، وأمثلة أخرى كثيرة سوف ترد على القارئ. وتعرَف الأشكال اللّغويّة المختلفة الّتي يكون لها الشّكل الصّوتيّ نفسه (وتختلف، تبعا لذلك، في المعنى فقط) بالمشترك اللّفظيّ1265. وبما أنّنا لا نستطيع تعريف المعاني على وجه اليقين، لا يمكننا دائما أن نقرّر إن كان لشكل صوتيّ ما، في استعمالاته المتنوّعة، دائما المعنى نفسه أو يمثّل مجموعة من المشترك اللّفظيّ. على سبيل المثال، يمكن أن يُعتبَر الفعل الإنجليزيّ (*bear*) في (*bear a burden*) [تحمّل عبئا]، و(*bear fruit*) [حمل الثّمر، أثمر]، و(*bear offspring*) [حمل ذرّيّة، حمل نسلا]، شكلا وحيدا أو مجموعة من شكلين مشتركين لفظيّا أو حتّى أكثر من ذلك. وعلى الشّاكلة نفسها، يمكن أن يُتناوَل الفعل (*charge*) بطرق عديدة في: (*charge the cannon with grapeshot*) [شحن المدفع بالرّشّ (الرّصاص المنثور)]، و(*charge the man with larceny*) [إدانة الرّجل بالسّرقة]، و(*charge the gloves to me*) [اشحن قفّازيّ بالبخار]، و(*charge him a stiff price*) [باعه شيئا بثمن مشطّ]؛ ولكنّ (*the infantry will charge the fort*) [سيهجم المشاة على القلعة] تبدو مختلفة. وربّما مثّلت الصّفة (*sloth*) [كسول]، واسم الحيوان (*sloth*) [الكسول]، زوجا من المشترك اللّفظيّ عند بعض المتكلّمين ومعنى وحيدا عند بعضهم الآخر. يظهِر جميع ذلك، بطبيعة الحال، أنّ افتراضنا الأساسيّ لا يصحّ إلاّ في حدود، وإن لم تكن صحّته العامّة مفترضة افتراضا ما قبليّا في الدّراسة اللّسانيّة فقط، بل هي كذلك في استعمالنا الفعليّ للّغة أجمع.

9. 6. رغم أنّ اللّسانيّ لا يستطيع تعريف المعاني بل عليه أن يستنجد في ذلك بالدّارسين في العلوم الأخرى أو بالمعرفة المشتركة، يمكنه فوق ذلك، وقد حصل على تعريفات لبعض الأشكال، أن

1264 synonyms
1265 homonyms

يعرّف في حالات كثيرة الأشكال الأخرى باعتماد تلك المعاني الّتي حصل عليها. فعلى سبيل المثال لا يستطيع عالم الرّياضيّات الّذي يؤدّي هنا دور اللّسانيّ، أن يُعرّف مصطلحات من قبيل (واحد) و(فرديّ)، ولكن إن أعطيناه تعريفا لذينك المصطلحين يمكنه أن يعرّف 'اثنان' (واحد مزيد إلى واحد')، و'ثلاثة' (' واحد مزيد إلى اثنين')، وهكذا دواليك، دون نهاية. فما نراه بوضوح في لغة الرّياضيّات حيث تكون المدلولات[1266] دقيقة جدّا، يظهر كذلك في أشكال كلاميّة اعتياديّة كثيرة. فإذا كانت مدلولات الفعل المصرّف في الزّمن الماضي في الإنجليزيّة ومدلولات الكلمة (*go*) محدّدة، يمكن للّسانيّ أن يعرّف (*went*) بأنّه "الماضي من (*go*)". وإذا كانت المقابلة ذكر : أنثى محدّدة عند اللّسانيّ، يمكنه أن يؤكّد لنا أنّ ذاك هو الفرق بين (*he : she*) [هي : هو]، و(*lion : lioness*) [أسد : لبؤة]، و(*gander : goose*) [ذكر الإوزّ : أنثى الإوزّ]، و(*ram : ewe*) [كبش : نعجة]. يكون للّسانيّ هذا التّأكّد في حالات كثيرة جدّا تجمِّع فيها لغة ما بواسطة سمة نحويّة أو صوتيّة ظاهرة عددا من أشكالها في أقسام شكليّة[1267]: في كلّ قسم من أقسام الأشكال، يتضمّن كلّ شكل عنصرا، هو معنى القسم، يكون هو نفسه لجميع الأشكال من ذلك القسم الشّكليّ. فعلى هذا، تنتمي جميع الأسماء الإنجليزيّة إلى قسم شكليّ واحد، ولكلّ اسم إنجليزيّ، وفقا لذلك، معنى حالَما يكون معرّفا عندنا (لنقل، على أنّه "شيء")، يمكننا أن نسنده إلى كلّ شكل اسميّ في اللّغة. وبالإضافة إلى ذلك، تنقسم الأسماء الإنجليزيّة إلى قسمين مفرد وجمع، فإذا توفّر لنا تعريف لمعاني ذينك القسمين أسندنا واحدا من ذينك المعنيين إلى كلّ اسم.

نجد في كلّ لغة أشكالا معيّنة، هي المعوّضات[1268]، يتكوّن معناها من معاني الأقسام بصفة عامّة أو كلّيّة. في الإنجليزيّة، تمثّل الضّمائر[1269] أوسع مجموعة في المعوّضات. وتظهِر لنا الضّمائر توليفا بين المعاني مهمّا جدّا. والسّمات الأساسيّة هي معاني الأقسام. فيكون حينئذ لـ(*somebody*) [شخص ما] و(*someone*) [بعضهم]، معاني قسم الأسماء[1270] وقسمِ الأسماء المفردة[1271] وقسمِ ضمائر الشّخص[1272]. وللضّمير (*he*) [هو]، معاني قسم الأسماء وقسمِ الأسماء المفردة وقسمِ ضمائر الشّخص وقسم الذّكور؛ وللضمّير (*it*) [ضمير الشّيء الغائب] معاني قسم الأسماء وقسمِ الأسماء المفردة وقسمِ ضمائر اللاّشخص وقسم الذّكور، وللضّمير (*they*) [هما، هم، هنّ]، معاني قسم الأسماء وقسمِ الأسماء المفردة وقسمِ الأسماء المجموعة. ومن جهة ثانية، يمكن أن يتضمّن الضّمير عنصرا من معنى يجعل الضّمير ينوب عن شكل اسميّ مخصوص من اللّغة. فيخبرنا حينئذ الضّميران (*some*) [بعض]، و(*none*) [لا أحد]، أنّ الاسم المخصوص واحد كان قد جرى ذكره مؤخّرا (*Here are apples : take*

1266 denotation(s)
1267 form-class(es)
1268 substitute(s) (substitut (s))
1269 pronoun(s)
1270 substantive(s)
1271 singulars
1272 personals

some) [هذه تفّاحات: خذ بعضا منها]؛ ومقابل ذلك، لا تخبرنا (*something*) [شيء ما]، و(*somebody*) [شخص ما]، و(*someone*) [واحد ما]، و(*nothing*) [لا شيء]، و(*nobody*) [لا شخص]، و(*no one*) [لا أحد]، بشيء عن الأنواع. ثالثا، تحتوي بعض الضّمائر عنصرا من معنى يخبرنا عن أيّ الأشياء المخصوصة معنيّ في نوع ما. فالضّمائر (*he*) [هو]، و(*she*) [هي]، و(*it*) [ضمير الشّيء الغائب]، و(*they*) [هما، هم، هنّ]، لا تقتضي فقط أنّ النّوع1273 (لنقل، شرطيّا) قد جرى ذكرها، بل تقتضي كذلك أنّ الشّيء المخصوص من ذلك النّوع (لنقل، الضّابط سميث، أو الواقف عند تلك الزّاوية) قد جرى تعيينه1274. وسمة المعنى هذه، حالما تكون قد حدِّدت، توجَد في أشكال أخرى متنوّعة في لغتنا؛ وتجري، على ما يبدو، دون امتزاج مثل معنى أداة التّعريف (*the*) [الـ]، لأنّ هذه الكلمة الصّغيرة لا تخبرنا إلاّ بأنّ الاسم الوارد بعدها يدلّ على فرد معيّن من نوع ما.

وإجمالا، يمكننا القول حينئذ إنّ بعض المعاني المخصوصة، حالما تُحدَّد، يمكن أن يُهتَدى إلى أنّها متواترة في متواليات كاملة من الأشكال. وبوجه خاصّ، يثير الصّنف المذكور أخيرا، ذو الصّلة بتعيين الأشياء الفرديّة في نوع ما من حيث طريقة الانتقاء1275 أو التّضمّن1276 أو الإقصاء1277 أو التّعداد1278، استجابات متجانسة جدّا من الأشخاص المختلفين، وتتواتر تواترا متجانسا نسبيّا في اللّغات المختلفة؛ وتبعا لذلك، تنشئ أصنافُ المعنى هذه شكلا دقيقا بوجه خاصّ من الكلام، ذاك الّذي نسمّيه الرّياضيّات.

9. 7. لا تجري الحركات النّطقيّة، وهي في خدمة لنوع أدنى من التّواصل، خارج الكلام فقط كما يكون في صراخ غير مقطّع، بل تجري كذلك متوالفة مع الأشكال الكلاميّة، من حيث تنضيد السّمات غير التّمييزيّة في الصّوت الكلاميّ من قبيل "نغمة الصّوت1279". وبالفعل تبدو بعض الأشكال الكلاميّة التّقليديّة قائمة في الحدود الفاصلة. وعلى هذا، كنّا قد رأينا في الإنجليزيّة أنّ خالفتي التّعجّب (*pst*) [pst] و(*sh*) [š] اللّتين نطلب بهما السّكوت، تخرقان القالب الصّوتيّ باستعمالها الصّوتمين [s, š] غير الرنّانين نسبيّا، عنصرين مقطعيّين. وتجري في بعض الأحيان تحريفات ذات ظهور أقلّ، في كلمات يشبه معناها معنى حركةِ جارحةٍ تعيينيّة1280. وفي الإنجليزيّة لا يجري الصّوتم الابتدائيّ [ð] إلاّ في كلمات الإشارة وفي ما يتّصل بها من المعاني، من قبيل (*this*) [هذا]، و(*that*) [ذاك]، و(*the*) [الـ]، و(*then*) [إذ(ن)]، و(*there*) [هناك]، و(*though*) [رغم]؛ وفي الرّوسيّة لا يجري الصّوتم [e] في الموضع الابتدائيّ في أيّ من الكلمات، ما عدا كلمات الإشارة من قبيل ['eto] [هذا].

1273 species
1274 identified (identification)
1275 selection
1276 inclusion
1277 exclusion
1278 numbering
1279 tone of voice
1280 pointing gesture

ويمكن أن تصير السّمات غير الصّوتميّة الشبيهةُ بالحركة الجارحيّة، ثابتة إلى حدّ كبير. ففي لغة كري السّهول1281، تنطق كلمة [:e] (نعم) في النّطق الاعتياديّ بحرف لين ثنائيّ الحركة في موقع الحركة وبهمزة نهائيّة، شيئا ما مثل [ɛe:ʔ]، رغم أنّ تينك السّمتين كلتيهما ليستا صوتميّتين في اللّغة. وفي الأساليب العامّيّة عندنا تصير خطاطات نغميّة غريبة في بعض الأحيان ثابتة دالّة على قيم معيّنة؛ ففي السّنوات الماضية القريبة، كانت تُستعمَل (*Yeah?*) [نعم؟]، و(*Is that so?*) [هل هذا كذلك؟]، بتحوير غريب لنغمة الاستفهام، في تعبير سوقيّ طريف يعبّر عن عدم التّصديق1282. ولهذه العبارة الأخيرة كذلك شكلُ [*Is zat so ?*] [هل كان زالك كذلك؟]، يصوّر طورا آخر للسّمات اللّغويّة غير المعتادة، هو تحريف هزليّ للنّطق1283. فأن يقال (*Please, oxcuse me*) [من فضلك، اعذرني]، على سبيل المثال، شكل من أشكال التّعبير الهزليّ عن حال التّعب. وتكتسب هذه التّحريفات قيمتها من مشابهتها لأشكال لغويّة أخرى (من قبيل كلمة (*ox*) في مثالنا)، أو لأشكال الكلام عند الأجانب، أو عند المتكلّمين بلغة دون المعياريّة، أو عند الأطفال كما يكون في الاستعمال الهزليّ لـ[zd] نطقا لصوت [r] في كلمات مثل (*bird*) [طائر] (تقليدا للكلام دون المعياريّ في مدينة نيويورك)، أو في استعمال طريقة الكلام عند الرّضيع (*Atta boy! Atta dirl!*).

ولقد اهترأت بعض العبارات وتقلّصت الأشكال الثّانويّة1284 حيث اندثر القالب الصّوتيّ. هي الصّيغ المشتركة في التّعامل الاجتماعيّ من قبيل أشكال التّحيّة وكلمات المواجهة. فتكون على هذا (*How do you do ?*) [شرفنا بمعرفتك] قد قصِرت بكلّ وجه من الوجوه إلى أشكال لا يمكن كتابتها باعتماد الصّواتم الإنجليزيّة، ما عدا مجرّد الإيحاء بها عن طريق رسوم تقريبيّة من قبيل[ʒˈduw¿] أو [dˈduw¿]؛ وتكون (*How are you?*) [كيف حالك؟]، شيئا قريبا من [hwaj¿ haj¿]، وتظهر (*madam*) في شكل [m̩] في (*Yes'm*). ولا تجري هذه الأشكال الثّانويّة، إلاّ في عبارة التّحيّة أو المخاطبة، فعندما نسأل مثلا (*How do 1285you do it ?*) [ˈhaw ʃu ˈduw it¿] [كيف تفعل ذلك؟]، لا نستعمل الشّكل المقلّص إلى أقصى حدّ. وتجري هذه الأشكال المقلّصة في اللّغات المتنوّعة، وعلاقتها بالكلام العاديّ غامضة، ولكنّها تمثّل بكلّ جلاء نوعا من التّواصل ما دون اللّغويّ1286 لا يؤدّي فيه المعنى الاعتياديّ أيّ دور.

يمكننا أن نذكر أيّ صوت بواسطة محاكاة مجرّدة من حيث الصّوت النّطقيّ، كما نفعل عندما نحدث أصوات الحيوان أو عندما نخبر عن ضجيج محرّك ميكانيكيّ. وبهذه الطّريقة يمكننا كذلك أن نذكر الأصوات الكلاميّة، في حديث عن شخص يلثغ، على سبيل المثال، يمكن للمرء أن يقول (I am tired of

1281 Plains Cree
1282 disbelief
1283 facetious mispronunciation
1284 by-form(s)
1285 In original text (How do you do it) and the transcription is of the form without the first do?????
1286 sub-linguistic communication

his eternal *yeth, yeth.*) [تعبت من تكراره الأزليّ لـ *yeth*]. وتتمثّل الحالة الأكثر شيوعا في التّقنيم1287، أي ذكر شكل كلاميّ في صورته الصّوتيّة العاديّة، كما في قولنا ("That is only an *if*") [ايس ذلك إلاّ *إن*]، أو ("there is always a *but*") [هناك دائما *لكن*]، أو عندما نتكلّم عن ("the word *normalcy*") [الكلمة normalcy]، أو ("the name *Smith*") [الاسم *سميث*]. ويمكن للمرء أن يتحدّث عن أجزاء من الكلمات، كما سأفعل في هذا الكتاب عن "اللاّحقة (*-sh*) في عبارة (*boyish*) [طفوليّ]. ويرتبط التّقنيم ارتباطا وثيقا بإيراد الشّواهد1288، أي إعادة قول ما.

9. 8. تكمن خصوصيّة الأشكال الّتي نظرنا فيها في الفقرة الأخيرة، في مظاهر التّحريف عن التّقارن الاعتياديّ بين الشّكل الصّوتيّ والمعنى المعجميّ. وعندما لا يجري مثل هذا التّحريف، ولا يكون محلّ الاعتبار إلاّ شكل صوتيّ عاديّ واحد بمعنى معجميّ واحد، يُظهِر هذا الأخير رغم ذلك تعقّدا كبيرا. وكنّا قد رأينا أنّ حال المعرفة اليوم لا تكفي للكشف عن جميع مظاهر التّشابك في المعنى، ولكن هناك سمتان رئيسيّتان للمعنى المعجميّ المقترن بالأشكال الكلاميّة تقتضيان شرحا من قبيل ما نقدر على فعله.

تُستعمَل أشكال لغويّة كثيرة جدّا في أكثر من وضعيّة خصوصيّة واحدة. ففي الإنجليزيّة، نتحدّث عن (*head*) الرّأس لجيش ما، أو لموكب، أو لعائلة، أو لنهر، وعن رأس كرنب؛ وعن (*mouth*) الفم لقارورة أو مدفع أو نهر، وعن (*eye*) العين لإبرة وللشِّصاص، وعن أعين على فستان، وعن (*teeth*) الأسنان لمنشار؛ وعن (*tongue*) اللّسان لحذاء أو لعربة قطار؛ وعن (*neck*) العنق لقارورة وعن عنق للغابة؛ وعن (*hands*) اليدين و(*feet*) السّاقين و(*back*) الظّهر لكرسيّ؛ وعن (*foot*) السّاق لجبل؛ وعن (*hearts*) القلوب للكرفس. ويمكن أن يكون رجل ما (*fox*) *ثعلبا*، أو (*ass*) *حمارا*، أو (*dirty dog*) *كلبا وسخا*؛ وامرأة ما (*peach*) *خوخة* أو(*lemon*) *ليمونة* أو(*cat*) *قطّة* أو(*goose*) *إوزّة*؛ والنّاس (*sharp*) *حادّون* و (*keen*) *أشدّاء* أو(*dull*) *ثقلاء*؛ أو بدل ذلك (*bright*) *لامعون* أو (*foggy*) *ضبابيّون* من حيث نكاتهم، (*warm*) *دافئون* و(*cold*) *باردون* من حيث مزاجهم؛ (*crooked*) *معوجّون* أو(*straight*) *مستقيمون* من حيث سلوكهم؛ ويمكن أن يكون شخص ما (*up in the air*) *'محلّقا في الفضاء'*، أو (*at sea*) *'على البحر'*، أو(*off the handle*) *'خارج السّيطرة'*، أو (*off his base*) *'خارج أساسه'*، أو حتّى (*beside himself*) 'إلى جانب نفسه' دون أن ينتقل فعليّا خارج الموضع. ويكون القارئ قادرا على إضافة أمثلة لا حدّ لها عمليّا؛ فلا هوّة أوسع من تعداد هذه "الاستعارات" وتصنيفها.

وما يلفت في شأن هذه المعاني المتنوّعة إنّما هو اتّفاقنا في اعتبار الواحد من المعاني طبيعيّا (أو مركزيّا) واعتبار الأخرى هامشيّة (استعاريّة أو معدولة1289). ويكون المعنى المركزيّ مفضّلا بمعنى أنّنا

1287 hypostasis
1288 quotation
1289 transferred

نفهم شكلا (أي نستجيب له) على المعنى المركزيّ ما لم ترغِمنا سمة ما من الوضعيّة العمليّة على النّظر إلى معنى معدول.

فإذا سمعنا شخصا يقول (*There goes a fox!*) [هناك ثعلب يدرج!]، ننظر أوّلا بحثا عن ثعلب حقيقيّ، فإن لم يكن ذلك واردا، يُحتَمَل أن نأخذ ذلك الملفوظ على أنّه كلام معدول (لنقل، إيهاما أو جزءا من حكاية خرافيّة). ولا نأخذ ذلك الشّكل على المعنى المعدول إلاّ إذا ما أرغمتنا سمة ما من الوضعيّة – لنقل، إن كان المتكلّم مشيرا إلى رجل– على ذلك. وحتّى إذا ما سمعنا شخصا يقول (*The fox promised to help her*) [لقد وعد الثّعلب بأن يعينها]، يكون من الأرجح أن نفكّر في حكاية خرافيّة بدل التّفكير في ثعلب 'شخص لا ضمير له ذكيّ." وفي بعض الأحيان تكون السّمة العمليّة الّتي ترغمنا على فهم الشّكل في معناه المعدول قد أُعطِينا إيّاها في الكلام: فتكون (*Old Mr. Smith is a fox*) [السّيد سميث العجوز ثعلب]، مأخوذة على المعنى المعدول لزاما لأنّنا لا ندعو الثّعالب الحقيقيّة باستعمال (*Mr.*) [السّيّد]، أو نعطيها ألقابا عائليّة. ولا ترغمنا (*He married a lemon*) [لقد تزوّج ليمونةً]، على فهم المعنى المعدول إلاّ لأنّنا نعلم أنّ الرّجال لا يقيمون حفل زواج بواحدة من الثّمار. ومن جهة أخرى، قد تغيّر بعض الوضعيّات العمَليّة الخاصّةِ جميع ذلك. فالنّاس الّذي عاشوا بالقرب من هنود الفوكس1290 قد يأخذون كلمة (*fox*) [فوكس] في مثالنا، دون قيد مخصوص في المعنى المعدول 'فرد من أمّة الفوكس".

وفي بعض الحالات، يحدَّد المعنى المعدول لغويّا بشكل مصاحب له. فلكلمة (*cat*) [قطّ]، دائما معنى معدول عندما تكون مصحوبة باللاّحقة (*-kin*) ((*catkin*) [قُطَيط])، والكلمة (*pussy*) عندما تركَّب مع (*willow*) ((*pussy-willow*) [نبات يشبه زهره فرو القط])، وبالمثل الكلة (*eye*) [عين] عندما تكون مقترنة بلاحقة (*-let*) ((*eyelet*)[عُيينة، ثقيب]). وللكلمات (*dog*) [كلب]، و(*monkey*) [قرد]، و(*beard*) [لحية]، عندما تظهر مصحوبة بعلامات الاشتقاق من الفعل (لنقل، بعلامة (*to*) سابقة عليها)، دائما معنى معدول ((*to dog someone's foot steps*) [يتبع خطى شخص ما كما يفعل الكلب]، (*don't monkey with that*) [لا تعبث بشيء كما يفعل القرد]، (*to beard a lion in his den*) [تهكّم بلحية الأسد في عرينه]). ويمكن أن تكون هذه السّمات اللّغويّة نفيا مطلقا: فللفعل (*give out*) [نفد]، جاريا دون مفعول به ((*his money gave out*) [نفد ماله]، (*our horses gave out*) [نفقت جيادنا])، معنى معدول دائما، هو ('استنفاد الشّيء'). ففي هذه الحالات تعيّن بنية اللّغة المعنى المعدول. وحتّى اللّسانيّ الّذي لم يحاول مرّة تعريف المعاني، يلزمه أن ينصّص على أنّ الفعل (*give out*) [نفد]، عندما يجري لازما، يدلّ على شيء مختلف (أو هو شكل مختلف) عن (*give out*) [أعطى] المتعدّي ((*he gave out tickets*) [أعطى التّذاكر]).

1290 Fox Indian(s)

نتردّد في حالات كثيرة بين اعتبار الشّكل شكلا مفردا ذا معان عديدة، أو اعتباره مجموعة من المشترك اللّفظيّ. ومن أمثلة ذلك (*air*) 'هواء؛ نغمة، لحن؛ طريقة' (الأخيرة منها تتضمّن الجمع (*airs*) [مظهر متعال، متكبّر])، و(*key*) 'أداة للغلق وللفتح؛ مجموعة من النّغمات في الموسيقى'، و(*charge*) 'هجم؛ شحن؛ اتّهم؛ جعل المال على حسابه' و(*sloth*) 'اسم حيوان؛ الكسل'.

من المحتمَل أنّنا نخطئ بأن نعتقد أنّ المعاني المعدولة في لغتنا طبيعيّة بل لا مهرب منها في الكلام البشريّ – وأكثر من ذلك، بحكم أنّها تجري في اللّغات الأوروبّيّة الأخرى. غير أنّ هذا الأمر الأخير مجرّد نتيجة لعاداتنا الثّقافيّة المشتركة؛ فعندما تحدث المعاني المعدولة في جميع اللّغات، لا سبيل إلى اعتبار المعاني المخصوصة منها في أيّ لغة بعينها، مضمونة. فلا يمكن لأيّ شخص أن يتكلّم في الفرنسيّة ولا في الألمانيّة عن عين للإبرة أو أذن للحبّة. ويبدو الحديث عن ساق الجبل طبيعيّا عند أيّ أوروبّيّ ولكنّ ذلك قد يكون غير ذي معنى في المينومينيّة وممّا لا شكّ فيه في لغات أخرى كثيرة. ومن جهة أخرى، يكون في المينومينيّة لـ[una:ʔnɛw] [هو يضعه في موقف] المعنى المعدول "هو ينزع منه القمل". ولا تُستعمَل في الرّوسيّة [no'ga] [ساق] للدّلالة على ساق الكرسيّ أو الطّاولة؛ ولا يظهر هذا المعنى المعدول إلاّ في التّصغير[1291] ['noška] ["ساق صغيرة؛ ساق كرسيّ أو طاولة"]. ووفقا لذلك، عندما يحاول اللّسانيّ أن يضبط المعاني يهمِل دون ضير استعمالات الكلام المعدول، ولكنّه يبذل قصارى جهده في تسجيل جميع الحالات الّتي يكون فيها المعنى معدولا.

ينطبق جميع ذلك على نوع آخر من المعنى المعدول، هو المعنى المضَيَّق[1292]، مع فارق يتمثّل في أنّنا أبعد ما يكون عن الاستعداد لقبول شكل ما جار في معنى مضيَّق. تقودنا الوضعيّة العمليّة فورا إلى أخذ (*car*) في معان ضيّقة مختلفة في (*The diner is in the second car forward*) [المطعم في العربية الثّانية إلى الأمام] ('عربة قطار')؛ (*Does tha car stop at this corner?*) [هل تقف العربة عند هذه الزّاوية؟] ('ترام نقل عموميّ')؛ (*Bring the car close to the curb*) [قرّب العربة من الرّصيف]، ('سيّارة'). وعندما نسمع الأمر *بإحضار الدّكتور*، نفهم فورا أنّ المعنيّ *دكتور في الطّبّ*. و(*burner*) [الحرّاق]، في الأساس، شخص أو أداة تحرق الأشياء، ولكنّه في العادة وفي معنى ضيّق، حنفيّة غاز مصنوعة على شاكلة تصدر لها منها نوع مخصوص من شعلة النّار. و(*bulb*) عند الجنّانين شيء وعند الكهربائيّين شيء آخر. و(*glass*) في العادة كأس للشّرب وزجاج نظّارات؛ و(*glasses*) في العادة نظّارات العين. والمعاني الضّيّقة يصعب تحديدها لأنّ كلّ استعمال لشكل ما، في نهاية الأمر، تثيره وضعيّة عمليّة بعينها لا تتضمّن بالضّرورة جميع الإمكانيّات المتوفّرة في المعنى: فكلمة *تفّاحة* تجري مرّة على واحدة خضراء ومرّة على واحدة حمراء، وهكذا دواليك.

1291 diminutive
1292 narrow(ed) sense

وتميّز اللّغة نفسها باعتماد الخصائص الشّكليّة المعاني الضّيّقة في بعض التّوليفات. فعلى سبيل المثال (*blackbird*) ليس مجرّد 'طائر أسود' مهما كان: معنى 'أسود' في هذه التّوليفة مضيّق إلى حدّ كبير؛ وبالمثل يكون (*blueberry*) [توت (أزرق)] و(*whitefish*) [سمك أبيض]، وما شابه.

والمعاني الموسّعة[1293] أقلّ انتشارا. وفي العموم، يكون (*cat*) [قطّ]، الحيوان الأليف، ولكنّنا بين الفينة والأخرى نستعمل الكلمة لتتضمّن الأُسُود والنّمور وما إلى ذلك؛ ولكنّ كلمة (*dog*) [كلب]، لا تُستعمَل بنفس الوجه لتتضمّن الذّئاب والثّعالب. ومن جهة أخرى، تستعمَل (*hound*) [كلب الصيد، الرّعي] استعمالا شعريّا وفكاهيّا على أيّ نوع من الكلاب. وغالبا ما يكون *المعنى* الموسّع معيّنا في بنية اللّغة، فلا يظهر إلاّ بحضور أشكال مصاحبة مخصوصة. وعلى هذا، تكون (*meat*) اللّحمَ الّذي يؤكل ولكن في (*meat and drink*) [لحم وشراب]، و(*sweetmeats*) [حلوى]، تدلّ على الطّعام مطلقا؛ ويكون (*fowl*) [طير]، طائرا ممّا يؤكل، ولكن في (*fish*) [السمك الطّائر] أو(*flesh*) [لحم الطّير]، أو (*fowl*) [طير]، أو (*the fowl of the air*) [طير الهواء]، يكون أيّ واحد من الطّير.

وفي الكثير الغالب، لا يميّز المتكلّمون بلغة ما بين معنى مركزيّ[1294] ومعنى هامشيّ[1295] في حالات يرى فيها شخص أجنبيّ قيمتين مختلفتين من حيث الوضعيّة؛ فيكون، على هذا، يدلّ (*day*) [يوم] في الإنجليزيّة على مدّة زمانيّة من أربع وعشرين ساعة (السّويديّة (*dygn*) [dyŋn]) أو الجزء المضيء من هذه المدّة (مقابل (*night*) [ليل]؛ والسّويديّة (*dag*) [da:g]).

9. 9. يتمثّل الوجه الثّاني الّذي به تظهر المعاني عدم استقرارها، في ما نطلق عليه المعاني الإيحائيّة[1296]. فمعنى شكل ما عند أيّ متكلّم لا يعدو أن يكون إلاّ نتيجة للوضعيّات الّتي كان قد سمع فيها ذلك الشّكل. فإن لم يسمعه مرّات كثيرة، أو سمعه في ظروف غريبة جدّا، يُحتمَل أن ينحرف استعماله إيّاه عن المعتاد. نقاوم هذه الانحرافات الفرديّة بإعطاء تعريفات للمعنى ظاهرة؛ وتلك هي الفائدة الرّئيسيّة من القواميس عندنا. وفي حال المصطلحات العلميّة، نحاول أن نحافظ على المعنى خلوا من العوامل الإيحائيّة أو يكاد، وإن أمكن أن نفشل في ذلك؛ فللعدد *ثلاثة عشر*، على سبيل المثال، معنى إيحائيّ كبير عند الكثير من النّاس.

وتنشأ أهمّ المعاني الإيحائيّة من المكانة الاجتماعيّة الّتي للمتكلّمين الّذين يستعملون شكلا ما. فالشّكل الّذي تستعمله طبقة من المتكلّمين الأقلّ حظّا، غالبا ما يبدو لنا فظّا وسمِجا وسوقيّا. فالعبارات (*I ain't got none*) [ما عندي منه شيء]، و(*I seen it*) [كنت قد رأيته]، و(*I done it*) [كنت قد فعلته]، تبدو قذرة عند المتكلّم بالإنجليزيّة المعياريّة. وقد يكون هذا الأمر متولّدا عن عامل مخصوص: يمكن أن

1293 wide(ned) meaning(s)
1294 central meaning
1295 marginal meaning
1296 connotation(s)

تحمل الأشكال الكلاميّة الجارية عند المتشرّدين والمجرمين معنى إيحائيّا بموقف اللاّمبالاة ويمكن أن تبدو لنا الأشكال الخشنة أشكالا بشعة ولكنّها شاعريّة. وقد يبدو لنا شكل مستعمل عند طبقة محظوظة من المتكلّمين شكلا غاية في التّصنّع أو محسّنا أو متكلّفا. ويجد أغلب المتكلّمين بإنجليزيّة االوسط الغربيّ الأمريكيّة هذا المعنى الإيحائيّ في استعمال [a] بدلا من [ɛ] في أشكال من قبيل (*laugh*) [ضحك]، و(*bath*) [سبح، اغتسل]، و(*can't*) [لا يستطيع]، وفي استعمال [juw] بدلا من [uw] في أشكال من قبيل (*tune*) [نغَم]، و(*sue*) [قاضى]، و(*stupid*) [غبيّ].

والمعاني الإيحائيّة ذات المنشإ المحلّيّ قريبة جدّا من تلك المعاني؛ فلعبارة أسكتلنديّة أو إيرلنديّة نكهتها الخاصّة؛ وكذا الأمر، في أمريكا، لبعض العبارات المؤنجلة[1297]، من قبيل (*luggage*) [أمتعة السفر] نطقا لـ(*baggage*)، أو (*old chap*) [يا صديقي القديم] و(*old dear*) [يا عزيزي القديم]، كلمتين جاريتين في التّخاطب.

وتعرف بعض الأشكال (صوابا أو خطأ) حتّى في المجموعات البشريّة الّتي لا تعرف الكتابة، بأنّها من المهجور[1298]؛ ففي المجموعات الّتي تبمك وثائق مكتوبة تمثّل هذه موارد إضافيّة للمهجور من الأشكال. ومن الأمثلة في الإنجليزيّة، أشكال ضمير الشّخص المخاطب المفرد القديمة (*thou hast*)، وأشكال الشّخص الغائب المتكوّنة من (*-th*) (*he hath*)، وتصريف الحاضر الافتراضيّ[1299] القديم (*if this be treason*) [إن هذا كان خيانة]، والضّمير (*ye*)، وأشكال كثيرة مثل (*eve*) [عشيّة، مساء]، (*e'en*)[1300] [رغم، مساء]، و(*e'er*)[1301] [أبدا]، و(*morn*) [صباح، ضحى، فجر]، و(*anent*)[1302] [في خصوص، في ما يتعلّق]، وما إلى ذلك. وفي بعض الأحيان، يمكن أن تحافظ عبارات معاصرة تمام المعاصرة على بعض من الشّكل المأثور[1303]؛ فتستمرّ حينئذ بعض الأبنية الجُمَليّة[1304] القديمة في أمثال قليلة، من قبيل (*First come, first served*) [الأوّل فالأوّل]، أو (*Old saint, young sinner*) [الشّيخ القدّيس شابّ آثم].

ويأخذ المعنى الإيحائيّ المقترن بالأشكال التّقنيّة طابعه من المنزلة الّتي تكون للحرفة أو التّجارة الّتي أخِذَت منها. فالمصطلحات البحريّة توحي بالأهبة والإخلاص والاندفاع في المغامرة: (*abaft*) [على المؤخّرة]، و(*aloft*) [فوق الأشرعة]، و(*the cut of his jib*) [سيماه على شكل أنفه (من شكل الشّراع الّذي يعرف به أصل السّفينة من شكله)]، و(*stand by*) [على أهبة، احتياطيّ]، وتبدو المصطلحات القانونيّة

1297 anglicism(s)
1298 archaism
1299 subjunctive
1300 even(ing) > e'en
1301 ever > e'er
1302
1303 aphoristic (aphoristique)
1304 sentence-construction

دقيقة، متشعّبة نوعا ما: (*without let or hindrance*) [دون إذن أو عوائق]، و(*in the premises*) [في الدّيباجة، المقدّمات]، و(*heirs and assigns*) [الورثة والمستحقّون]، ومصطلحات المجرمين شديدة تذهب رأسا إلى الموضوع: (*a stickup*) [سطو مسلّح (من ارفع يديك عاليا)]، و((*a shot* (*of whiskey*)) [طلقة (ويسكي)]، و(*get pinched*) [التقِط (قبض عليه)].

والمعنى الإيحائيّ في الأشكال المكتسبة بالتّعلّم أكثر ضبابيّة ولكنّه أكثر تواترا: لكلّ شكل عامّيّ تقريبا شكل يوازيه ذو معنى إيحائيّ مكتسب بالتّعلّم :

العاديّ		المكتسب بالتّعلّم	
He came too soon.	أتى سريعا جدّا.	*He arrived prematurely*	وصل قبل الأوان
It's too bad.	هذا قبيح جدّا.	*It is regrettable.*	هذا مأسوف عليه
Where're you going?	إلى أين أنت ذاهب؟	*What is you destination?*	ما وجهتك؟
now	الآن	*at present*	في الحاضر
if he comes	إن أتى	*in case (in case that, in the event that, in the contingency that) he comes; should he come,...*	في حال (في حال، في حدوثِ، في احتمال) أن يأتي
so (that) you don't lose it.	حتّى لا تخسره.	*in order that you may not lose it , lest you lose it.*	في سبيل أن لا يمكن أن تخسره، خِشية أن تخسره.

كما تظهر هذه الأمثلة، يتمازج المكتسب بالتّعلّم والأنيق والمهجور من أنواع المعنى الإيحائيّ في أشكال كثيرة. ففي الكلام الرّسميّ وفي الكتابة، نخيّر عادة الأشكال المكتسبة بالتّعلّم، إلى درجة معيّنة: فمن يستعمل أشكالا مكتسبة بالتّعلّم كثيرة جدّا يعتبَر متكلّما متحذلقا أو كاتبا مملاّ.

تحمل الأشكال الكلاميّة الأجنبيّة معاني إيحائيّة خاصّة بها تعكس موقفنا من الشّعوب الأجنبيّة. ويمكن أن تتكوّن سمات الشّكل الأجنبيّة من خصوصيّات في الصّوت أو في القالب الصّوتيّ: (*garage*) [مستودع]؛ (*mirage*) [سراب]؛ (*rouge*) [أحمر]؛ (*a je ne sais* quoi) [لا أعرف بالتّحديد]؛ (*olla podrida*) [وعاء فاسد]؛ (*chile con carne*) [فلفل حارّ باللّحم]؛ (*dolce far niente*) [الحلو لا يفعل شيئا]؛ (*fortissimo*) [قويّ]؛ (*Zeitgeist*) [روح العصر]؛ (*Wanderlust*) [الولع بالسّفر والجولان]؛ (*intelligentsia*) [المثقّفون]. وفي نماذج أخرى، تكمن السّمة الأجنبيّة في البنية، كما في الأنواع المنقاسة على الفرنسيّة (*marriage of convenience*) [زواج المصلحة]، و(*that goes without saying*) [يستقيم ذلك دون أن نقول]. وتحول هذا النّكهة الأجنبيّة إلى استعمال هزليّ في الأشكال الأجنبيّة التّهكّميّة1305، من قبيل (*nix come erouse*) (تجري سخريةً من الألمانيّ)، (*ish gabibble*) ['هذا ليس من شأني بتاتا'] (يفترض أنّها من العبريّة الألمانيّة1306). ويستعمل أطفال المدارس كلمات تهكّميّة لاتينيّة1307 من

1305 mock-foreign form(s)
1306 Judeo-German
1307 latinism(s)

قبيل الشّكل (*quid sidi quidit*) الّذي لا معنى له أو البيت الشّعريّ المكارونيّ1308: (*Boyibus kissibus priti girlorum, girlibus likebus, wanti somorum*) [الولدوس يقبلوس البنتوم الجميلوم، البنتوس تعجَبوس، تحبّوم زيادتوم كثيروم (الأولاد يحبّون تقبيل البنات، والبنات يعجبهنّ ذلك ويردن المزيد)].

تتضمّن بعض اللّغات، وربّما كانت الإنجليزيّة أبرزها على الأخصّ، رصيدا كبيرا من الأشكال شبه الأجنبيّة أو الأجنبيّة المكتسبة بالتّعلّم – هو قسم من الأشكال ذات الأسلوب المتميّز من حيث القالب والاشتقاق. وتفصل كتب البلاغة المدرسيّة عندنا، هذه الأشكال على أنّها القسم "اللاّتينيّ–الفرنسيّ" من رصيد المفردات عندنا، عن رصيد الأشكال "الأصيلة" أو "الأنغلوسكسونيّة". غير أنّ المعنى الإيحائيّ لا يرتبط مباشرة بمأتى الأشكال الحقيقيّ. فالكلمة (*chair*) [كرسيّ]، على سبيل المثال، لاتينيّة–فرنسيّة في الأصل، ولكنّها لا تنتمي إلى القسم الأجنبيّ المكتسَب بالتّعلّم من المفردات عندنا. وربّما تكون الخصيصة الشّكليّة الرّئيسيّة في ما عندنا من الأشكال الأجنبيّة المكتسبة بالتّعلّم، متمثّلة في استعمال لواحق منبورة معيّنة وتوليفات من اللّواحق، من قبيل [-itij] (*ability*) [قدرة]؛ و[-ˈejšn̩] (*education*) [تربية]. وتتمثّل سمة أخرى في استعمال تناوبات1309 صّوتيّة معيّنة من قبيل [sijv] في (*receive*) [قبِل]، لكن [sep] في [*reception*] [قبول]، و[sij] في (*receipt*) [وصْل قبول]، أو [vajd] في (provide) [وفّر]، لكن [vid] في (*provident*) [موفّر، حكيم]، و[viz] في (*visible*) [مرئيّ]، و[vič] في (*provision*) [توفير]. وتكفي هذه الخصوصيّات لوسم بعض الكلمات ومكوّنات الكلمات الأجنبيّة المكتسبة بالتّعلّم، وخاصّة سوابق معيّنة (ab-, ad-, con-, de-, dis-, ex-, in-, per-, pre-, pro-, re-, trans-)؛ وتظهِر هذه اللّواحق أنفسها، جزئيّا، تناوباتٍ صوتيّةً غريبة، كما في (*con-tain*) [احتوى]، ولكن (*collect*) [جمّع]، و(*correct*) [صحيح]، و(*ab-jure*) [تنكّر] لكن (*abs-tain*) [امتنع]. ومن زاوية دلاليّة، تكون الأشكال المكتسبة بالتّعلّم عندنا، غريبةً من حيث معاني التّوليفاتِ الدّقيقةُ المتقلّبةُ. فعلى سبيل المثال، يبدو من المستحيل أن نقيم أيّ معنى متكامل للعناصر من قبيل [sijv] في (*conceive*) [تصوّر]، (*deceive*) [خيّب]، (*perceive*) [أدرك]، (*receive*) [قبِل]؛ أو [tend] في (*attend*) [حضر]، (*contend*) [نافس]، (*distend*) [تمدّد]، (*pretend*) [ادّعى]، أو [d(j)uws] في (*adduce*) [أدلى]، (*conduce*) [أدّى]، (*deduce*) [استخلص]، (*induce*) [استنتج]، (*produce*) [أنتج]، (*reduce*) [قلّص]. وتكمن النّكهة الإيحائيّة لهذه الأشكال في الوجهة المكتسبة بالتّعلّم: قدرة المتكلّم على استعمال هذه الأشكال تُقَاس بها درجة التّعلّم عنده. وتعكس الأخطاء في استعمالها (الإجراء في غير المحلّ1310) صورةَ المتكلّم من أشباه المتعلّمين. فيعجز المتكلّم من ذوي الدّرجة الدّنيا من التّعلّم عن فهم الكثير من هذه الأشكال، فيكون في حدود ذلك مقصى من

1308 macaronic verse
1309 alternation(s)
1310 malapropism(s) (malapropisme(s))

بعض الأنواع من المحادثات، ويمكن أن يثأر لنفسه باستعمال أشكال تهكّميّة متّخذة من المكتسب بالتّعلّم، من قبيل (*absquatulate*) [الانتقال من مكان إلى آخر على عجل]، و(*discombolulate*[1311]) [شوّش التّفكير]، و(*rambunctious*) [متهوّر]، و(*scrumptious*) [ممتع، عذب]. وتتضمّن لغات كثيرة طبقة من هذا القبيل مكتسبة بالتّعلّم: في اللّغات الرّومنيّة نوع لاتينيّ شبيه بما عندنا إلى حدّ كبير، وفي الرّوسيّة إلى جانب ما ينتشر فيها كثيرا من هذا النّوع، أشكال مكتسبة بالتّعلّم من البلغاريّة القديمة؛ وفي التّركيّة طبقة من الكلمات الفارسيّة والعربيّة؛ وفي الفارسيّة طبقة من الكلمات العربيّة؛ وبالمثل تستعمل لغات الهند الأشكال السّنسكريتيّة.

وعلى خلاف المعنى الإيحائيّ المكتسب بالتّعلّم، يكون المعنى الإيحائيّ العامّيّ[1312] أكثر تفكّها ولا ضابط له: مستعملو الأشكال العامّيّة هم الشّباب والرّياضيّون والمقامرون والمشرّدون والمجرمون، ومنهم أغلب النّاس لتحقيق هذه الغاية في حالات من مزاج الاسترخاء والتّعامل العفويّ. والأمثلة معهودة، من قبيل (*guy*) [فتى، فتاة]، و(*gink*) [شاب، رجل أبله أو غريب الأطوار] و(*gazebo*) [بناية مغطّاة مفتوحة الجوانب تجعل في موقع مشرف من الحدائق للاستعمال صيفا]، و(*gazook*)[1313] [رجل جاهل أو غليظ أو فجّ أو غبيّ] و(*bloke*) [رجل] و(*bird*) [عصفور] في تسمية 'الرّجل'، و(*rod*) [قضيب] و(*gat*) [حفرة] في تسمية 'المسدّس'، وما إلى ذلك. ويمكن للشّكل العامّيّ في الوقت نفسه أن يكون أجنبيّا مثل (*loco*) [معتوه]، و(*sabby*) [فهِمَ]، و(*vamoose*) [ذهب بعيدا]، من الإسبانيّة. وتكون القيمة فكهة جدّا؛ ويحتمَل أن يعوّض الشّكل العامّيّ بطرفة جديدة عندما يكون قد استعمل لمدّة طويلة.

9. 10. أصناف المعنى الإيحائيّ ممّا لا يعدّ ولا يحدّ ولا يمكن تمييزه من حيث هو كلّ تمييزا واضحا من المعنى الوضعيّ[1314]. وفي التّحليل المعروض قبيل هذا، يكون لكلّ شكل كلاميّ نكهته المعنويّة الإيحائيّة الخاصّة به عند المجموعة البشريّة بكاملها، وتحوَّر هذه بدورها بل تعوَّض من كلّ واحد من المتكلّمين بالمعنى الإيحائيّ الّذي اكتسبه الشّكل الكلاميّ عنده خلال تجربته الخاصّة. غير أنّه قد يحسن الحديث بإيجاز عن صنفين إضافيّين من المعنى الإيحائيّ يتميّزان على الأقلّ تميّزا واضحا نسبيّا.

لا يجري التّلفّظ في الكثير من المجموعات الكلاميّة ببعض الأشكال الكلاميّة النّابية إلاّ في ملابسات مقيّدة؛ فيُعيّر أو يعاقب من يتلفّظ بها خارج حدود القيد. ويتراوح المنع بين قاعدة متسامحة في تحديد المناسبة ومحرّم[1315] صارم. نتمي الأشكال النّابية في قسم كبير منها إلى بعض المجالات المعنويّة، ولكن توجد إلى جانبها في الأغلب أشكال دالّة على المعنى الوضعيّ نفسه ولكنّها خلو من المعنى الإيحائيّ النّابي، كما توجد (*prostitute*) [مومس]، إلى جانب الشّكل النّابي (*whore*) [عاهرة].

1311 in original (SIC), page154 (not found), instead (discombobulate)
1312 slangy
1313 gazookus : 1900-1940, US, Lower class, East Coast, person as lout, a boor, a fool or even a dofus
1314 denotative meaning
1315 tabou

تدلّ بعض الأشكال النّابية على الأشياء أو الأشخاص ممّا لا ينبغي تسميته بطريقة عفويّة أو ربّما كانت ممّا لا يسمّى مطلقا. ففي الإنجليزيّة لا تكون كلمات دينيّة متنوّعة، من قبيل (*God*) [الرّبّ]، و(*devil*) [إبليس]، و(*heaven*) [الجنّة، السّماء]، و(*hell*) [جهنّم، النّار]، و(*Christ*) [المسيح]، و(*Jesus*) [يسوع]، و(*damn*) [اللّعنة]، مناسبة إلاّ في الكلام الجدّيّ. ويعرّض خرق القاعدة المتكلّمَ للتّوبيخ أو الاجتناب1316؛ ومن جهة أخرى، يوحي الخرق جاريا في جماعات بعينها أو في ظروف معيّنة، بالقوّة وبالحرّيّة. وتكون أسماء الأشخاص في مجموعات بشريّة كثيرة من المحرّمات في بعض الملابسات أو عند بعض النّاس. فالذّكَر من هنود الكري، مثلا، لا ينطق بأسماء أخَواته وبأسماء الإناث الأخريات من أقاربه؛ ويفسّر الاجتناب بالقول:"أنا أحترمها كثيرا".

وهناك صنف ثالث من المعنى الإيحائيّ النّابي أقلّ شيوعا عندنا؛ هو اجتناب الأشكال الكلاميّة المشؤومة1317 الّتي تسمّي شيئا أليما أو خطِرا. فيجتنب المرء كلمتي (*die*) [مات]، و(*death*) [موت] (إن كان يجب أن يحدث أيّ شيء لي) وأسماء بعض الأمراض. وتجتنب شعوب أخرى ذكر اليد اليسرى، أو العواصف الرّعديّة.

وفي بعض المجموعات البشريّة يجتنب المرء تسمية الطّرائد من الحيوان، إمّا أثناء الصّيد أو بصفة أعمّ. وقد تُجتنب في ظروف خاصّة (كأن يكون النّاس في طريقهم إلى الحرب) أشكال كلاميّة كثيرة، أو قد يتوجّب قلْب1318 الكلام بأن يقول المرء عكس ما يعني.

9. 11. يتمثّل الصّنف الثّاني من المعنى الإيحائيّ الأكثر تخصّصا والّذي يستحقّ الإبراز في هذا السّياق، في الكثافة1319. وأشدّ الأشكال تميّزا بالكثافة إنّما هي أساليب التّعجّب1320. ولهذه الأساليب، لا نملك في الإنجليزيّة صوتما ثانويّا خاصّا بها [!] فقط، بل يكون لنا كذلك أشكال كلاميّة محدّدة خاصّة بها، هي الخوالف1321، من قبيل (*oh!*)، و(*ah!*)، و(*ouch!*). تعكس هذه الأشكال جميعها مثيرا عنيفا، ولكنّها مختلفة عن الخبر العاديّ في المعنى الإيحائيّ حيث يكاد لا يقول المتكلّم شيئا ما عدا مروره بفترة تأثير من مثير شديد.

ولبعض الأشكال الكلاميّة نكهة حيويّة1322، ملازمة للتّعجّب، كما يكون مثلا في جعل بعض أسماء الظّروف1323 في البداية: (*Away ran John*) [إلى بعيد هرب جون] (*Away he ran*) [إلى بعيد (هو) هرب]. وتظهر نكهة مشابهة لذلك في السّرد المتواصل بوجه من التّحويل أقلّ عنفا: الشّكل

1316 avoidance
1317 ominous
1318 inverted speech
1319 intensity
1320 exclamation(s)
1321 interjection(s)
1322 animated (animé)
1323 adverb(s)

(*Yesterday he came (ans said...)*) [أمس وصل هو (وقال...)] أكثر حيويّة من (*He came yesterday...*) [وصل (هو) أمس...]. وشكل التّصريف في الحاضر التّاريخيّ1324، في الإنجليزيّة، في سرد الأحداث الماضية، إمّا أنيق كما يكون في ملخّص مسرحيّة أو حكاية، أو مبتذل نوعا ما في الكلام العاديّ: (*Then he comes back and says to me*) (ثمّ يرجع إليّ ويقول لي...).

والإنجليزيّة غنيّة على وجه الخصوص بصنف آخر من أشكال الكثافة، هي الأشكال الرّمزيّة1325. والأشكال الرّمزيّة ذات شحنة إيحائيّة تتمثّل نوعا ما في رسم المعنى رسما أكثر فوريّة ممّا تفعل الأشكال الكلاميّة العاديّة. وتفسير ذلك متّصل بالبنية النّحويّة ولنا عناية به لاحقا؛ ويبدو للسّامع كما لو أنّ الأصوات مواتية للمعنى خصّيصا. ومن أمثلة ذلك (*flip*) [نقف، نقر]، و(*flap*) [خفق، رفرف]، و(*flop*) [ارتفع وانخفض]، و(*flitter*) [ينتقل من شخص إلى آخر سريعا]، و(*flimmer*) [مرتجف]، و(*flicker*) [ترجرج]، و(*flutter*) [رفرف]، و(*flash*) [أومض، ومضة]، و(*flush*) [توهّج]، و(*flare*) [لمعان]، و(*glare*) [سطوع]، و(*glitter*) [بريق]، و(*glow*) [توهّج، حماس]، و(*gloat*) [بهجة]، و(*glimmer*) [وميض، بريق]، و(*bang*) [فرقعة]، و(*bump*) [ارتطم]، و(*lump*) [ورم]، و(*thump*) [ارتطم]، و(*thwack*) [ضرب بشيء مسطّح]، و(*whack*) [ضرب عنيف يكون ذا صوت]، و(*sniff*) [تنشّق]، و(*sniffle*) [شهق]، و(*snuff*) [تنشّق التّبغ]، و(*sizzle*) [صرير]، و(*wheeze*) [أزيز، صفير]. وتظهِر اللّغات من ذوات الأشكال الرّمزيّة، بعض التّوافق، وربّما قدرا أكبر من الاختلاف، في ما يتعلّق بأنواع الأصوات والمعاني المقترنة بها. ومن أصناف الأشكال الرّمزيّة ذات الشّيوع الواسع، تكرار الشّكل ببعض التّنويع الصّوتيّ كما في (*snip-snap*) [تبادل للكلام قصيرا سريعا في محاورة]، و(*zig-zag*) [خطّ، سير متعرّج]، و(*riff-raff*) [رجرجة، أرذال النّاس]، و(*jim-jams*) [رعشة متواصلة مصحوبة بالهذيان]، و(*fiddle-faddle*) [مضيعة الوقت، كلام غير ذي معنى]، و(*teeny-tiny*) [فتات الفتات]، و(*ship-shape*) [على غاية من التّنظيم والتّنضيد]، و(*hodge-podge*) [شذر مذر، خليط جليط]، و(*hugger-mugger*) [على غاية من التّشويش والتّداخل، على غاية من السّرّيّة]، و(*honky-tonk*) [مقهى أو ملهى ذو أسعار بخسة يرتاده الرّعاع].

ومن الأشكال القريبة شديدا من هذا أشكال الكثافة المحاكية1326 أو المحاكية للأصوات1327 الّتي تدلّ بالوضع على صوت أو شيء يصدر عنه صوت: يشبه الشّكل الكلاميّ المحاكي ذلك الصّوت:

(*cock-a-doodle-doo*) [محاكاة الديك يصيح، في قصص الأطفال خاصّة]، و(*meeow*) [محاكاة مواء القطّ]، و(*moo*) [محاكاة خوار البقر]، و(*baa*) [محاكاة ثغاء الغنم]. والكثير من اسماء الطّيور من

1324 historical present
1325 symbolic form(s)
1326 imitative
1327 onomatopoetic

هذا القبيل: (*cuckoo*) [الوقواق (طائر، صوت)]، و(*bob-white*) [محاكاة طائر يشبه الحجل يسكن بعض المواطن من القارّة الأمريكيّة]، و(*whip-poor-will*) [محاكاة صوت طائر بهذا الاسم من أمريكا]. والأشكال المكرّرة شائعة: (*bow-wow*) [محاكاة نباح الكلب]، و(*ding-dong*) [محاكاة دقّات السّاهة]، و(*pee-wee*) [محاكاة صوت طائر بهذا الاسم (بيوي)]، و(*choo-choo*) [محاكاة صوت القاطرة من القطار]، و(*chug-chug*) [محاكاة صوت المحرّك الانفجاريّ]. وتختلف هذه الأشكال من لغة إلى أخرى: يقول الكلب الفرنسيّ (*gnaf-gnaf*) [ŋaf ŋaf]؛ وتقول السّاعة الألمانيّة (*bim-bam*).

ومن الأشكال الّتي ذكِرت منذ حين، ما يكون ذا معنى إيحائيّ طفوليّ؛ هي الأشكال الحضانيّة[1328]. وأكثرها انتشارا (*papa*) [بابا]، و(*mama*) [ماما]. ويمكن في الإنجليزيّة لأيّ مقطع مضاعف تقريبا في أيّ معنى تقريبا، أن يُستعمَل شكلا حضانيّا؛ فكلّ أسرة تنشئ رصيدا خاصّا بها من صنف [dijdij, 'dajdaj, 'dajdij, 'mijmij, 'wawa]. توفّر هذه العادة الأشكال الكلاميّة الّتي يمكن للطّفل أن يحاكيها بسهولة نسبيّة، وتعين الكهل على تحويل ملفوظات الطّفل إلى إشارات مواضعيّة.

و تمتزج أسماء الحيوانات أو المعاني الإيحائيّة التّحبّبيّة[1329] على نظاق واسع بالأشكال الحضانيّة. ويكون لعدد قليل نسبيّا من أسماء الحيوانات الأليفة الشّكل الحضانيّ المضاعف مثل (*Lulu*) [لولو]؛ وهذا منتشر في الفرنسيّة: (*Mimi*) [ميمي]، (*Nana*) [نانا]، وما إلى ذلك.

وأسماء الحيوان الأليف في الإنجليزيّة أقلّ انسجاما: يمكن أن توصَفَ الأسماء (*Tom*) [طومْ]، و(*Will*) [وِلْ]، و(*Ed*) [آدْ]، و(*Pat*) [باتْ]، و(*Dan*) [دانْ]، و(*Mike*) [مايك]، من زاوية بنيويّة على أنّها أشكال مقصّرة[1330] من الاسم الكامل. وليس الأمر كذلك في (*Bob*) جاريا على (*Robert*) [وربار]، و(*Ned*) [نادْ] على (*Edward*) [إدوارد]، و(*Bill*) [بِلْ] على (*William*) [ويليام]، و(*Dick*) [ديكْ]، على (*Richard*) [ريتشارد]، و(*Jack*) [جاك] على (*John*) [جون]. ولبعض الأشكال لاحقة التّصغير [ij-]، مثل (*Peggy*) [باغّي]، و(*Maggie*) [ماغّي] جاريا على (*Margaret*)، و(*Fanny*) [فانّي] جاريا على (*Frances*) [فرانس]، و(*Johnny*) [جونّي]، و(*Willie*) [ويلّي]، و(*Billy*) [بيلّي].

وهناك بعض الكثافة كذلك في المعنى الإيحائيّ في الأشكال المعبّرة عن الكلام الّذي لا معنى له. فبعض هذه الأشكال، وإن كان تواضعيّا، لا يملك أيّ معنى وضعيّ على الإطلاق، مثل (*tra-la-la*) [ترا–لا–لا]، و(*hey-diddle-diddle*) [هاي ديدُّل–ديدُّل]، و(*tarara-boom-de-ay*) [تررَ–بوم–دي–آي]، ولبعضها الآخر معنى وضعيّ غائم مثل (*fol-de-rol*) [هذيان، كلام غير ذي معنى]، و(*gadget*) [آلة صغيرة]، و(*conniption fits*) [حالات الغضب الشّديد]. ويكون أيّ متكلّم حرّا في اختراع الأشكال من غير

1328 nursery-form(s)
1329 hypochorism/tic (hypocristic/ism) (hypocorisme, tique)
1330 shortening(s) raccourcissement(s)

ذوات المعنى. وبالفعل، كلّ شكل يخترعه شكل غير ذي معنى أو يفلِحَ في المهمّة شبه المستحيلة الّتي تتمثّل في جعل أبناء لغته يقبلون ذلك الشّكل إشارة جارية لمعنى ما.

الفصل العاشر:

الأشكال النّحويّة

10. 1. أظهر لنا بحثنا إلى هذا الحدّ أنّ كلّ لغة تتكوّن من عدد من الإشارات، هي الأشكال اللّغويّة. وكلّ شكل لغويّ توليفة ثابتة من الوحدات الإشاريّة[1331]، هي الصّواتم. وفي كلّ لغة يكون عدد الصّواتم وعدد التّوليفات الجارية فعلا بين الصّواتم محدودا حدّا باتّا. وعندما يتلفّظ متكلّم ما بشكل لغويّ ما إنّما يدفع سامعيه إلى الاستجابة لوضعيّة ما؛ وتمثّل هذه الوضعيّة والاستجابات لها المعنى اللّغويّ[1332] لذلك الشّكل. ونفترض أنّ لكلّ شكل لغويّ معنى ثابتا محدّدا يختلف عن معنى أيّ شكل لغويّ آخر في اللّغة نفسها. نفترض، حينئذ، عند سماع ملفوظات متعدّدة من شكل لغويّ معيّن أنّ (1) الفروق في الصّوت غير مفيدة (لا صوتيّة[1333])، و(2) أنّ الوضعيّات من المتكلّمين المتعدّدين تتضمّن بعض السّمات المشتركة وأنّ الفروق بين تلك الوضعيّات غير مفيدة (لا دلاليّة[1334])، و(3) أنّ هذا المعنى اللّغويّ يختلف عن معنى أيّ شكل آخر في اللّغة. وكنّا قد رأينا أنّ هذا الافتراض لا يمكن إثباته إذ يمكن أن تتضمّن وضعيّات المتكلّم واستجابات السّامع كلّ شيء تقريبا في العالم بأكمله، وترتبط خاصّة ارتباطا كبيرا بالحال اللّحظيّة الّتي تكون لنظاميهما العصبيّين. وزيادة على ذلك، نهتمّ عندما نخوض في تغيّر اللّغة التّاريخيّ، بالوقائع الّتي لا يستقيم في شأنها افتراضنا. غير أنّ افتراضنا يثبت، في العموم، بمجرّد كون المتكلّمين يتعاونون بطريقة على غاية من الدّقّة بواسطة الإشارات اللّغويّة. فعنايتنا تنصبّ أساسا، في وصف لغة ما، على اشتغال ذلك التّعاون في أيّ وقت من الأوقات في أيّ مجموعة بشريّة، لا على مظاهر الإخفاق الظّرفيّ فيها أو على تغيّراتها عبر التّاريخ. ووفقا لذلك، يتمثّل الطّور الوصفيّ في اللّسانيّات في تحليل الأشكال الكلاميّة تحليلا فيه بعض الصّلابة، قائما على افتراض أنّ لتلك الأشكال الكلاميّة معانيَ ثابتة قابلة للتّحديد (§9. 5).

غير أنّ افتراضنا الأساسيّ يحتاج حقّا إلى أن يحوّر من البداية على وجه آخر. فعندما نكون قد وثّقنا عددا كبيرا من الأشكال في لغة ما، نكتشف دائما سمة كنّا قد تجاهلناها إلى ذلك الحدّ: هي التّشابه الجزئيّ بين الأشكال اللّغويّة. لنفترض أنّنا نسمع متكلّما يقول

(*John ran*) [جرى جون]،

وبعيد ذلك بقليل نسمعه هو أو شخصا آخر يقول

(*John fell*) [سقط جون].

1331 signaling-form
1332 linguistic meaning
1333 unphonetic
1334 unsemantic

نهتدي عند الوهلة الأولى إلى أنّ ذينك الشّكلين، جرى جون وسقط جون، متشابهان صوتيّا تشابها جزئيّا إذ يتضمّن كلّ منهما عنصرا هو (*John*) [ĵɑn]، وتخبرنا معرفتنا العمّليّة أنّ المعنيين يظهران تشابها مناسبا: حيثما تضمّن شكل العنصر الصّوتيّ [ĵɑn]، ينطوي المعنى على رجل بعينه أو صبيّ من المجموعة. وبالفعل، إن صادفنا الحظّ، يمكن أن نسمع بعضهم يتلفّظ بالشّكل

(*John*!) [جون!]

بمفردها لا يصحبها شيء.

وبعد ملاحظة عدد من الحالات من هذا القبيل، نكون مرغمين على تحوير الافتراض الأساسيّ في اللّسانيّات ليصير: تتشابه بعض الملفوظات في مجموعة لغويّة، تشابها تامّا أو جزئيّا، في الصّوت وفي المعنى.

ويتمثّل القسم المشترك من الملفوظات المتشابهة جزئيّا (في مثالنا، (*John*)) في شكل صوتيّ ذي معنى ثابت: فهو يستجيب حينئذ لتعريف شكل لغويّ ما. والأجزاء الّتي ليست مشتركة بين الملفوظات المتشابهة جزئيّا (في مثالنا، (*run*) [جرى] في الملفوظ الأوّل، و(*fell*) [سقط] في الآخر)، يمكن بالطّريقة نفسها أن تكون أشكالا لغويّة في النّهاية. فبعد أن نكون قد سمعنا الشّكل [جرى جون]، يمكننا أن نسمع الشّكل [جرى بِلّ]، بل ربّما سمعنا (لنقل، في جواب عن سؤال) كلمة (*run*) معزولة. ويحدث الشّيء نفسه مع المكوّن (*fell*) [سقط] في (*John fell*) [سقط جون]: يمكننا أن نسمع شكلا مثل (*Dan fell*) [سقط دان]، بل يمكن أن نسمع حتّى (*fell*) معزولةً.

وفي حالات أخرى، قد تنتظر دون جدوى سماع شكل معزول. ويمكننا أن نسمع، ونحن نعرف الأشكال (*John*) [جون]، و(*Bill*) [بِلّ] و(*Dan*) [دانْ]، الأشكالَ (*Johnny*) [جونّي] و(*Billy*) [بِلّي] و(*Danny*) [دانّي]؛ ونتوقّع هنا سماع (*-y*) [-ij] معزولة دالّة على معنى ما من قبيل 'صغير'، ولكنّنا نصاب في هذا النّموذج بخيبة الأمل. وبالوجه نفسه يمكن أن نسمع، وقد ألفنا الشّكلين (*play*) [عزَف] و(*dance*) [رقَص]، الشّكلين (*playing*) [عزْف]، و(*dancing*) [رقص]، ثمّ نتوقّع بعد ذلك دون جدوى أن نسمع (*-ing*) [-iŋ] معزولة، قد تطمئننا في شأن معنى هذا المقطع الغائم نوعا ما. ورغم أنّ بعض المكوّنات لا تجري بمفردها، ولكن لا تجري إلاّ أجزاء من أشكال أكبر، نسمّي مع ذلك هذه المكوّنات أشكالا لغويّة لأنّها أشكال صوتيّة من قبيل [ij] أو [iŋ] مقترنة بمعان ثابتة. فالشّكل اللّغويّ الّذي لا يُنطق به بمفرده أبدا شكل مربوط[1335]؛ وجميع الأشكال الأخرى (من قبيل (*John ran*) أو (*John*) أو (*run*) أو (*running*)، على سبيل المثال) أشكال حرّة[1336].

1335 bound
1336 free

في حالات أخرى ننتظر دون طائل جريانَ شكل ما جزءا من شكل آخر. وإذ كنّا، على سبيل المثال، قد سمعنا الشّكل (*cranberry*) [توت برّيّ]، نهتدي سريعا إلى المكوّن (*berry*) [حبَّة] في الأشكال الأخرى، من قبيل (*blackberry*) [توت العلّيق]، بل يمكننا أن نسمعه منطوقا به بمفرده، ولكن لا يصادفنا هذا الحظّ في المكوّن الآخر من (*cranberry*). فنحن لا ننتظر دون طائل سماع (**cran*) معزولة، فقط، بل لا نسمع كذلك أبدا، مهما أنصتنا كما نفعل، هذا العنصرَ خارج التّوليفة (*cranberry*) اليتيمة، ولا نستطيع أن ننتزع من المتكلّمين أيّ شكل آخر يتضمّن هذا العنصر (*-cran*). ومن زاوية عمَليّة، نتعلّم سريعا بملاحظة اللّغات في الميدان أنّه ليس من الحكمة أن نحاول انتزاع هذا القبيل من الأشكال؛ فأسئلتنا تشوّش المتكلّمين وقد يتخلّصون منّا بالتّسليم ببعض الحقائق الغالطة من قبيل "آه، نعم، أخمِّن أنّ (*cran*) تعني *'أحمر'*". وإذا ما اجتنبنا هذه المزلق، نخلص إلى أنّ العنصر (*-cran*) لا يجري إلاّ في التّوليفة (*cranberry*). غير أنّنا نقول، بما أنّها ذات شكل صوتيّ ثابت وبما أنّ معناها ثابت، وفي حدود ما يكون به التّوت البرّيّ نوعا محدّدا من التّوت يختلف عن جميع الأصناف الأخرى، إنّ (*-cran*) شكل لغويّ كذلك. وتظهِر التّجربة أنّنا نعمّم بالفعل هذا المثال: تمثّل العناصر الوحيدة[1337] الّتي تجري في توليفة وحيدة أشكالا لغويّة.

لا يمكننا، في بعض الأحيان، أن نحسم في كون الأشكال المتشابهة صوتيّا متطابقة[1338] في المعنى. فالعنصر (*-starw*) في (*strawberry*) يماثل صوتيّا (*-starw*) في (*strawflower*) [زهرة السّترو، الستروفلور] والشّكلَ المعزول (*straw*)، ولكنّنا لا يمكن أن نقول إن كانت المعاني هي نفسها أو لا. وإن سألنا المتكلّمين أجابوا مرّة بطريقة وفي بعض الأحيان بأخرى، فليسوا بأقدر منّا على الجواب. وهذه الصّعوبة جزء من صعوبة كونيّة في الدّلالة: العالَم الواقعيّ ليس عالما من مظاهر التّمييز البيّنة.

10. 2. نرى إذن أنّ بعض الشكال اللّغويّة تحمل مظاهر الشّبه الصّوتيّ–الدّلاليّ الجزئيّ بالأشكال الأخرى؛ ومن أمثلة ذلك (*John ran, Bill ran, Bill fell, Johnny, Billy ; playing, dancing ; blackberry, cranberry ; strawberry, strawflower.*). فالشّكل اللّغويّ الّذي يحمل شبها صوتيّا–دلاليّا جزئيّا بشكل آخر، شكل مركّب[1339].

يمثّل الجزء المشترك بين أيّ شكل (أو شكلين أو أكثر) من الأشكال المركّبة شكلا لغويّا. وهو عنصر[1340] (أو مكوّن[1341]) من تلك الأشكال المركّبة. ويقال عن المكوّن إنّه محويّ[1342] (أو مضَمّن[1343] ، أو داخل[1344]) في الأشكال المركّبة. فإن احتوى الشّكل المركّب، بالإضافة إلى الجزء

1337 unique element(s)
1338 identical
1339 complex form
1340 constituent
1341 component
1342 contain(ed)
1343 includ(ed)

المشترك، بقيّةً باقية1345 من قبيل العنصر (*cran-*) في (*cranberry*)، لا تجري في أيّ شكل مركّب آخر، مثّلت هذه البقيّة شكلا لغويّا أيضا؛ وهي المكوّن الوحيد لذلك الشّكل المركّب. فالأشكال المكوّنة في أمثلتنا الواردة أعلاه هي: (*John*)، و(*ran*)، و(*Bill*)، و(*fell*)، و(*play*)، و(*dance*)، و(*black*)، و(*berry*)، و(*straw*)، و(*flower*)، و(*cran* (المكوّن الوحيد في (*cranberry*))، و(*-y*) (شكل مربوط مكوّن في (*Johnny*) و(*Billy*)))، و((*-ing*) (شكل مربوط مكوّن في (*playing*) و(*dancing*)). ويقال عن كلّ مكوِّن وارد في أيّ شكل مركّب إنّه يصاحب1346 المكوّنات الأخرى.

والشّكل اللّغويّ الّذي لا يحمل شبها صوتيّا–دلاليّا جزئيّا بأيّ شكل آخر، شكل بسيط أو صرفم1347. وعلى هذا، تكون (*bird*) [طائر]، و(*play*) [لعب]، و(*dance*) [رقص]، و(*-cran*)، و(*-y*)، و(*-ing*)، صرافمَ. ويمكن للصّرافم أن تُظهِر تشابهات صوتيّة جزئيّة، كما تفعل مثلا (*bird*) و(*burr*) [نبت شائك]، بل منها ما يظهِر الاشتراكَ اللّفظيّ كما تفعل (*pear*) [إجّاص]، و(*pair*) [زوج]، و(*pare*) [قشر، قلّم]، ولكنّ هذا الشّبه صوتيّ صرف ولا يوازيه شبَه في المعاني.

يظهر من خلال جميع ذلك أنّ كلّ شكل مركّب ينبني، من حيث مكوّناته المحدّدة صوتيّا، بصفة كلّيّة من صرافم. وقد يرتفع جدّا عدد هذه المكوّنات الدّنيا1348. يتضمّن الشّكل (*Poor John ran away*) [جون المسكين هرب بعيدا]، خمسة صرافم: (*poor*)، (*John*)، (*ran*)، (*a*) (شكل مربوط، متواتر في (*aground*) [أرضا]، و(*ashore*) [على الشّاطئ]، و(*aloft*) [عاليا]، و(*around*) [حول، حوالي]، على سبيل المثال)، و(*way*). غير أنّ بنية الأشكال المركّبة ليست بأيّ وجه من الوجوه على هذه الدّرجة من البساطة. فلا يمكن أن نفهم الأشكال في لغة ما إن اكتفينا بمجرّد تفكيك الأشكال المركّبة جميعها إلى مكوّناتها الدّنيا. فكلّ شخص متكلّم بالإنجليزيّة يهتمّ بهذا الشّأن يخبرنا على وجه اليقين بأنّ المكوّنين المباشرين1349 في (*Poor John ran away*) هما الشّكلان (*Poor John*) و(*ran away*)؛ وأنّ كلّ واحد من هذين الشّكلين، بدوره، شكل مركّب؛ وأنّ المكوّنين المباشرين في (*ran away*) هما (*ran*) وهو صرفم، و(*away*) وهو شكل مركّب مكوّناه المباشران هما (*-a*) و(*way*)؛ وأنّ المُكوّنين في (*poor John*) هما الصّرفمان (*poor*) و(*John*). وبهذا الوجه دون غيره يقود التّحليل الصّحيح (أي ذاك الّذي يأخذ المعاني في الاعتبار) إلى الصّرافم الجارية مكوّنات في أدنى المستويات. وسوف تشغلنا أسباب ذلك في موضع لاحق.

1344 enter
1345 remainder
1346 accompany
1347 morpheme
1348 ultimate constituent(s)
1349 immediate constituent(s)

10. 3. يمكن أن يوصف الصّرفم وصفا صوتيّا، إذ يتكوّن من صوتم واحد أو أكثر، ولكنّ معناه لا يمكن أن يُحلَّل في حدود علم اللّسانيّات1350. فلقد رأينا، على سبيل المثال، أنّ الصّرفم (*pin*) يحمل شبها صوتيّا بصرافم أخرى، من قبيل (*pig*) [خنزير]، و(*pen*) [قلم]، و(*tin*) [قصدير]، و(*ten*) [عَشَرة]؛ وأنّه بناء على هذه التّشابهات أن يُحلَّل ويوصَفَ على أساس ثلاثة صواتم (§5. 4)؛ ولكن بما أنّ هذه التّشابهات غير مقترنة بالتّشابهات في المعنى، لا نستطيع أن ننسب أيّ معنى إلى الصّواتم، ولا نستطيع، في حدود علم اللّسانيّات، أن نحلّل المعنى المقترن بالصّرفم. ومعنى صوتم ما، هو المعْنم1351. يفترض اللّسانيّ أنّ كلّ معنم وحدةٌ معنويّة ثابتة ومحدّدة، مختلفة عن جميع المعاني الأخرى بما في ذلك جميع المعنمات الأخرى، ولكنّه لا يستطيع المضيّ أبعد من ذلك. فلا يوجد شيء في بنية الصّرافم من قبيل (*wolf*) [ذئب]، و(*fox*) [ثعلب]، و(*dog*) [كلب]، لِيخبرنا بالعلاقة بين معانيها. وهذا مشكل بالنّسبة إلى عالِم الحيوان. وتعريف عالِم الحيوان لهذه المعاني مرحّب به عندنا من حيث مثّل مساعدة عمليّة. ولكن لا يمكن أن يُؤكَّد أو يُرفَض على أساس عِلم اللّسانيّات عندنا.

يمكن لنظام شغّال من الإشارات، من قبيل اللّغة، أن يتضمّن عددا قليلا من الوحدات الإشاريّة، ولكنّ الأشياء الّتي يشار إليها – وهي في حالتنا هذه، مجموع ما يحتويه العالَم الواقعيّ– يمكن أن تكون متنوّعة تنوّعا لا نهائيّا. وتتكوّن وفقا لذلك الإشارات (الأشكال اللّغويّة باعتبار الصّرافم أصغر الإشارات) من توليفات مختلفة للوحدات الإشاريّة (الصّواتم)، وكلّ توليفة من هذا القبيل تقترن اعتباطا بسمة ما من العالَم الواقعيّ (معنم). ويمكن أن تحلَّلَ الإشارات لا الأشياء المشار إليها.

يقوّي هذا المبدأَ الّذي ينصّ على أنّ الدّراسة اللّسانيّة تبدأ وجوبا من الشّكل الصّوتيّ دائما لا من المعنى. يمكن أن توصَفَ الأشكال الصّوتيّة – لنقل، على سبيل المثال، كامل الرّصيد من الصّرافم في لغة ما– على أساس الصّواتم وعلى تتابعها، ويمكن على هذا الأساس أن تصنَّفَ أو تدرَج في مسرد باعتماد ترتيب مناسب من قبيل ترتيب ألفبائيّ مثلا؛ ولا يمكن للمعاني – في مثالنا، أي معانم لغة ما– أن تحلَّلَ أو تدرَج في مسرد بصفة آليّة إلاّ من قبل ملاحظ ذي علم كلّيّ أو يكاد.

10. 4. بما أنّ كلّ شكل مركّب متكوّن بصفة كلّيّة من صرافم، قد يستوفي مسرد تامّ في الصّرافم جميع الأشكال الصّوتيّة في لغة ما. ويمثّل رصيد الصّرافم الكامل في لغة ما المعجَم1352 فيها. غير أنّنا إن عرفنا معجم لغة ما وكانت لنا معرفة دقيقة في حدود معقولة بكلّ معنم، نقصر رغم ذلك عن فهم الأشكال في تلك اللّغة. فكلّ ملفوظ يحتوي بعض السّمات الدّالّة الّتي لا يفي بها المعجم. لقد رأينا، على سبيل المثال، أنّ الصّرافم الخمسة (*John, poor, ran, a, way*) الّتي تكوّن الشّكل (*Poor John ran*

1350 OUR SCIENCE (page 161, near end of page)
1351 sememe
1352 lexicon

away)، لا تفي وفاء تامّا بالمعنى في هذا الملفوظ. يرتبط جزء من هذا المعنى بالتّنضيد1353– مثلا، برتبة االتّتابع1354– الّذي تظهر فيه الصّرافم في الشّكل المركّب. فكلّ لغة تظهِر جزءا من معانيها بالتّنضيد في أشكالها. وعلى هذا تختلف في الإنجليزيّة (*John hit Bill*) [جون ضرب بيلّ]، عن (*Bill hit John*) [بيلّ ضلرب جون]، في المعنى بحكم التّرتيبين المختلفين اللّذين يجري فيهما التّلفّظ بالصّرافم.

وتكوّن الوجوه الدّالّة في تنضيد الأشكال في لغة ما، النّحو1355 فيها. وفي العموم، يبدو أنّ هناك أربعة وجوه في تنضيد الأشكال اللّغويّة.

(1) **التّرتيب**1356هو التّتابع الّذي تُنطَق به مكوّنات شكلٍ مركّب ما. وتظهر دلالة التّرتيب في مقابلات مثل (*John hit Bill*) مقابل (*Bill hit John*). ومن جهة أخرى، ليس (**Bill John hit*) [*بيلّ جون ضرب]، شكلا إنجليزيّا لأنّ لغتنا لا تنضّد المكوّنات على هذه التّرتيب. وبالمثل، تكون (*playing*) شكلا، ولكنّ (**ing-play*) ليست كذلك. وفي بعض الأحيان يكون للفروق في التّرتيب قيم معنويّة إيحائيّة؛ فيكون على هذا (*Away ran John*) [بعيدا هرب جون]، أكثر حيويّة من (*John ran way*) [جون هرب بعيدا].

(2) **التّعديل**1357هو استعمال الصّواتم الثّانويّة. والصّواتم الثّانويّة، لنذكر (§5. 11)، هي الصّواتم الّتي لا تظهر في أيّ صرفم، ولكنّها تظهر في وجوه التّنضيد النّحويّ للصّرافم فقط. فصرفم مثل (*John*) [ɑĵn] أو (*run*) [ron] هو في الواقع تجريد1358، لأنّ الصّرفم في أيّ ملفوظ حقيقيّ يكون مصحوبا بصوتم ثانويّ يحمل معنى نحويّا. ففي الإنجليزيّة، إذا ما نُطِق بالصّرفم معزولا يكون مصحوبا بصوتم نغميّ ثانويّ ما (§7. 6): فهو إمّا (*John!*)، وإمّا (*John?*)، وإمّا ([.] *John*) – يُنطق هذا الشّكل الأخير بنغمة نهائيّة نازلة، كما في الإجابة عن سؤال– ولا يوجَد شكل محايد أو مجرّد لا يكون فيه الصّرفم مصحوبا بأيّ نغمة نهائيّة. فيكون البعض من المكوّنات في الأشكال المركّبة الإنجليزيّة دائما مصحوبا بصواتم النّبر الثّانويّة (§7. 3). وعلى هذا، يميّز الفرق في موضع النّبرة الاسم (*convict*) [محكوم عليه، سجين]، من الفعل (*convict*) [حكم عليه، أدان].

(3) **التّحوير**1359**الصّوتيّ** هو التّغيّر في الصّواتم الأوّليّة من شكل ما. فعلى سبيل المثال، عندما يجري التّوليف بين الشّكلين (*do*) و(*not*) في شكلٍ مركّبٍ، تُعوَّض في العادة [uw] من (*do*) بـ[ow]، وكلّما حدث ذلك فقدت (*not*) حركتها، بوجه يكون به الشّكل المولَّف (*don't*) [dow nt]. وفي

1353 arrangement
1354 succession
1355 grammar
1356 order
1357 modulation
1358 abstraction
1359 phonetic modification(s)

هذا المثال يكون التّحوير اختياريّا[1360]، ولنا الشّكل غير المحوّر كذلك في (*do not*) بفارق في المعنى الإيحائيّ. فاللاّحقة (*-ess*) المقترنة بمعنى 'الأنثى[1361]' كما في (*count-ess*) [كونتيسة]، تُزاد كذلك في (*duke*) [d(j)uwk] [دُوق]، ولكنّ الشّكل (*duke*) يحوَّر في هذه التّوليفة إلى (*-duch*) [-doč]، لأنّ الكلمة هي (*duchess*) ['dočes] [دُوقَة].

وبالمعنى الدّقيق للعبارة، ينبغي أن نقول إنّ للصّرفم في مثل هذه الحالات شكلين صوتيّين مختلفين (أو أكثر من ذلك، في بعض الأحيان) من قبيل (*not*) [nɑt] و[nt]، و(*do*) [duw] و[dow]، و(*duke*) و(*-duch*)، وإنّ كلّ واحد من هذه البدائل[1362] يظهر في ظروف مخصوصة. ولكنّ لواحد من البدائل، في أمثلتنا، مدى أوسع بكثير من مدى البديل الآخر، فيكون، وفقا لذلك، بديلا أساسيّا[1363]. وفي حالات أخرى، تكون البدائل على قدم المساواة. ففي (*run*) و(*ran*)، على سبيل المثال، لا يرتبط أيّ من البديلسن بحضور أيّ شكل مصاحب، وقد نتردّد في اختيار أيّهما بديلا أساسيّا. غير أنّنا نجد، في حالات من قبيل (*keep : kep-t*) أنّ شكل الفعل الدّالّ على الزّمن الماضي يتضمّن بديلا هو (*-kep*) الّذي لا يجري إلاّ مع شكل مصاحب مخصوص (*-t*)؛ فللحصول على حكم متماسك ما أمكن وفقا لذلك، نعتبر الشّكل غير المصرّف (*keep, run*) بديلا أساسيّا ونصف البديل الّذي يظهر في الشّكل الدّالّ على الزّمن الماضي (*kep-, ran*) بأنّه شكل محوَّر صوتيّا. وسوف نرى نماذج أخرى يكون فيها الاختيار أصعب؛ ونحاول، بطبيعة الحال، أن ننتقيَ بديلا أساسيّا بوجه نتوصّل به، على المدى البعيد، إلى أبسطِ وصفٍ للوقائع.

(4) يساهم انتقاء[1364] الأشكال عاملا معنويّا لأنّ الأشكال المختلفة الّتي تمثّل التّنضيد النّحويّ نفسه بوجه آخر، تؤدّي إلى معان مختلفة. فعلى سبيل المثال، تكون بعض الصّرافم الّتي تُنطَق بنغمة تعجّبيّة نهائيّة دعوات لحضور شخص أو للفت انتباهه ((*John!*) [جون!]، (*Boy!*) [يا ولد!])، في حين تكون صرافم أخرى، منطوقا بها بالطّريقة نفسها، أوامر ((*Run!*) [اجرِ!]، (*Jump!*) [اقفز!])، ويتّسع هذا الاختلاف كذلك إلى بعض الأشكال المركّبة ((*Mr. Smith!*) [السّيّد سميث!]، (*Teacher!*) [أستاذ!]، مقابل (*Run away!*) [اهرب بعيدا!]، (*Backwater!*) [أوقف المركَب!]). ويمكن أن يقال عن الأشكال الّتي يكون لها معنى النّداء[1365] عندما تُنطق بنغمة نهائيّة تعجّبيّة، بحكم هذا الواقع، إنّها تكوّن قسما من الأشكال في اللّغة الإنجليزيّة يمكن أن نسمّيه قسم أشكال[1366]"العبارات الاسميّة الشّخصيّة"[1367].

1360 optional
1361 female
1362 alternant(s)
1363 basic alternant(s)
1364 selection
1365 call(s)
1366 form-class
1367 personal substantive expression(s)

وبالمثل، تكوّن الأشكال الّتي يكون لها معنى الأمر1368 عندما تُنطق بنغمة نهائيّة تعجّبيّة، بحكم هذا الواقع، قسمَ أشكال "العبارات غير المصرّفة1369" في الإنجليزيّة. ويرتبط كون عبارة تعجّبيّة1370 نداءً أو أمرا بانتقاء الشّكل من واحد من ذينك القسمين أو من الآخر.

يرتبط المعنى في شكل مركّب جزئيّا بانتقاء الأشكال المكوّنة له. وعلى هذا تسمِّي (*drink milk*) [شُرب الحليب]، و(*watch John*) [مشاهدة جون]، عملين1371، وكما رأينا منذ حين هما عبارتان غير مصرّفتين، ولكن (*fresh milk*) [حليب طازج] و(*poor John*) [جون المسكين]، تسمّيان شيئين، فهما عبارتان اسميّتان. والمكوّنان الثّانيان (*milk*) و(*John*) متشابهان؛ ويرتبط الفرق بانتقاء المكوّن الأوّل. وبحكم هذا الفارق ينتمي الشّكلان (*drink*) و(*watch*) إلى قسم واحد من الأشكال الإنجليزيّة (هو قسم "الأفعال المتعدّية1372")، والشّكلان (*fresh*) و(*poor*) إلى قسم آخر (هو "قسم الصّفات1373").

سمات الانتقاء معقّدة جدّا في العادة بانقسام الأقسام الشّكليّة إلى أقسام فرعيّة. في الإنجليزيّة إن ولّفنا شكلا من قبيل (*John*) أو (*the boys*) [الأولاد] (من قسم أشكال "العبارات الاسميّة المرفوعة1374") مع شكل مثل (*ran*) [جرى] أو (*went home*) [عاد إلى البيت] (قسم أشكال "عبارات الأفعال المصرّفة1375")، يدلّ الشّكل المركّب النّاتج على أنّ هذا الشّيء "ينجز" هذا العمل ((*John ran*) [جرى جون]، (*the boys ran*) [جرى الأولاد]، (*John went home*) [عاد جون إلى البيت]، (*the boys went home*) [عاد الأولاد إلى البيت]).

غير أنّ عادة أخرى تنضاف إلى سمات الانتقاء هذه: نقول (*John runs fast*) [جون يجري بسرعة]، لكن (*the boys run fast*) [الأولاد يجرون بسرعة]، ولا نجري أبدا التّوليفتين العكسيّتين بين (*John*) و(*run fast*)، أو بين (*the boys*) و(*runs fast*). ويتفرّع قسم أشكال العبارات المرفوعة إلى قسمين فرعيّين ("المفرد" و"الجمع") وقسم الأشكال من عبارات الفعل المصرّف كذلك إلى قسمين فرعيّين ("المفرد" و"الجمع") بوجه يتطابق1376 به، في الأشكال المركّبة الّتي تدلّ على أنّ شيئا ما ينجز عملا ما، المكوّنان من حيث القسم الفرعيّ "المفرد" أو "الجمع". وفي اللاّتينيّة، يعني الشّكل ((*pater fīlium amat*) أو (*fīlium pater amat*)) 'الأب يحبّ الابن'، ويعني الشّكل ((*patrem fīlius amat*) أو (*fīlius patrem amat*)) 'الابن يحبّ الأب'؛ ينتمي الشّكلان (*pater*) [أب] و(*fīlius*) [ابن]، إلى قسم الأشكال

1368 command
1369 infinitive expression(s)
1370 exclamation
1371 action(s)
1372 transitive verb(s)
1373 adjective(s)
1374 nominative
1375 finite verb(s)
1376 agree

("حال الرّفع1377") الّذي تدلّ بالوضع الأشكال فيه عند توليفها مع فعل مثل (*amat*) [هو يحبّ]، على 'منجِز1378' العمل؛ وينتمي الشّكلان (*patrem*) [أب] و(*fīlium*) [ابن]، إلى قسم آخر من الأشكال ("حال النّصب1379") الّذي تدلّ بالوضع الأشكال فيه عند توليفها مع فعل مثل (*amat*) على 'متحمِّل1380' ('مفعولِ1381' أو 'هدفِ1382') العمل.

وتكون سمات الانتقاء دائما على درجة عالية من الاعتباط والغرابة. فنحن نولّف (*prince*) [أمير]، و(*author*) [مؤلّف]، و(*sculptor*) [نحّات] مع اللاّحقة [-ess] في (*princess*) [أميرة]، و(*authoress*) [مؤلِّفة]، و(*sculptress*) [نحّاتة]، (بتحوير صوتيّ لحرف [r] إلى [ɹ]، في هذه الحالة الأخيرة)، ولكن لا نولّف (*king*) [ملك]، و(*singer*) [مغنّ]، و(*painter*) [رسّام] معها. وبحكم هذه العادة، تنتمي الكلمات الأولى إلى قسم من الأشكال تقصَى منه الكلمات الأخيرة.

10. 5. تظهر سمات التّنضيد النّحويّ في توليفات متنوّعة، ولكن يمكن عادة إخراجها ووصفها على حدة. تمثّل سمة تنضيد نحويّ بسيطة سمة نحويّة1383 أو تاكسيما1384. والتّاكسيم في النّحو بمثابة الصّوتم في المعجم – أي هو أصغر وحدة من الشّكل. والتّاكسيم، مثل الصّوتم، مأخوذا في ذاته وفي المطلق، غير ذي معنى. وتماما مثلما تجري توليفات الصّواتم أو الصّواتمُ المفردة بدرجة أقلّ انتشارا، في إشارات معجميّة فعليّة (الأشكال الصّوتيّة)، تجري توليفات التّاكسيمات، أو التّاكسيمات المفردة بتواتر كبير، في تنضيدات نحويّة مواضعيّة، هي الأشكال التّكتيّة1385. فالشّكل الصّوتيّ مقترنا بمعناه يمثّل شكلا لغويّا؛ والشّكل التّكتيّ مقترنا بمعناه يمثّل شكلا نحويّا1386. وعندما تحين لنا فرصة المقارنة بين الطّبيعة المعجميّة الصِّرف لشكل لغويّ وعادات التّنضيد الّتي يخضع لها، سوف نتكلّم عنها على أنّها شكل معجميّ1387. وفي حالة الأشكال المعجميّة، كنّا قد عرّفنا الوحدات المعنويّة الدّنيا بكونها صرافم، وعرّفنا معانيها بكونها معانم؛ وبالطّريقة نفسها يمكن الحديث عن أصغر الوحدات المعنويّة في الشّكل النّحويّ بكونها تاغميمات1388 وعن معانيها بكونها مناحم1389.

يتضمّن الملفوظ (*Run!*) [اجر!]، مثلا، سمتين نحويّتين (تاكسيمين)، أي تلوينَ النّغمة النّهائيّة التّعجّبيّة والسّمةَ الانتقائيّة الّتي تتمثّل في استعمال فعل غير مصرّف (مقابل، استعمال اسم مثلا في

1377 nominative case
1378 performer
1379 accusative case
1380 undergoer
1381 object
1382 goal
1383 grammatical feature
1384 taxeme
1385 tactic form(s)
1386 grammatical form
1387 lexical form
1388 tagmeme(s)
1389 episememe(s) (منحم، مناحم، من نحو أو وحدة نحويّة قياسا على معنى ومعنم)

(*John!*)). ويصادف أن يكون كلّ واحد من ذينك التّاكسيمين في الإنجليزيّة شكلا تكتيّا، بما أنّ كلّ واحد منهما يُستَعمَل حاليّا وحدة إشاريّة. وبأخذ الواحد منهما مع معناه، نصِفهما بكونهما وحدتين من الشّكل النّحويّ (تاغميمين)). يجري تاغميم النّغمة النّهائيّة التّعجّبيّة مع أيّ شكل معجميّ، ويعطيه معنى نحويّا (مَنحَما) يمكننا أن نصفه على وجه الإجمال بكونه، ربّما، 'مثيرا قويّا'. فلتاغميم الانتقاء الّذي به يكون إفراد الأشكال غير المصرّفة بقسم شكليّ برأسه، معنى نحويّ (منحم) يمكن أن نسمّيه 'معنى القِسم'[1390] ونعرّفه تعريفا مجملا بكونه 'العمل'.

ويمكن أن يتكوّن تاغميم واحد من أكثر من تاكسيم واحد. فعلى سبيل المثال، نجد في أشكال من قبيل ((*John ran*) [جون جرى]، (*poor John ran away*) [جون المسكين هرب بعيدا]،(*the boys are here*) [الأطفال هنا]،(*I know*) [أنا أعلم]) تاكسيمات عديدة. ينتمي مكوّن واحد إلى قسم أشكال العبارات المرفوعة (*John, poor John, the boys, I*). وينتمي المكوّن الآخر إلى قسم أشكال العبارات من الفعل المصرّف (*ran, ran away, are here, know*). ويُسند تاكسيمُ انتقاءٍ آخرُ بعض عبارات الفعل المصرّف إلى بعض عبارات المرفوعات؛ فلا يمكن أن تكون، على ذلك، المكوّنات قابلة للتّبادل في الأمثلة الثّلاثة (*I am*)، (*John is*)، (*you are*). ويضع تاكسيم الرّتبة العبارةَ المرفوعة قبل عبارة الفعل المصرّف: لا نقول (**ran John*). وتظهر تاكسيمات أخرى للرّتبة، وهي تقلب جزئيّا الرّتبة الأساسيّة، في حالات خاصّة مثل (*did John run?*) [هل جون جرى؟]، (*away run John*) [بعيدا جرى جون]، (*will John?*) [س(يفعل) جون؟]. ولا يظهر تاكسيم التّعديل إلاّ في حالات خاصّة، عندما تكون العبارة المرفوعة غير منبورة كما في (*I know*) [aj [1]know]. وتظهر تاكسيمات التّحوير الصّوتيّ كذلك في حالات خاصّة معيّنة، من قبيل (*John's here*) حيث تنوب [z] عن (*is*)، أو (*I'd go*) حيث تنوب [d] عن (*would*). والآن، ما من واحد من هذه التّاكسيمات مأخوذا في ذاته، يكون ذا معنى، ولكنّها، إن أخذت مجتمعة، تكوّن شكلا نحويّا، أي تاغميما، يكون معناه كما يلي، أنّ المكوّن الواحد (العبارة المرفوعة) 'ينجز' المكوّنَ الآخر (عبارة الفعل المصرّف).

فإن نطقنا (*John ran!*) بنغمة تعجّبيّة، يكون لنا شكل نحويّ مركّب، بثلاثة تاغميمات. الواحد من هذه هو 'المثير القويّ'، وثانيها '(شيء) ينجز (عمل)' ولثالثها منحم دالّ على كون العبارة 'مكتملة جديدة'، ويتكوّن شكليّا من السّمة الانتقائيّة المتمثّلة في استعمال المركّب عامل–عمل[1391] في صورة جُملة نحويّة.

10. 6. يمكن لأيّ ملفوظ أن يوصَف وصفا كاملا باعتماد الأشكال المعجميّة والنّحويّة؛ وعلينا أن نتذكّر فقط أنّ المعاني لا يمكن أن تحدّد في إطار اللّسانيّات عندنا.

1390 class-meaning
1391 actor-action

ويمكن لأيّ صرفم أن يوصف وصفا كاملا (ما عدا معناه) بكونه مجموعة من صوتم واحد أو أكثر جارية في تنضيد معيّن. فالصّرفم (*duke*)، على هذا، يتكوّن من ثلاثة صواتم، بعضها بسيط وبعضها مركّب، [d]، [juw]، [k] على هذا التّرتيب، ويتكوّن الصّرفم [ess-] من الصّوتمين [e] و[s] على هذا التّرتيب. ويمكن لأيّ شكل مركّب أن يحلَّل (ما عدا معناه) باعتماد الأشكال المكوّنة المباشرة والسّمات النّحويّة (التّاكسيمات) الّتي بها كان تنضيد تلك الأشكال المكوّنة. فالشّكل المركّب (*duchess*) ['dočes]، حينئذ، يتكوّن من مكوّنين مباشرين (*duke*) [djuwk] و(*-ess*) [es]، جرى تنضيدهما وفق الطّريقة التّالية:

الانتقاء. ينتمي المكوّن (*duke*) إلى قسم خاصّ من الأشكال الإنجليزيّة الّتي تتوالف مع الشّكل (*-ess*). ويتضمّن قسم الأشكال هذا، على سبيل المثال، الأشكال (*count, prince, lion, tiger, author, waiter*) ولكن لا يتضّمن الأشكال (*man, boy, dog, singer*)؛ فهي قسم فرعيّ من قسم أروسع لأشكال أسماء الأشخاص الذّكور. ويكوّن الشّكل (*-ess*) قسما من الأشكال صغيرا قائما برأسه بحكم أنّه يتوالف (وهو الوحيد في ذلك)، بالتّدقيق، مع الأشكال الكائنة في القسم الّذي وصفناه منذ قليل. ويمكن أن تُعتَبَر جميع هذه الوقائع، مأخوذة في مجموعها، تاكسيم انتقاء وحيد.

الرّتبة. يُنطَق الشّكل (*-ess*) بعد الشّكل المصاحب له.

التّعديل. ينطَق الشّكل (*-ess*) نطقا غيرَ منبور، والشّكل المصاحب ذو نبرة عالية.

التّحوير الصّوتيّ. تعوّض [juw] من (*duke*) بـ[o]، و[k] بـ[č].

فبالنّظر إلى الشّكلين (*duke*) و(*-ess*)، يصف إثبات هذه السّمات النّحويّة الأربع، الشّكلَ المركّب (*duchess*)، وصفا كاملا.

ويمكن لأيّ ملفوظ حقيقيّ أن يوصَف وصفا كاملا باعتماد الشّكل المعجميّ والسّمات النّحويّة المصاحبة. فالملفوظ (*Duchess!*)، على هذا، يتكوّن من الشّكل المعجميّ (*duchess*) ومن تاكسيمين للنّغمة النّهائيّة التّعجّبيّة ومن انتقاء عبارة اسميّة.

فإن وفّر لنا علم ما تعريفاتٍ لمعاني الوحدات المعنيّة هنا، بأن يحدّد لنا معاني (معانم) الصّرفمين ((*duke*) و(*-ess*))، ومعاني (مناحم) التّاغميمات الثّلاثة (تنضيد (*duke*) و(*-ess*)؛ استعمال النّغمة النّهائيّة التّعجّبيّة؛ انتقاء عبارة اسميّة)، يكون عندئذ معنى الملفوظ (*Duchess!*) قد حُلِّل تحليلا تامّا وعرّف تعريفا كاملا.

10. 7. لا تشذّ الأشكال النّحويّة عن المبدإ الضّروريّ– وإن كان علينا أن نسمّيه افتراضا، بعبارة دقيقة– الّذي ينصّ على أنّ اللّغة لا يمكن أن تحمل من المعاني إلاّ مقترنا بسمة شكليّة ما: لا يملك المتكلّمون سبيلا إلى الإشارة إلاّ بواسطة الإشارات. ولقد ضلّ الكثير من دارسي اللّغة في هذا الشّأن بحكم أنّ سمات النّحو الشّكليّة ليست الصّواتمَ أو التّوليفاتِ بين الصّواتم الّتي يمكن النّطق بها أو كتابتها، ولكنّها مجرّد تنضيدات للأشكال الصّوتيّة. ولهذا يمكن أن يكون تراثنا السكولاستيّ مسؤولا عن هذا التّضليل إلى حدّ كبير؛ فلولا هذا الموروث ما كان ليصعب، ربّما، في الإنجليزيّة على سبيل المثال، الأمرُ المتعلّق بإشارة (*John hit Bill*) و(*Bill hit John*) إلى وضعيّتين مختلفتين، أو بكون (*convict*) بنبر المقطع الأوّل مختلفةً في المعنى عن (*convict*) بنبر المقطع الثّاني، أو بوجود فرق في المعنى بين (*John!*) و(*John?*) و(*John*).

فالشّكل من قبيل (*John*) أو (*run*) مذكورا في المطلق المجرّد دون أيّ تخصيص، على سبيل المثال، من حيث النّغمة النهائيّة، ليس شكلا لغويّا حقيقيّا، بعبارة دقيقة، ولكنّه شكل معجميّ ليس غير؛ فدائما ما يحتوي شكل لغويّ ما كما يُتلفّظ به فعليّا، شكلا نحويّا. وبصرف النّظر عن بساطة الشّكل الّذي نأخذ وعن الكيفيّة الّتي بها نتلفّظ به، نكون قد أجرينا نوعا من الانتقاء يحمل بمقتضاه الملفوظ معنى نحويّا بالإضافة إلى مضمونه المعجميّ، ونكون قد استعملنا خطاطة نغميّة تضفي عليه، في الإنجليزيّة على أيّ حال، معنى نحويّا من قبيل 'التّقرير1392' أو 'استفهام التّصديق1393' أو 'الاستفهام الإضافيّ1394' أو 'التّعجّب'.

ويمكن تجميع الأشكال النّحويّة في لغة ما في ثلاثة أقسام كبرى:

(1) عندما ينطَق شكل بمفرده (أي، ليس مكوّنا من شكل أكبر)، يظهر هذا الشّكل في نوع جمَليّ1395 ما. فيعطينا حينئذ استعمالُ الصّوتم الثّانويّ [!] نوع جملة التّعجّب، ويعطينا استعمال عبارة اسميّة نوعا من النّداء (*John!*).

(2) كلّما كان النّطق بشكلين (أو أكثر، في ما ندر) معا مكوّنين لشكل مركّب، تقيم السّمات النّحويّة الّتي كان بها التّوليف بينهما، بناء1396. وعلى هذا، تقيم السّمات النّحويّة الّتي بها يتوالف (*duke*) و(*ess-*) في الشّكل (*duchess*) أو السّمات النّحويّة الّتي بها يتوالف (*poor John*) و(*ran away*) في الشّكل (*poor John ran away*)، بناء.

1392 statement
1393 yes-or-no question
1394 supplement-question
1395 sentence-type
1396 construction

(3) ولعلّه من الواجب أن يؤَسَّس قسم ثالث كبير للأشكال النّحويّة الجارية في الحالات الّتي ينطَق فيها بشكل ما على أساس أنّه معوّض اصطلاحيّ لأيّ عنصر من قسم بأكمله من الأشكال الأخرى. وعلى هذا ينبغي دون شكّ أن تُعتَبَر السّمة الانتقائيّة الّتي يكون بها الشّكل (*he*) [هو]، في الإنجليزيّة، معوّضا اصطلاحيّا لقسم بأكمله من الأشكال الأخرى، من قبيل (*John*)، و(*poor John*)، و(*a policeman*) [شرطيّ]، و(*the man I saw yesterday*) [الرّجل الّذي رأيتُه أمس]، و(*whoever did this*) [مهما يكن من فعل هذا]، وما إلى ذلك (تلك الأشكال الّتي، بحكم هذه العادة، تكوّن قسم أشكال "العبارات الاسميّة المذكّرة المفردة")، نموذجا من قسم ثالث من الأشكال النّحويّة يمكن أن نطلق عليه اسم "المعوّضات".